البركة أو اللعنة ...

أنت تختار

ديريك برنس

البركة أو اللعنة: أنت تختار

Originally published in English under the title
Blessing or Curse: You Can Choose!
ISBN 9781901144406
Copyright © Derek Prince Ministries – International
All right reserved

المؤلف: ديريك برنس

الناشر: المؤسسة الدولية للخدمات الإعلامية ت: +202 26401580

تصميم الغلاف: جى سى سنتر ت: +202 27797124

اسم المطبعة: St. MARK PRINTING HOUSE ت: +202 23374128
ت: +201223172090

الموقع الإلكتروني: www.dpmarabic.com

البريد الإلكتروني: info@dpm.name

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٢٣٩٥

الترقيم الدولي: 978-977-6124-41-0

جميع حقوق الطبع في النسخة العربية محفوظة © للمؤسسة الدولية للخدمات الإعلامية
ولا يجوز استخدام أو إقتباس أي جزء أو رسومات توضيحية من الواردة في هذا الكتاب
بأي شكل من الأشكال إلا بإذن مسبق من الناشر
Derek Prince Ministries – International
P.O. Box 19501
Charlotte, North Carolina 28219
USA
Translation is published by permission
Copyright © Derek Prince Ministries – International
www.derekprince.com
Printed in Egypt
202004

المحتويات

تقديم ٥

القسم الأول : بركات ولعنات ٧

الفصل الأول: مصارعة مع الظلام ٩

الفصل الثاني: حواجز خفية ١٥

الفصل الثالث: البركات واللعنات: كيف تعمل؟ ٢٣

الفصل الرابع: قائمة موسى بالبركات واللعنات ٢٩

الفصل الخامس: سبعة مؤشرات للعنة ٣٥

القسم الثاني: لعنة بلا سبب، لا تأتي ٤٩

الفصل السادس: آلـهه زائفة ٥١

الفصل السابع: خطايا أخلاقية متنوعة ٦٥

الفصل الثامن: الناموسية، الجسدية، الارتداد ٧١

الفصل التاسع: السرقة، شهادة الزور، سلب الله ٨١

الفصل العاشر: ذوو السلطان ٨٥

الفصل الحادي عشر: لعنات على الذات ١٠١

الفصل الثاني عشر: خدام الشيطان ١١٣

الفصل الثالث عشر: كلمات نفسانية ١٢٣

الفصل الرابع عشر: صلوات نفسانية ١٣١

الفصل الخامس عشر: ملخص القسم الثاني ١٤١

القسم الثالث: من اللعنة إلى البركة ١٤٣

الفصل السادس عشر: المبادلة الإلهية ١٤٥

الفصل السابع عشر: سبع خطوات نحو التحرير ١٥٩

الفصل الثامن عشر: من الظلمات إلى النور ١٧١

الفصل التاسع عشر: الغاصبون يختطفونه ١٨١

الفصل العشرون: بعد الاعتراف: الإعلان، الحمد، التسبيح ١٩١

الفصل الحادي والعشرون: إعلانات من أجل انتصار متواصل ١٩٩

تعليقات لا بد منها ٢١٠

الفصل الثاني والعشرون: لعنات لم تُبْطَلْ بعد ٢١١

الفصل الثالث والعشرون: أنلعن أم نبارك ٢١٩

نبذة عن حياة الكاتب ٢٢٩

تقديم

عام ١٩٧٨، وقبل زواجنا بفترة قصيرة، كنا أنا وديريك على شاطئ مدينة فورت لاودردل (ولاية فلوريدا/ الولايات المتحدة). قلت له: "هلاّ صليت من أجل ساقيَّ؟ إنهما تؤلمانني جدًا." فجثا فورًا على ركبته، ووضع يديه على ساقيَّ وبدأ يكلمهما:

"شكرًا أيتها الساقان. أريد أن أقول لكما كم أنا ممتن لكما! لقد حملتما روث بأمان أينما أرادت أن تذهب - والآن أحضرتماها إليّ. شكرًا أيتها الساقان!"

رأيت آنذاك أنه من الغريب لمعلِّم كتاب مقدس رزين أن يصلي لأجل خطيبته بهذه الطريقة! لكن الألم زال!

بعد ذلك، قال لي ديريك إنه كان "يعكس كلامًا يمكن أن أكون قد نطقت به أنا عن رجليَّ. فتذكرت مشهدًا في المدرسة الثانوية، عندما كنت في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمري. إذ رأيت في المرافق الخاصة بالبنات ساقي فتاة تقف أمام المرآة وتسرح شعرها. كانت ممشوقة القوام، بينما نظرت أنا إلى ساقيَّ ورجليَّ السمينتين وقلت: "أنا أكره رِجْليَّ!" وهكذا وضعت عليهما لعنة!

ومعًا، قمنا أنا وديريك بكسر تلك اللعنة التي حملتها رجلاي نحو ثلاثين عامًا. وظننت أن القصة قد انتهت.

بعد تسع سنوات وجدت نفسي في سيارة إسعاف تسرع بي إلى مستشفى في القدس بسبب جلطات دموية في رِجْلي الاثنتين. إحدى الجلطات التي تحركت إلى الرئة كادت أن تقتلني. وبدا أن هناك لعناتٍ أخرى على رِجلي وربما على جسدي كله.

ومنذ ذلك الحين، مرت ثلاث سنوات حتى الآن، وأنا أصارع من أجل

صحـتي وحيـاتي. كان ذلـك مؤلمًـا لكلينـا، إذ أدركنـا وجـود قـوى فـوق طبيعيـة شريـرة تعمـل في جسـدي. وبينمـا عملنـا معًـا على إعـداد هـذا الكتـاب، أدركنـا أن كل مـؤشرات اللعنـة المذكـورة في الفصـل الخامـس تنطبـق عليّ أو على عائلـتي.

كان تحريـري مـن اللعنـة الـتي وضعتهـا أنـا على ذاتي هـو البدايـة فقـط. إذ كشـف الـروح القـدس لعنـاتٍ مـن أجيـالٍ سـابقة بسـبب الانغمـاس بممارسـات السـحر والشـعوذة، وبسـبب خطايـا معيّنـة، وأمـور أخـرى كثـيرة.

وهكـذا كان رفـض وإبطـال هـذه اللعنـات عمليـة طويلـة، إلا أن الـروح القـدس كان متأنيًـا وفعَّـالًا بصـورة رائعـة. كثـيرًا مـا أعلـن لنـا توجيهاتـه بكلمـة علـم أو كلمـة حكمـة. وقـد اسـتعنا بصلـوات آلاف المؤمنـين حـول العالـم. لقـد تغـيَّرت طريقـة تفكيرنـا بمـا يخـص قـوة كلمـة الله - وبمـا يخـص أنفسـنا - بشـكل مذهـل.

وكثيـرًا مـا سـألت الله: "لمـاذا أعطيـت ديريـك زوجَـة تعانـي مـن أمـراضٍ كثيـرة ولعنـاتٍ عديـدة فـي حياتهـا؟" (مـن قـرأ فيكـم كتـاب ديريـك حـول الـزواج "God Is a Matchmaker" [الله يجمـع]، يعلـم أن الله اختـارني بشـكل محـدد لأكـون زوجـة ديريـك.) ولـم أتلـقّ جوابًـا محـددًا عـن سـؤالي هـذا، لكننـي ممتنـةً جـدًا للـرب الـذي قبلنـي كمـا أنـا لكـي يتمجـد مـن خـلال تحريـري وشـفائي.

ونسـتطيع أنـا وديريـك أن نؤكـد الآن أننـا اختبرنـا شـخصيًا جميـع الحقائـق المعلنـة في هـذا الكتـاب! ليسـت حالـتي الصحيـة كاملـة تمامًـا بعـدُ، لكنـني أعلـم يقينًـا أن بركـة إبراهيـم لي. وكمـا كانـت لإبراهيـم رحلـة طويلـة، كذلـك كان الأمـر معنـا.

صلاتنـا أن يكـون هـذا الكتـاب عونًـا لـك، ولجميـع الذيـن تسـعى لمسـاعدتهم، على التمتـع بالتحريـر الكامـل الذي هـو ميراثـك في المسـيح يسـوع!

روث برنس

القسم الأول

بركات ولعنات

ربما أنت وعائلتك، أو ربما عائلة مجاورة، أو شريكٌ لك في عمل أو صديق! أيًّا كانوا، فإن حياتهم تاريخٌ من الفشل والإحباط وربما المآسي أيضًا. وبشكل ما، تبدو هذه القصة بلا نهاية!

من جانب آخر، نعرف جميعًا عائلات أُخرى من خلفيات مشابهة، ومركز اجتماعي مماثل، إلا أن حياتهم تبدو خاليةً من المشاكل أو تكاد. فحياتهم أجمل من أن تُصدَّق!

في الحالتين، هناك قوى خفية تعمل وتحدد مصير كل إنسان، للخير أو للضرر. ويسمي الكتاب المقدس هذين الجانبين "بركات" و"لعنات". كما أن الكتاب يزيد على ذلك، فيكشف لنا كيف نتعامل مع هذه القوى بطريقة تمكننا من التمتع بالتأثيرات المفيدة لبعضها وحماية أنفسنا من التأثيرات الشريرة لبعضها الآخر.

إن الفهم الكتابي للبركات واللعنات، وكيفية عملها، سيعطيك بصيرة جديدة في حياتك، وجوابًا لمشاكل طالما حيرتك وأحبطتك.

الفصل الأول

مصارعة مع الظلام

بالنسبة لمن يراقب الحياة من منظور سطحي، ما حياة البشر إلا خليطٌ مضطرب من النور والظلمة بلا نمطٍ معروف ولا نواميس يمكن إدراكها. في هذا المشهد، لنا أن نتخيل رجلين متشابهين في الخلفية والقدرات وهما يسيران جنبًا إلى جنب باتجاه واحد. مع ذلك، فإن أحدهما يسير دائمًا في نور النجاح والإنجاز، أمّا الآخر فيكتنفه الفشل والإحباط دائمًا، وتذوي حياته قبل الوقت.

لا أحد من هذين الرجلين يفهم ماهية القوى العاملة في حياته. فمصادر النور والظلمة خفية عليهما، بل ربما لم يفكرا يومًا بإمكانية أن يكون للنور والظلمة مصادر تكمن في حياة أجيالٍ ماضية.

يتحدث الكتاب المقدس بوضوح عن تلك القوى، بل إن لديه الكثير ليقوله عنها، وهو يسميها على التوالي: بركات ولعنات.

دعونا ننظر عن قرب إلى ذلك الرجل السائر في طريق الظلمة. إنه يدقق في صحة كل ما يعمله: يغير عمله أو مكان سكنه، يكتسب المزيد من الخبرة في مجال العمل، يقرأ كل ما يقع بين يديه من كتب حول التفكير الإيجابي، وربما يأخذ دروسًا عن كيفية إطلاق الطاقات الغامضة "الكامنة" في أعماقه. ورغم ذلك كله، يبدو أن النجاح يتملَّص منه دائمًا. أولاده متمردون، حياتُهُ الزوجية متوترةً، والحوادث والأمراض أمر روتيني في حياتِهِ. أهدافه المحببة تنزلق من بين أصابعه كما ينزلق الماء من بين أصابع غريق. ويلازمه شعور

بفشـلٍ لا مفـرَّ منـه! يؤجلـه ربمـا إلى حـين، أمَّـا أن ينتـصرَ عليـه فليـسَ يَجِـدْ.

يكتنـف حياتـه كلهـا شـعورٌ بالـصراع ضـد شيء لا يسـتطيع تحديد هويتـه - شيء مـراوغ لا هيئـة له ولا نظـام. يشـعر أحيانًـا وكأنـه في مصارعـة مـع الظـلام. ومهمـا بـذل مـن جهـد في مصارعتـه هـذه، لا يسـتطيع وضـع أصبعـه على أصـل مشـكلته أو أن يسـتوعبها. وكثـيرًا مـا يميـل إلى الاستسـلام!

يقـول في نفسـه مسـتغربًا: "مـا الفائـدة؟! لا شيء ينجـح في حيـاتي أبـدًا! أبي كان يعـاني مـن المشـاكل نفسـها، وكان هـو فاشـلًا أيضًـا."

هـذا الإنسـان التائـه في الظلمـة، يمكـن أن يكـون امـرأة أيضًـا. تزوجـت وهي شـابة يافعـة ووضعـت كل المخططـات اللازمـة لـزواج ناجـح وبيـتٍ سـعيد. لكنهـا تجـد نفسـها وكأنهـا في أرجوحـة خفيـة - يومًـا "فـوق" ويومًـا "تحـت". مـن الناحيـة الصحية، تجدهـا تنتقـل مـن مشـكلة إلى أُخـرى؛ تصـل إلى حـدود الصحـة دائمًـا ولا تدخلهـا أبـدًا! يبـدأ ابنهـا بتعـاطي المخـدرات ثـم يتركهـا وزوجهـا. وتسـتيقظ ذات صبـاح لتواجـه صدمـةً جديـدة هي أنهـا مدمنـةٌ على المشروبـات الكحوليـة.

ومثـل ذلـك الرجـل السـائر فـي الظلمـة، هـذه المـرأة أيضًـا عملـت كل الأشـياء الصحيحـة: قـرأت كتبًـا عـن التغذيـة وعلـم نفـس الطفـل. وفي سـعيها إلى النجـاح، كانت تدفـع نفسـها مـن هـدفٍ إلى هـدف - كُلُّ واحـد منهـا يتطلـب أن تحشـد كل قـوة لديهـا. في الوقـت نفسـه، كانـت تـرى نسـاء أُخريـات أقـل منهـا دافعًـا وقـدرةً، لكنهـنَّ يحققـن أهدافًـا لا تسـتطيع هي حـتى الاقـتراب منهـا.

وبينمـا تتمعـن أنـت في شـخص يتخبـط في هـذه الظلمـة، ربمـا تـرى شـيئًا يذكرك بنفسـك - تشـعر وكأنـك تراقـب حياتـك الخاصـة مـن الخـارج. وتبـدأ تتسـاءل إن كانـت مشـاكلك تتعلـق بالسـبب نفسـه: لعنـة تعـود جذورهـا إلى أجيـال سـابقة!

لكـن ربمـا لا تـرى نفسـك، بـل شـخصًا آخـر قريبًـا منـك - شريـك حياتـك أو

أحد أعضاء عائلتك أو صديقًا عزيزًا. لطالما أحزنك حال ذلك الشخص وتقتَ إلى شعاعٍ من رجاء، لكن بلا فائدة. والآن أمامك تفسير محتمل يتعلق بهذه الظِلال المظلمة، وربما تكون فكرةً جديدةً بالنسبة لك. أيمكن أن يكون سبب المشكلة "لعنة"؟

تعود بك الذاكرة إلى أحداثٍ وحالاتٍ ليس لها تفسير مرَّت بها حياتك أو حياة عائلتك. حاولت كثيرًا أن تطردها من ذاكرتك، لكنك لم تنجح في ذلك تمامًا. وأنت تدرك احتياجك إلى المزيد من الإدراك. قد تقول لنفسك: سأفترض أنني تحت لعنةٍ ما، فماذا أستطيع أن أعمل؟ ما هو مصدرها يا تُرى؟

يمكن تشبيه اللعنة بذراع شريرة طويلة ممتدةٍ من الماضي، تربض عليك بقوّةٍ قامعةً سوداء، فتمنعُكَ من التعبير الكامل لشخصيتك. فأنت لا تشعر بحرية كاملة في أن تعبِّر عن نفسك، وتشعر دائمًا أنَّ في داخلك طاقات لم تتمكن أبدًا من تحريرها كما ينبغي. ودائمًا تتوقع من نفسك أكثر مما يمكنك إنجازه.

أو أنَّ هذه الذراع الطويلة الشريرة تجعل خطواتك تتعثر بين حينٍ وآخر، دون أن ترى بأي شيء تعثرت! لسببٍ غريبٍ ما، تأتي لحظات تعثرك عندما تكون على وشك بلوغ هدف سعيت كثيرًا من أجله. ثم تنظر وإذا بالهدف يفلت من بين يديك.

وتصبح الغرابة وعدم استيعاب الأمور بمثابة ضوء إنذار أحمر. تواجه أحداثًا وظروفًا لا تجد لها تفسيرًا منطقيًا أو طبيعيًا، كما لو أنَّ هناك قوةً ما تعمل دون خضوعٍ لنواميس الطبيعة المعتادة.

هناك كلمة واحدة تلخص لنا آثار اللعنة: "الإحباط". تبلغُ في إنجازاتك إلى حدٍّ معيَّن، ويبدو كل شيء في مكانه المناسب نحو مستقبل مشرق. لديك كل المؤهلات المطلوبة، لكن شيئًا ما يقلب الأمور! فتبدأ من جديد، لتبلغ المستوى نفسه ثانيةً، لكن الأمور تسوء ثانيةً. وإذ يتكرر ذلك عدّة مرات، تدرك أنه صار نمطًا ثابتًا في حياتك. ومع ذلك، لا ترى سببًا واضحًا يفسِّر ذلك.

كثيرون حدَّثوني بقصة حياة شبيهةٍ بما ذكرت. قد تختلف بعض التفاصيل من فردٍ إلى آخر، لكن النمط واحد. وغالبًا ما يقول بعضهم: "كانت هذه المشكلة تواجه أبي دائمًا. أشعر وكأني أعيش من جديد كلَّ ما مرَّ به من إحباط." أو يقول: "ما زالت كلمات جدي تتردد في أعماقي وهو يقول: "لا تسير الأمور معي كما يرام"!"

وقد يتكرر هذا النمط في نواحٍ مختلفة من الحياة: العمل أو الصحة أو الأوضاع المادية. ويمكن أن يكون لهذه الحالة تأثير سلبي مستمر على العلاقات الشخصية، خاصةً في الحياة الزوجية والعلاقات العائلية. كما أنها غالبًا ما تؤثر على جماعات لا على أفرادٍ معزولين؛ على العائلة في أغلب الأحيان، أو قد يتسع نطاقها فتشمل مجتمعًا أو أمةً بأسرها.

ليس صحيحًا على أية حال أن نقول إنَّ اللعنة تؤدي دائمًا إلى فشل الإنسان. فقد يحقق أحدهم ما يبدو نجاحًا حقيقيًا، بينما هو موبوء بالإحباط، غير قادرٍ على التمتع بثمار نجاحه.

في إحدى رحلاتي إلى جنوب شرق آسيًا، تقابلت مع قاضية مثقفة وذكية يمتد نسبها إلى أصول ملكية. كانت قد عرفت الرب يسوع مخلصًا شخصيًا لها، وليس في حياتها خطية غير مُعترف بها. لكنها قالت لي إنها لا تشعر برضىً حقيقي. عملها الناجح ومركزها الاجتماعي المرموق لم يحققا لها شبعًا شخصيًا.

تحدثت معها، فاكتشفت أنها تنحدر من سُلالة أجيال من عبدة الأوثان. فشرحت لها أنَّ الله، بحسب خروج ٢٠:٣-٥، قد أعلن اللعنة على عابدي الأوثان حتى الجيل الثالث والرابع، ثمَّ أريتها كيف تستطيع أن تتحرر من تلك اللعنة من خلال مخلِّصها الرب يسوع.

لا ترتبط اللعنات دائمًا بالأجيال السابقة، بل قد تكون بسبب أعمال أو أحداث في حياتك أنت، أو تكون لعنة من أجيال سابقةٍ ترافقها أشياء أخرى أنت فعلتها. فمهما كان المصدر، هناك شيء واحد أكيد: أنت تتصارع مع شيء لا تستطيع فهمه ولا التعرف عليه.

وكتلك السيدة القاضية، ربما يكون لك أيضًا نصيبٌ من النجاح في حياتك. ولا بدَّ أنك تعرف طعم وحلاوة النجاح - لكنه لا يستمر أبدًا! فجأة، ومن دون سببٍ مفهوم، تشعر بعدم الاكتفاء؛ فتظلّلكَ الكآبة كسحابة، وتبدو كل إنجازاتك تافهة.

تنظُر إلى آخرين فتراهم ناجحين قانعين وهم في ظروفك نفسها، فتسأل نفسك: "ما الخطأ بي؟ لماذا لا أختبر الشبع الحقيقي أبدًا؟!"

ربما تقول في هذه اللحظة: بعض هذه الأوصاف تنطبق عليَّ بالفعل. فهل يعني ذلك أن لا رجاء لي؟ هل سأبقى هكذا بقية حياتي؟

لا بل هناك رجاء! لا تفشل. تابع القراءة لتكتشف أنَّ الله قد أعدَّ لك العلاج، وسنقدِّم لك تعليمات عملية بسيطة تقودك إلى كيفية استخدام هذا العلاج في حياتك الخاصة.

أمَّا الآن، فأقدّم لك بعض التشجيع في المقتطفات التالية من رسالتين أرسلهما لي شخصان استمعا إلى برنامجي الإذاعي حول موضوع "من اللعنة إلى البركة." الرسالة الأولى من رجلٍ والثانية من امرأة.

استمعت إلى برنامجك حول موضوع اللعنة، واكتشفت أنني كنت تحت لعنةٍ عدَّة سنوات دون أن أعرف. لم أكن يومًا ناجحًا في حياتي، وكنت أعاني باستمرار من مشاعر جنسية شاذة رغم أنني لم أمارس ذلك عمليًا. أنا مسيحي مؤمن منذ ١٠ سنوات، لكن بسبب اللعنة - لم أكن قادرًا على أن أكون قريبًا من الرب بالقدر الذي أريد، لذا غرقت في كآبة شديدة. ومنذ أن تحررت من تلك اللعنة، وأنا أشعر بأنني حيٌّ في المسيح وحرٌّ فيه. لم أشعر من قبل بمثل هذا القرب من الرب.

أشكرك من أجل برنامجك الأخير حول موضوع اللعنات، والكتيِّب الذي عنوانه "من اللعنة إلى البركة." لقد تغيرت حياتي بشكل عجيب بسببها.

كنت أعاني معظم حياتي من كآبة متكررة، ولمدة خمس سنوات خضعت لعلاج نفسي متواصل.

لكن في ربيع هذا العام، صلَّت معي إحدى السيدات وقد أعلنتُ رفضي لكل ارتباط مع السحر والشعوذة التي كنت أمارسها بورق اللعب وأوراق الشاي. مجدًا للرب، ها هي بشائر تحرير حقيقي!

ثم سمعت برنامجك حول أن يكون أحدهم تحت لعنة دون أن يدرك ذلك حقًا، وقد صليت معك بينما كنت تصلِّي من أجل التحرير من اللعنات. نعم لقد تحررت!

فكأنما هو سدٌّ قد تحطَّم، ويستطيع الله أن يتحرك في روحي الآن. زال العائق، وقد اختبرت نموًّا روحيًا كبيرًا خلال بضعة أسابيع حتى إنني لا أستطيع إلا أن أسبِّح الرب من أجل بركاته. أبكي أحيانًا إذ أتفكَّر بكل ما عمله ويعمله من أجلي. وأشعر براحةٍ عظيمة الآن .... أستطيع أن أشعر بالاسترخاء.

حقًا .... نحن نعبد إلهًا عظيمًا!

الفصل الثاني

حواجز خفية

في سنوات مضت، كنت أقضي الكثير من الوقت في مساعدة أشخاص تنطبق عليهم الأوصاف التي ذكرناها في الفصل السابق. لكنها كانت عملية مُحبِطة! هناك أشخاص يتقدمون روحيًا إلى مستوى مُعيَّن، ثم يبدو الأمر وكأنهم يواجهون حاجزًا خفيًا!

ليس أنهم لم يكونوا مُخْلصين أو مُكرَّسين، بل إنهم بدوا أكثر إخلاصًا وتكريسًا من أشخاص آخرين يحرزون تقدمًا أفضل. كانوا يقبلون ما أقدم لهم من مشورة ويطبقونها عمليًا، لكن النتائج كانت مُفشِّلة لهم ولي على حدٍّ سواء.

بعد التعامل مع حالاتٍ كهذه، كنت أجد نفسي أُخاطب الرب قائلًا: «يا رب، لماذا لا أستطيع مساعدة ذلك الشخص بطريقة أفضل؟ أهناك شيءٌ لا أفهمه؛ شيءٌ آخر أحتاج إلى معرفته؟» وبعد فترة، أدركت أنَّ الله كان يستجيب لصلواتي هذه، فقد بدأ ينزع حجابًا عن عينيَّ كاشفًا لي عن عالم من القوى الجبَّارة التي لا تخضع لنواميس الطبيعة. لم يأتِ هذا الإعلان إليَّ مرَّةً واحدةً، بل خطوةً بعد خطوة، بعد أن ميَّزتُ أنَّ هناك خيطًا واحدًا يصل ما بين سلسلةٍ من الحوادث التي تبدو غير مترابطة.

الحدث الأول كان عندما دُعيت لأتكلَّم في إحدى الكنائس المشيخية. كنت قد وصلت إلى نهاية رسالتي التي أعددتها، ولم أكن متأكدًا بعد من الاتجاه الذي سأتابع فيه حديثي. وبينما أنا واقف خلف المنبر، رأيت عائلةً من أب وأم وابنةٍ يافعة يجلسون في الصفِّ الأمامي إلى يساري. وجاءت هذه الفكرة إلى رأسي: «هناك

لعنة على هذه العائلة!» ولم تكن لذلك صلةٌ بموضوع الرسالة التي قدمتها ذلك المساء، ولا بأية فكرة في ذهني آنذاك. لكن الفكرة لم تفارقني: «هناك لعنة على هذه العائلة!»

أخيرًا، وبعد بعض التردُّد، نزلت من على المنبر وتوجهت إلى حيث يجلس الأب. شرحت له ما شعرت به، وطلبت منه أن يسمح لي بإبطال اللعنة وتحرير العائلة منها باسم الرب يسوع، فوافق على ذلك حالًا. كانت تلك هي المرة الأولى التي أعمل بها شيئًا كذلك، وقد تفاجأت بقبول ذلك الرجل لمبادرتي سريعًا. لكنني عرفت السبب فيما بعد.

عدت خلف المنبر، ورفعت صلاةً قصيرة بصوت مرتفع كاسرًا اللعنة عن العائلة. لم ألمس أيًّا من أفراد العائلة بينما كنت أصلي، لكن ما أن اختتمت صلاتي بالعبارة «باسم الرب يسوع»، حتى رأيت ردةَ فعلٍ واضحةً فيهم جميعًا، حيث سَرَتْ في أجسادهم على التوالي رجفةٌ لحظية.

وهناك لاحظت أنَّ الرِجلَ اليسرى للفتاة ذات الثمانية عشر عامًا ملفوفة بجبيرة من أعلاها إلى أسفلها. فتقدمت من أبيها ثانية وسألته إن كان يرغب بأن أصلي من أجل شفاء رِجْلِ ابنته. ومرةً أخرى، تجاوب الرجل معي بكل إيجابية، ثم أضاف: «لكن عليك أن تعلم أنَّ الرِجْل نفسها انكسرت ثلاث مرَّات خلال سنة ونصف، وأنَّ الأطباء يقولون إنها لن تُشفى.»

واليوم، إذا سمعت شيئًا مثل أن ساق أحدهم انكسرت ثلاث مرات خلال سنة ونصف، فإنَّ جرس الإنذار في داخلي ينطلق محذرًا من أنَّ ثمة لعنة هناك! في البداية، لم أربط بين اللعنة وبين سلسلة الإصابات غير الطبيعية تلك. لكنني أمسكت ساق الفتاة بيديَّ، وصليت ببساطة من أجل شفائها.

بعد بضعة أسابيع، وصلتني رسالةٌ من الأب يشكرني فيها على ما حدث. قال إنهم لمّا أخذوا ابنتهم إلى العيادة في الوقت المحدد، أظهرت الأشعة أن رِجْلها

قد شفيت. وبعد ذلك بوقت قصير، نزعوا عنها الجبيرة. كما ذكر ذلك الأب في رسالته سلسلة من الأحداث الغريبة المحزنة التي ألمَّت بعائلته، الأمر الذي فسَّر لي سرعة تجاوبه واعترافه بالحاجة إلى تحرير العائلة كلها من اللعنة.

في الأشهر التي تلت ذلك، كنت أُعاود التفكير بتلك الحادثة. وشعرت أنَّ هناك شيئًا ما ذا دلالة خاصة في ترتيب الأحداث التي قادني الروح القدس خلالها. أولًا، أعلن لي عن وجود لعنةٍ على العائلة ودفعني إلى إبطالها. بعد ذلك فقط، قادني إلى الصلاة من أجل شفاء رِجْل الفتاة. وأتساءل لو أنني صليت طلبًا للشفاء، قبل أن أصلي لإبطال اللعنة، فهل كانت ستشفى رِجْلها؟

وكلما تفكرت بذلك، كلما ازدادت قناعتي بأنَّ إبطال اللعنة كان مقدمة ضرورية لشفاء الفتاة. كانت اللعنة حاجزًا خفيًا من شأنه أن يمنعَ حصول الفتاة على الشفاء الذي يريده لها الله.

وبدا ذلك كله وكأنه يرتبط بحالةٍ اختبرتها في حياتي الشخصية. وتعود جذور ذلك إلى عام ١٩٠٤ عندما قاد جدي (والد أمي) قوة عسكرية بريطانية أُرسلت لإخماد «تمرُّد بوكسر» في الصين. وكان قد عاد ومعه مجموعة متنوعة من التحف الصينية، صارت فيما بعد ميراثًا عائليًا. وفي عام ١٩٧٠، انتقلت هذه التحف إليَّ بعد موت والدتي.

من أكثر تلك القطع جمالًا، كانت هناك مجموعة من أربعة تنانين مزخرفة بدقة بالغة، وقد علَّقتها بكل تقدير على جدار غرفة المعيشة في بيتنا. وكان مزيج ألوانها، خاصةً القرمزي والأرجواني، متألقًا إلى حدٍّ مدهش. وكان في قدم كلٍّ منها خمسة مخالب، وذلك يشير - كما أخبرني أحد الخبراء - إلى أنها تنانينُ تحمل دلالات إمبراطورية. ولأنني كنت مُقرَّبًا كثيرًا من جدّي، كانت تلك التنانين تثير فيَّ ذكريات سنوات طفولتي الأولى التي قضيتها في بيته.

وفي ذلك الوقت، بدأت أشعر بنوع من المقاومة يعيق نجاح خدمتي دون أن

أتمكن من تحديده أو التعرف عليه. وظهر ذلك في أشكال من الإحباط بدت غير مرتبطة، لكنها تراكمت لتشكل ضغطًا شديدًا عليَّ. بدأت أواجه عوائق في التواصل مع أشخاص مقربين إليَّ، لم أكن قد واجهتها من قبل. وكثيرون كنت أعتمد عليهم في أمور معيَّنة، لم يوفوا بالتزاماتهم. بالإضافة إلى عقار ثمين ورثته عن أمي، تأخَّر تسليمه مطولًا بسبب عدم كفاءة المحامي.

وأخيرًا، خصصت وقتًا للصلاة والصوم بشكل مكثَّف. وسرعان ما بدأت أميِّز اختلافًا ملحوظًا في موقفي تجاه التنانين. وبين فترة وأخرى، كنت أنظر إليها فيتشكل هذا السؤال في ذهني: «إلامَ يرمز التنين في الكتاب المقدس؟» ولم يكن لديَّ أدنى شكٍّ في الجواب: الشيطان بالطبع!

لكن السؤال كان يتلوه سؤال آخر: «أمن المناسب لك كخادم للمسيح أن تعرض في بيتك شيئًا يمثِّل أعظم أعداء المسيح، وهو الشيطان؟» والجواب الواضح كان: لا بالطبع! واستمر صراعي الداخلي فترةً من الزمن، لكنني تخلصت أخيرًا من التنانين. فعلت ذلك بدافع الطاعة ولا شيء آخر.

كنت في ذلك الوقت معلِّمًا للكتاب المقدس في الكنيسة، أتكلَّم أمام مجموعات من مختلف الخلفيات عبر الولايات المتحدة. وكان دخلي المادي من التقدمات كافيًا فقط لسدِّ الاحتياجات الأساسية لعائلتي. وبعد وقت قصير من تخلصي من التنانين، تحسن وضعي المادي تحسُّنًا كبيرًا جدًا، دونَ تخطيط خاص من جهتي، ودون تغيير كبير في طبيعة ومجال خدمتي. أمَّا العقار الذي تأخر كثيرًا، فقد حُلَّت مشكلته أيضًا.

وأخذت أتساءل إن كان ثمة مبدأ خفي يربط بين هذا التحسن الملحوظ وبين شفاء تلك الفتاة ذات الرِجْل المكسورة. ففي حالة الفتاة، كانت اللعنة حاجزًا خفيًا يمنع الشفاء التام. فما أن أُزيل الحاجز، حتى تمَّ الشفاء. وفي حالتي أيضًا، ربما كان هناك حاجز خفي، لكن ليس أمام الشفاء الجسدي، بل أمام

الراحة المادية التي ثبت أنها كانت عنصرًا هامًّا في خطة الله لحياتي. وكلما تفكرت بذلك، كلما تأكدت أكثر فأكثر من أنَّ تلك التنانين المزخرفة جلبت لعنةً على بيتي. وبالتخلص منها، تحررت من اللعنة وفتحت نفسي لبركة الله التي أعدها لي.

هذه النقلة النوعية مكّنتني من شراء منزل، كان من شأنه أن يلعب دورًا مميزًا في اتساع نطاق خدمتي فيما بعد. فبعد حوالي تسع سنوات من ذلك التاريخ، بعت المنزل بثلاثة أمثال السعر الذي دفعته فيه! وجاءت هذه النقود في وقتها تمامًا، حيث كان الله قد وضع أمامي تحديات جديدة تتطلب التزامات مادية كبيرة.

حادثة التنانين هذه، فتحت عينيَّ ببصيرة جديدة نحو المقطع المذكور في تثنية ٧:٢٥-٢٦، حيث يحذر موسى شعب إسرائيل من أي ارتباط بأوثان الكنعانيين:

«وَتَمَاثِيلَ آلِهَتِهِمْ تُحْرِقُونَ بِالنَّارِ. لاَ تَشْتَهِ فِضَّةً وَلاَ ذَهَبًا مِمَّا عَلَيْهَا لِتَأْخُذَ لَكَ، لِئَلاَّ تُصَادَ بِهِ لأَنَّهُ رِجْسٌ عِنْدَ الرَّبِّ إِلهِكَ. وَلاَ تُدْخِلْ رِجْسًا إِلَى بَيْتِكَ لِئَلاَّ تَكُونَ مُحَرَّمًا مِثْلَهُ. تَسْتَقْبِحُهُ وَتَكْرَهُهُ لأَنَّهُ مُحَرَّمٌ.»

لم تكن التنانين المزخرفة تماثيل بالمعنى الحرفي، لكنها كانت رمزًا لصورة إله كاذب عبده الصينيون نحو ألف سنة. وعندما أدخلتها بيتي، عرَّضت نفسي وعائلتي معي إلى لعنةٍ من دون أن أعلم. فيا لعظيم امتناني لروح الله القدوس الذي فتح عينيَّ على أصل المشكلة.

قادني ذلك كله إلى وضع دراسة نظامية حول تعليم الكتاب المقدس عن البركات واللعنات. وقد أدهشني أنَّ الكتاب المقدَّس فيه الكثير والكثير حول هذا الموضوع. فكلمات مثل «بركة» ومشتقاتها تظهر نحو ٤١٠ مرات - بعد استثناء الكلمات التي تشير في اللغات الأصلية إلى معنى «سعيد» أو «محظوظ». أمّا الكلمة «لعنة» ومشتقاتها فتظهر نحو ٢٣٠ مرة. وهذا جعلني أنتبه إلى قلّة ما سمعت من تعليم حول هذا الموضوع خلال سنوات إيماني. بل إنني لم أتمكن من تذكر رسالة واحدة تتحدث عن هذا الموضوع بطريقة نظامية.

وكنتيجة لدراساتي، بدأت أعلِّم عن موضوع اللعنات في خدمتي العامة. وكل مرة، كنت أفاجأ بأمرين: التأثير الجبار الذي ينتج عن هذا التعليم، والعدد الكبير من الناس الذين اتضحت حاجتهم إلى مثل هذا التعليم. وقد تمَّ توزيع أشرطة كاسيت عن الموضوع نفسه لمجموعات أخرى. وكانت ترد إلينا تقارير مدهشة عنها. وكثيرًا ما رأينا أنَّ هذه الرسالة لم تغيِّر حياة الأفراد فحسب، بل غيَّرت كنائس بأسرها. وأخيرًا أصدرت ثلاثة أشرطة بعنوان: «اللعنة: السبب والعلاج».

وفي وقت لاحق، تقابلت في رحلةٍ لي إلى جنوب أفريقيا، مع امرأةٍ يهودية الأصل، كانت قد اعترفت بالرب يسوع مخلصًا لها باعتباره المسيَّا. تلك السيدة - وسندعوها مريم - وصفت لي ولزوجتي روث بشكل مباشر معجزةً اختبرتها من خلال سماعها لتلك الأشرطة الثلاث.

كانت مريم تعمل سكرتيرة تنفيذية عند رجل أعمال يرأس شركته الخاصة. وقد اكتشفت أن مديرها وكل مديري الشركة منخرطون في بدعة غريبة تقودها «معلِّمة روحانية».

ويومًا ما، سلَّم المدير سكرتيرته مريم شريط كاسيت وقال لها: «هذه بعض البركات التي نطقت بها معلمتنا الروحية لنا؛ أرجو أن تطبعيها.» وما أن بدأت بطباعتها، حتى أدركت مريم أن تلك المسماة «بركات» هي من قبيل «العِرافة» المليئة بسمات الشعوذة. فشرحت للمدير بأن ذلك يتعارض مع إيمانها في المسيح والكتاب المقدس، وطلبت إعفاءها. فما كان من المدير إلى أن اعتذر بلطف عن أنه طلب منها أن تعمل ما يتعارض وقناعاتها.

بعد ذلك بوقت قصير، بدأت مريم تشعر بألمٍ شديد في يديها الاثنتين. التوت أصابعها إلى أعلى وتصلبت تمامًا! فلم يكن بمقدورها أن تقوم بمهامها كسكرتيرة فيما بعد. كان الألم شديدًا جدًا حتى لم يعد باستطاعتها النوم على سريرٍ واحد مع زوجها، لأنه كلما تقلَّب أثناء نومه، كانت حركة السرير تسبب لها ألمًا لا يُطاق

في أصابعها. وقد كشفت الأشعة أنَّ مشكلتها هي «التهاب روماتزمي في المفاصل».

كانت إحدى صديقات مريم مسيحية مؤمنة، فلما سمعت ما حصل لها، أحضرت لها الأشرطة التي تتحدث عن موضوع اللعنة. ورغم أن مريم كانت ذات منطقية عقلية ومتشككة في وجود ما يُسمى بـ «اللعنة» التي اعتبرتها أمرًا مرتبطًا بالعصور الوسطى - إلا أنها تساءَلت إن كان هناك أي ارتباط بين رفضها لطباعة تلك «البركات» وبين مشكلتها التي أصابت يديها بعد ذلك. أيمكن أن تكون تلك المعلمة الروحانية قد نطقت بلعنةٍ ضدها؟ وهكذا وافقت على سماع الأشرطة متممةً المثل القائل: «الغريق يتعلق بقشة!»

فلما وصلت الصديقتان إلى نهاية الشريط الثالث، حيث أقود السامعين في صلاة تحرير من أية لعنة على حياتهم، علق الشريط داخل جهاز التسجيل، فلم يعد بإمكانهما تقديمه أو تأخيره ولا حتى إخراجه.

فقالت مريم: «إذًا لن أستطيع أن أصلي الآن!»

لكن صديقتها كانت قد طبعت تلك الصلاة الختامية على ورقة، وكانت تحمل نسخة منها. وأصرت أن تقرأ مريم الصلاة بصوت مسموع. لكن الشكَّ دخل قلب مريم من جديد، فكيف لقراءة كلمات مطبوعة على ورقة أن تساعد في شفاء يديها؟!

في النهاية، رضخت مريم لإصرار صديقتها وقرأت الصلاة بصوت مسموع. وبينما هي تصلي، تحررت وعادت أصابعها إلى حالتها الطبيعية. اختفى الألم، وما أن انتهت من قراءة الصلاة، حتى شفيت تمامًا. ولم يتطلب هذا الاختبار إلاَّ إلى بضع دقائق.

عادت مريم بعد ذلك إلى طبيبها الذي شخص حالتها أول مرة، فأظهرت الأشعة عدم وجود أي أثر لالتهاب المفاصل.

وهنـاك جانـب ذو دلالـــة هامـة في هـذه الاختبـار، وهـو أنَّ صـلاة التحريـر الـتي قرأتهـا مريـم، لـم يكـن فيهـا مـــا يشـير أو يدعـو إلى شـفاء جسـدي. لقـد شـفيت يداها فقـط كنتيجـةٍ لتحررهـا مـن اللعنـة.

وكان ذلـك دليـلًا إضافيًـا واضحًـا على أن اللعنـة يمكـن أن تكـون حاجـزًا يمنـع تمتـع النـاس بالشـفاء. رأينـا ذلـــك في حالـة الفتـاة ذات الرِجْـل المكسـورة. أمّـا في حالـتي أنـا، فقـد كانـت اللعنـة تمنعـني مـن التمتـع بمسـتوى مـادي جيـد كان الـرب قـد أعـدَّه لي.

فـإن كانـت اللعنـــة تعمـل كحاجـز أمـام بـركاتٍ مثـل الشـفاء والراحـة الماديـة، أليـس مـن الممكـن - أو حـتى مـن المحتمـل - أنَّ بـركاتٍ أخـرى كثـيرة قـد مُنِعـت للسـبب نفسـه؟ وبنـاءً على هـذا الأسـاس، قـررت أن أسـعى بحثًـا عـن إجابـات الأسـئلة الثـلاث التاليـة المتعلقـة بهـذا الموضـوع:

أولًا، كيف نعرف أنَّ ثمَّة لعنة تعمل في حياتنا؟

ثانيًا، ماذا علينا أن نفعل لإبطال لعنةٍ ما وتحرير أنفسنا من نتائجها؟

ثالثًا، كيف ندخل إلى بركة الله؟

في الصفحات التالية، أقدِّم لكم نتائج بحثي هذا.

الفصل الثالث

البركات واللعنات: كيف تعمل؟

يمكن تصنيف القوى العاملة على صنع التاريخ إلى فئتين: مرئية وغير مرئية. ويتحدد مسار التاريخ تَبَعًا للتفاعل بين هذين العالمين. فإذا حصرنا اهتمامنا بالأشياء المرئية المادية فقط، سنجد أنفسنا، بين حين وآخر، نواجه أحداثًا وظروفًا ليس في مقدورنا أن نفهمها تمامًا ولا أن نسيطر عليها.

وتنتمي الأشياء والأحداث الطبيعية والكون المادي إلى العالم المرئي. وهو مجال مألوف لنا جميعًا؛ نشعر بأننا جزء منه، حتى عندما لا تسير الأمور بالنسبة لنا كما نشتهي. ولا يتعدى كثير من الناس حدود هذا الإدراك. لكن الكتاب المقدس يفتح لنا الباب لنرى عالمًا آخر غير مرئي. وهو عالم روحي لا مادي.

ففي ٢كورنثوس ٤:١٧-١٨ يضع بولس الحدود الفاصلة بين العالمين:

«لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا. وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ.»

فالأشياء التي تنتمي إلى المجال المرئي مؤقتة غير دائمة. فقط في العالم غير المرئي نستطيع أن نجد حقيقةً ثابتةً بالفعل. وفي هذا العالم أيضًا نستطيع أن نكتشف ماهية القوى التي ستشكل مصيرنا في النهاية، بل وتشكل مصيرنا في هذا العالم المنظور. يؤكد بولس بكل وضوح على أنَّ النجاح في الحياة يعتمد على إدراكنا وارتباطنا بما هو روحي غير مرئي.

البركات واللعنات تنتمي جميعًا للعالم الذي لا يُرى، العالم الروحي. إنها تحمل قوةً روحية فوق طبيعية. البركات تنتج كل ما هو صالح مفيد؛ اللعنات تنتج كلَّ ما هو سيءٌ ومؤذي. هذان موضوعان هامان في الكتاب المقدس. وكما أشرنا سابقًا، فالكلمتان «بركة» و«لعنة» ومشتقاتهما، استخدمت أكثر من ٦٤٠ مرَّة في نصوص الكتاب المقدس.

وهناك أمران هامَّان يتعلقان بالبركات واللعنات على حدٍّ سواء. أولًا، نادرًا ما ينحصر تأثيرها بالأفراد، لكنها تتسع لتشمل الأُسر والعشائر والمجتمعات وربما أممًا بأسرها. ثانيًا، تميل اللعنة أو البركة إلى الاستمرار والانتقال من جيلٍ إلى جيل حتى يحدث شيءٌ ما لإلغاء مفعولها. هناك عددٌ من البركات واللعنات المذكورة في الكتاب المقدس، والمتعلقة بأجيال الآباء، استمرت في العمل نحو أربعة آلاف سنة وما زالت تعمل إلى اليوم.

ولهذه الخاصية الثانية أهمية عملية خاصة. إذ أنَّ هناك قوى ربما تعمل في حياتنا اليوم، بينما تعود جذورها إلى أجيال سابقة. وينتج عن ذلك أننا قد نواجه أوضاعًا أو أنماطًا أو سلوكياتٍ متكررة لا يمكن تفسيرها بالرجوع إلى تجاربنا الشخصية وما رافق حياتنا من أحداث. فقد يعود السبب الرئيسي إلى زمن بعيدٍ من الماضي؛ ربما آلاف السنين!

والناقل الرئيسي للبركات واللعنات هو **الكلام**، سواءَ أكان منطوقًا أو مكتوبًا أو مضمرًا في الداخل. وما أكثر ما يقوله الكتاب المقدس عن قوَّة الكلام. سفر الأمثال، بشكل خاص، يحتوي على الكثير من التحذيرات حول أنَّ الكلمات يمكن استخدامها للخير أو للشر. وهذه بعض الأمثلة:

«بِالْفَمِ يُخْرِبُ الْمُنَافِقُ صَاحِبَهُ، وَبِالْمَعْرِفَةِ يَنْجُو الصِّدِّيقُونَ.» (أمثال ١١:٩)

«يُوجَدُ مَنْ يَهْذُرُ مِثْلَ طَعْنِ السَّيْفِ، أَمَّا لِسَانُ الْحُكَمَاءِ فَشِفَاءٌ.» (أمثال ١٢:١٨)

«هُدُوءُ اللِّسَانِ شَجَرَةُ حَيَاةٍ، وَاعْوِجَاجُهُ سَحْقٌ فِي الرُّوحِ.» (أمثال ١٥:٤)

«اَلْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ، وَأَحِبَّاؤُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ.» (أمثال ١٨:٢١)

أما الرسول يعقوب فلديه الكثير ليقوله حول الكلام. وهو يشير إلى اللسان باعتباره عضوًا صغيرًا من الجسد، لكن السيطرة عليه أصعب من السيطرة على أي عضو آخر.

«هكَذَا اللِّسَانُ أَيْضًا، هُوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ وَيَفْتَخِرُ مُتَعَظِّمًا. هُوَذَا نَارٌ قَلِيلَةٌ، أَيَّ وُقُودٍ تُحْرِقُ؟ فَاللِّسَانُ نَارٌ! عَالَمُ الإِثْمِ. هكَذَا جُعِلَ فِي أَعْضَائِنَا اللِّسَانُ، الَّذِي يُدَنِّسُ الْجِسْمَ كُلَّهُ، وَيُضْرِمُ دَائِرَةَ الْكَوْنِ، وَيُضْرَمُ مِنْ جَهَنَّمَ .... بِهِ نُبَارِكُ اللهَ الآبَ، وَبِهِ نَلْعَنُ النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى شِبْهِ اللهِ. مِنَ الْفَمِ الْوَاحِدِ تَخْرُجُ بَرَكَةٌ وَلَعْنَةٌ! لاَ يَصْلُحُ يَا إِخْوَتِي أَنْ تَكُونَ هذِهِ الأُمُورُ هكَذَا!» (يعقوب ٣:٥-٦، ٩-١٠)

يستخدم يعقوب لغةً مجازيةً غنية ليؤكِّد على القوة الهائلة التي تؤثر بها الكلمات على الناس وعلى الأحداث، سواءَ كان ذلك التأثير خيرًا أم شرًّا. ومن الهام أن نلاحظ كيف أشار يعقوب إلى «البركة» و«اللعنة» باعتبارهما كلمات يمكن أن تُشحن بقوة هائلة تكاد تكون بلا حدود.

لكن الكلمات ليست هي الوسيط الوحيد لنقل قوة البركات واللعنات. فهناك عدة أساليب، بعضها يتعلق بأشياء مادية يمكن أن تعمل على نقل هذا النوع من القوة.

في خروج ٣٠:٢٢-٣٣ يعطي الله موسى تعليمات لكي يصنع دهنًا خاصًا للمسحة لا ينبغي استخدامه إلا لمسح خيمة الاجتماع وما فيها، وأيضًا لمسح الكهنة الذين سيخدمون في الخيمة. وفي لاويين ٨:١-١٢ نقرأ كيف استخدم موسى هذا الدهن. ثم يُختم الحديث في الأعداد ١٠-١٢:

«ثُمَّ أَخَذَ مُوسَى دُهْنَ الْمَسْحَةِ وَمَسَحَ الْمَسْكَنَ وَكُلَّ مَا فِيهِ وَقَدَّسَهُ، وَنَضَحَ مِنْهُ عَلَى الْمَذْبَحِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَمَسَحَ الْمَذْبَحَ وَجَمِيعَ آنِيَتِهِ، وَالْمِرْحَضَةَ وَقَاعِدَتَهَا لِتَقْدِيسِهَا. وَصَبَّ مِنْ دُهْنِ الْمَسْحَةِ عَلَى رَأْسِ هَارُونَ وَمَسَحَهُ لِتَقْدِيسِهِ.»

الكلمات «قدَّس» و«تقديس» في هذا النص تعني «التخصيص للرب». وهكذا يكون دهن المسحة وسيطًا أو ناقلًا لبركة القداسة لخيمة الاجتماع وكل ما فيها وللكهنة الخادمين بها.

ونقرأ لاحقًا في تاريخ إسرائيل، كيف استخدِم زيت الزيتون لمنح البركة المناسبة للملوك الذين ينبغي لهم أن يحكموا الناس كممثلين لله. في ١صموئيل ١٣:١٦، نقرأ كيف أنَّ النبي صموئيل أفرز داوُد ملكًا مختارًا من الله:

«فَأَخَذَ صَمُوئِيلُ قَرْنَ الدُّهْنِ وَمَسَحَهُ فِي وَسَطِ إِخْوَتِهِ. وَحَلَّ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى دَاوُدَ مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا.»

كان الزيت الذي مُسح به رأس داوُد وسيطًا أدى إلى حلول روح الرب عليه لإعداده لمهمته كملك.

وفي العهد الجديد، تعمل العناصر المستخدمة في مائدة الرب كوسائط تنقل بركة الله للمشاركين في المائدة. يقول بولس في ١كورنثوس ١٦:١٠:

«كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟»

فأولئك الذين يتقدمون إلى مائدة الرب بإيمان حقيقي، تنتقل إليهم بركة الله بواسطة عنصري الخبز والخمر. ونرى بولس يؤكد على أن الكأس هي «كأس البركة»، أي الكأس التي تنقل البركة.

لكن علينا أن نبيِّن، على أية حال، أنَّ هذه الممارسة المُشار إليها أعلاه ليس فيها مكان لـ «السحر». فالبركات ليست ملاصقة أو مُتضمَّنة في الكأس والخبز، بل تُمنح فقط لأولئك الذين يدركون إرادة الله التي أعلنها في كلمته، وبالتالي يقبلون بالإيمان الشخصي والطاعة الشخصية ما يقدمه لهم الله عن طريق الكأس

والخبز. بدون إيمان وطاعة، لا بركة! بل على العكس من ذلك، يقول بولس في ١كورنثوس ١١:٢٩ بخصوص عشاء الرب:

«لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاق يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ.»

إذًا هناك احتمالان: الإيمان والطاعة يؤديان إلى قبول بركة الله من خلال العناصر المادية؛ عدم الإيمان وعدم الطاعة يؤديان إلى دينونة الله. وفي الحالتين، تنتقل القوة الروحية، سواءَ للبركة أو الدينونة، من خلال عنصري مائدة الرب.

في سفر العدد ٥:١١-٣١، هناك وصفٌ للممارسة التي كانت تُتَّبع لمعرفة إن كانت زوجة أحدهم مُخلصةً له أم لا. بالطبع هناك صلوات وتقدمات خاصة يتطلبها الأمر، لكن التركيز في تلك المراسيم كان على كوبٍ من الماء، يجعل فيه الكاهن شيئًا من غبار أرض المسكن المقدَّس، ويذيب فيه حبرًا كان قد كتب به لعنةً على تلك المرأة. ثم يُطلب من تلك المرأة أن تشرب الماء، فإن كانت مذنبة، ظهر مفعول اللعنة في جسدها:

«فَيَرِمُ بَطْنُهَا وَتَسْقُطُ فَخْذُهَا (أي تذوي)، **فَتَصِيرُ الْمَرْأَةُ لَعْنَةً فِي وَسَطِ شَعْبِهَا»** (عدد ٥:٢٧)

هذا يكون عقابها لسبب خطيتها. وهنا يعمل كوب الماء كوسيط تنتقل اللعنة من خلاله. فإذا كانت المرأة بريئة، لا تتعرض لأية تأثيرات ضارَّة. وهكذا يزكي الله برَّها، ولا يحقُّ لزوجها أن يتهمها بشيء فيما بعد، حيث أن براءتها قد حمتها من اللعنة.

الأمثلة المختلفة السابقة تؤكد على حقيقة روحية واحدة: في ظروف معيَّنة، يمكن انتقال البركات أو اللعنات من خلال أشياء مادية. من جانب آخر، إذا لم نلتزم بالممارسات التي يحددها الكتاب المقدس، ملتفتين إلى الكثير من الممارسات التي تقدمها الأديان الكاذبة والسحر والشعوذة، فلا حدَّ حينئذٍ لما يمكن للأشياء المادية أن تنقله من لعنات!

في خروج ٢٠:٤-٥، يمنع الله بشكل قاطع (في الوصية الثانية من الوصايا العشر) صُنْعَ كل أشكال التماثيل والصور الوثنية التي تُستَخدَم استخداماتٍ دينية. ويحذر الله من يكسر تلك الوصية، من أنه سيجلب الدينونة، لا على نفسه فحسب، بل على نسله حتى الجيل الثالث على الأقل.

«لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ.»

وهذا يشمل أشياء كثيرة. فبحسب اختباري الذي شاركته معكم سابقًا، تعرَّضت بسبب التنانين الصينية المزخرفة إلى تأثير لعنةٍ خفية. صحيح أنني لم أكن أنوي السجود لتلك التنانين، لكنها كانت تمثل موضوعًا للعبادة الوثنية الشريرة التي كانت تمارس في الصين نحو ألف سنة.

وبعد أن تأملت لاحقًا بهذا الاختبار، لاحظت تأثيرًا آخر لتلك التنانين هو أنها لم تشكل حاجزًا أمام بركات الله المادية لي فحسب، لكنها كانت أيضًا حاجزًا منعني من إدراك وجود تلك البركات. تحررت من تأثيرها، وعندئذٍ فقط استطعت أن أميِّز بالإيمان ما أعدَّه لي الله.

ومنذ تلك اللحظة وأنا ألاحظ التأثير نفسه في حياة كثيرٍ من الناس الذين هم تحت لعنة. فاللعنة لا تمنع قبول بركة الله فحسب، بل تمنع إدراك وجود هذه البركة أيضًا. فإذا أشرق الروح القدس بنور كلمة الله في حياتنا فعندئذ فقط نفهم كيف أن إبليس كان يخدعنا ويغشنا.

الفصل الرابع

قائمة موسى بالبركات واللعنات

يقبل كثير من الناس حقيقة وجود البركات بكل سرور، لكنهم يشككون بوجود اللعنات التي يربطون بينها وبين ممارسات وخرافات تعود إلى العصور المظلمة. وهذا أسلوب غير واقعي في التفكير. فليس لنا أن نركز بشكل منفردٍ على جانبٍ ما من بين جانبين متصارعين، فقط لأن هذا الجانب يروق لنا، ونتجاهل الجانب الآخر لأنه لا يروق لنا! فالحار والبارد كلاهما حقيقي. والخير يقابل الشر، وكلاهما حقيقي أيضًا. هكذا أيضًا، البركات حقيقية وكذلك اللعنات.

توفر لي خدمتي فرصة الاحتكاك بمؤمنين من خلفيات متعددة وأماكن مختلفة. وقد وجدت أن معظم شعب الله لا يعرفون كيف يميزون بين البركات واللعنات. كثيرون هم المسيحيون المؤمنون الذين يحملون أثقال اللعنات، بينما كان ينبغي أن يتمتعوا بالبركات. ولمثل هذه الحالة سببان: أولًا، إنهم ببساطة لا يعرفون ما هي البركة وما هي اللعنة، أو لا يعرفون كيفية التمييز بينهما. ثانيًا، إن كانوا تحت لعنة، فهم لا يعرفون على أي أساس يستطيعون أن يتحرروا منها.

الله هو المصدر الأوحد العظيم لكل البركات، وإن كانت تصل إلينا عبر وسائط مختلفة. اللعنات أيضًا يمكن أن تصدر عن الله، لكنه ليس المصدر الوحيد. وسنناقش لاحقًا بعض المصادر الأخرى للَّعنات.

اللعنات التي تصدر عن الله هي من طرقهِ الرئيسية لدينونة العصاة والأشرار وغير المؤمنين. يقدم لنا تاريخ البشر سِجلًا طويلًا مخزيًا لتأثيرات لعنات الله

التي نطق بها ضد أمثال أولئك الناس.

صار مألوفًا عند الناس عبر السنوات أنَّ هناك نوعًا من الانقسام بين العهدين القديم والجديد. ووفق هذا التفسير، يصور العهد القديم الله باعتباره إله الغضب والدينونة، بينما يصوره العهد الجديد إلهًا للمحبة والرحمة. والواقع أنَّ العهدين متوافقان تمامًا، فكلاهما يعلن الله على أنه إله الرحمة والدينونة في وقت واحد.

قصة أريحا في يشوع ٦، تُظهر توافق هاتين الصفتين في طبيعة تعاملات الله بطريقة حيَّة واضحة لا تقل عمَّا نراه في العهد الجديد. فبينما وقعت مدينة أريحا تحت دينونة الله الشاملة، نجت راحاب الزانية وأهلها جميعًا فلم يصابوا بأذى. كما يشير الكتاب فيما بعد إلى أنَّ راحاب هذه تزوجت سلمون، أحد رؤساء يهوذا، وهكذا أخذت مكانها في سلسلة النسب التي خرج منها المسيَّا يسوع! (انظر متى ١:٥)

في رومية ١:١٧-١٨ يشرح بولس أن الإنجيل يشمل الإعلان الأسمى لرحمة الله ودينونته في وقت واحد:

«لأَنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ، لإِيمَانٍ ... لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ ...»

فمن جهة، تقدم رحمة الله البرَّ الذي يمنحه لكل من يقبل بالإيمان ذبيحة يسوع النيابية. لكن، في الوقت نفسه، تمثل هذه الذبيحة أسمى إعلان لغضب الله الذي انسكب على يسوع، إذ صار خطيةً ليتوحَّد مع خطية الإنسان. فما على المسيحيين الذين يشككون بحقيقة دينونة الله إلا أن يعاودوا التأمل بدلالات الصليب. حتى يسوع نفسه لم يكن بوسعه أن يجعل الخطية مقبولةً عند الله، فكان عليه أن يتحمل ملء غضب الله المنسكب كله!

ثم في رومية ١١:٢٢، يقدِّم بولس ثانيةً هذين الجانبين للتعاملات الإلهية جنبًا إلى جنب إذ يقول:

«فَهُوَذَا لُطْفُ اللهِ وَصَرَامَتُهُ ...»

فلكي نحصل على صورة دقيقة عن الله، علينا أن نضع هذين الجانبين أمامنا دائمًا. فبركاته تأتي من لطفه، أمَّا دينونته فمن صرامته. وكلا الجانبين حقيقي على قدر واحد.

ويوضح سليمان في أمثال ٢٦:٢ أنَّ هناك سببًا لكل لعنة:

«كَالْعُصْفُورِ لِلْفَرَارِ،
وَكَالسُّنُونَةِ لِلطَّيَرَانِ،
كَذلِكَ لَعْنَةٌ بِلاَ سَبَبٍ لاَ تَأْتِي.»

ولهذا المبدأ وجهان متقابلان: لا يمكن للعنة أن توجد بلا سبب؛ وحيثما وُجدت لعنة، لا بدَّ أن يكون هناك سببٌ وراءها. وقد تعلمت من خبرتي أنه من الأفضل اكتشاف سبب اللعنة من أجل مساعدة الناس على التخلص منها.

الأعداد الثمانية والستون من تثنية ٢٨ المخصصة لموضوع البركات واللعنات، تكشف السبب الرئيسي لكلٍّ من البركة واللعنة. في العددين ١، ٢ يتحدث موسى أولًا عن سبب البركة فيقول:

«وَإِنْ سَمِعْتَ سَمْعًا لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ ... تَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ الْبَرَكَاتِ وَتُدْرِكُكَ، إِذَا سَمِعْتَ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ.»

وتأتي الصيغة «سمعتَ سمعًا» مطابقة للأصل العبري؛ حيث يعمل المفعول المطلق «سمعًا» على توكيد الفعل «سمعَ». إذًا شروط التمتع بالبركات هي ببساطة: أولًا، أن تسمع لصوت الله؛ ثانيًا، أن تعمل بوصاياه.

وعبر كل العصور، كان هذان الشرطان هما المتطلبان الثابتان من أجل علاقة العهد مع الله. في خروج ١٩:٥، عندما أراد الله أن يدخل في عهده الأول مع شعب إسرائيل القديم على جبل سيناء، قال:

«فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ.»

فالشرطان الأساسيان هما سماع صوت الله وحفظ متطلبات عهده.

وتحت العهد الجديد، يصف يسوع بالطريقة نفسها «خِرافَه»، أو تلاميذه الحقيقيين، فيقول في يوحنا ٢٧:١٠:

«خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي ... فَتَتْبَعُنِي.»

فالمتطلبات الأساسية لم تتغيَّر: سماع صوت الرب واتّباعه بطاعة.

أمَّا سماع صوت الرب، فمن شأنه أن يتجاوز بنا كل حدود العبادات الدينية التقليدية والطقوس الشكلية. فما من شيء أكثر تفرّدًا وتحديدًا من سماع صوتٍ شخصي؛ إنه صوت الرب الذي يتضمن سماعه وجود علاقة حميمة، يتكلَّم من خلالها إلى كلٍّ واحدٍ منا بطريقة شخصية.

ولا يتكلم الرب عادةً عبرَ آذاننا أو أدمغتنا الطبيعية، لكنه يتواصل روحًا بروح؛ أي يتكلَّم بروحه لأرواحنا. فبهذه الطريقة، يخترق صوته أعمق أعماق كياننا. ومن أعماق أرواحنا، يتردد صدى صوته في كل جانب من جوانب شخصيتنا.

قد يتكلَّم الرب بهذه الطريقة من خلال الكتاب المقدس، أو قد يتكلَّم بإعلان مباشر. لكن مجرَّد قراءة الكتاب المقدس ليس كافيًا بحد ذاته إلا إذا تحولت الكلمات المكتوبة بالروح القدس إلى صوتٍ حي. فقط بعلاقة حية كهذه، نكون مؤهلين بالفعل لقبول بركاته التي وعد بها لأولئك الذين يسمعون صوته ويطيعونه.

ثم في تثنية ١٥:٢٨، يبين موسى السبب الرئيسي وراء كل لعنة:

«وَلكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ اللَّعَنَاتِ وَتُدْرِكُكَ.»

فسبب اللعنة هو عكس سبب البركة تمامًا. فبينما تنشأ البركة من سماع صوت الله والعمل بوصاياه، تأتي اللعنة من عدم سماع صوت الله وعدم العمل بوصاياه. هذا الرفض لسماع صوت الله وإطاعته، يمكن تلخيصه بكلمة واحدة: «تمرُّد» - لا ضدَّ إنسان، بل ضدَّ الله نفسه.

كما يقدِّم موسى في تثنية ٢٨ قائمتين شاملتين تقريبًا للأشكال المختلفة للبركات واللعنات. تُذكر البركات في الأعداد ٣-١٣، واللعنات في الأعداد ١٦-٦٨. وكل من يرغب بفهم هذه الموضوع جيدًا، عليه أن يدرس هذا الأصحاح كله بعناية كبيرة.

وفقًا لدراستي الخاصة، قمت بتصنيف البركات واللعنات في قائمتين مختصرتين بحسب الترتيب الوارد في تثنية ٢٨. وفيما يلي مُلخَّصي المقترح للبركات:

- ♦ الرفعة
- ♦ الصحة
- ♦ الإثمار
- ♦ الفيض المادي
- ♦ الانتصار
- ♦ رضى الله

ويَتضمن الإثمار كل جوانب حياة الإنسان المنتجة، بما في ذلك العائلة والمواشي والمحاصيل الزراعية والعمل والمواهب الخلّاقة. هذه جميعها ستعكس بركة الله بطريقة ملائمة.

ويعمد موسى إلى المزيد من التفصيل في سرده للّعنات في الأعداد ١٦-٦٨. والأساس على أية حال، هو أنَّ اللعنات معاكسة للبركات. وفيما يلي قائمتي المقترحة:

- ● الذلُّ.
- ● الأمراض النفسية والجسدية.
- ● الفقر.
- ● الغمُّ وضيق الصدر.
- ● عدم رضى الله.
- ● العقم وعدم الإثمار.
- ● الانهيار العائلي.
- ● الانهزام.
- ● الفشل.

وكان موسى في العدد ١٣ قد ختم قائمة البركات بصورتين جميلتين؛ من الحسن أن يتأمل بهما كل واحد منا، ويفكر بكيفية ارتباطهما بحياته. يقول موسى أولًا:

«وَيَجْعَلُكَ الرَّبُّ رَأْسًا لاَ ذَنَبًا.»

وقد سألت الرب يومًا أن يريني المعنى العملي لهذه الكلمات في حياتي. وشعرت بأنه أجابني إلى ذلك، حيث فهمت أنَّ الرأس يتخذ القرارات، أمَّا الذنب فينجرُّ وراءه. وهكذا يأتي دوري لكي أعرف أيَّ دور لي من بين هذين الدورين! هل أسلك كما يليق برأس، مسيطرًا على كل ظرف، متخذًا القرارات المناسبة وساعيًا لتنفيذها بنجاح؟ أم أنني مجرَّد ذَنَبٍ تجرُّني قوة ظروفٍ لا أفهمها ولا أسيطر عليها؟

وزيادةً في الإيضاح، يستخدم موسى عبارةً أخرى مكمِّلة:

«وَتَكُونُ فِي الارْتِفَاعِ فَقَطْ وَلاَ تَكُونُ فِي الانْحِطَاطِ.»

ولنا في الحوار البسيط التالي بين رجلين مؤمنين توضيحٌ لطيف:

الأول: «كيف حالك اليوم؟»

الثاني: «أنا بخير تحت هذه الظروف.»

الأول: «يسعدني سماع ذلك. ولكن ما الذي تفعله **تحت** الظروف يا صديقي؟!»

ولنا في خاتمة موسى هذه فرصةٌ لتقييم أنفسنا. هل أنا أعيش رأسًا أم ذنبًا؟ هل أنا تحت ظروفي أم فوقها؟ إجابات هذين السؤالين تساعدنا على إدراك مقدار البركات الإلهية التي نتمتع بها بالفعل.

الفصل الخامس

سبعة مؤشرات للعنة

من خلال خبرتي وملاحظاتي الشخصية، كوَّنت قائمةً من سبع مشاكل أرى أنها تشير إلى وجود لعنةٍ ما. وعندما قارنت لائحتي هذه بما ذكره موسى في تثنية ٢٨، كان التوافق بينهما مدهشًا.

١) الانهيار العقلي أو العاطفي.

٢) الأمراض المتكررة أو المزمنة (خاصة الوراثية منها).

٣) العقم، الإسقاط المتكرر للجنين، أو أية مشاكل نسائية مشابهة.

٤) انهيار العلاقات الزوجية والتفكك الأسري.

٥) عدم الاكتفاء المادي بشكل متواصل.

٦) التعرُّض المتكرر لحوادث معينة.

٧) تاريخ من حوادث الانتحار أو الموت المبكِّر أو غير الطبيعي.

إن وجود واحدٍ أو اثنين من هذه المؤشرات، ليس بالضرورة دليلًا كافيًا لاستنتاج وجود لعنةٍ ما. لكن إن اجتمعت عدة مؤشرات منها، أو ظهر أنَّ أحدها يتكرر بصورة غير طبيعية، فإنَّ احتمال وجود اللعنة يزيد بمقدار الكثرة والتكرار. أما «التشخيص» المطلق الدقيق، فهو من شأن الروح القدس دون سواه.

١) الانهيار العقلي أو العاطفي:

العبارات الموافقة لذلك من تثنية ٢٨ هي: الجنون (٢٨، ٣٤)[١]؛ الاضطراب وحيرة القلب؛ الفوضى (٢٠، ٢٨)؛ القلب المرتجف وذبول النفس؛ النفوس اليائسة (٦٥).

الجوانب المتأثرة هنا توصف بأنها العقل أو القلب أو النفس، أي أنَّ الحصن الداخلي لشخصية الإنسان قد تعرَّض للخرق من قبل قوى معادية غازية. ومن يصاب بهذه الحالة، لا تعود له سيطرة تامة على أفكاره أو عواطفة أو ردود فعله. وقد تنتابه على نحو موصول خيالاتٌ داخلية تقول له باستمرار: «أنت فقدت السيطرة .... ليس لك رجاء .... انتهى الأمر بأمك إلى مصحة عقلية، وهكذا سينتهي الأمر بك أيضًا!»

وقد أدهشني عدد المؤمنين الذين اكتشفت أنهم يعانون من مثل هذه الصراعات الداخلية. وهم يكونون في البداية مترددين بالإقرار بمشكلتهم أمام الآخرين - أو حتى أمام أنفسهم - خوفًا من أن يكون ذلك بمثابة إنكارٍ لإيمانهم.

«الفوضى» و«الاكتئاب» كلمتان أساسيتان. والأغلب أن يكون لهما جذور في نوعٍ من ممارسات السحر والتنجيم وما شابهها. وكثيرًا ما يتضمن الأمر نشاطًا شيطانيًا. وفي معظم الحالات، من الضروري أن نتعامل أولًا مع الممارسات السحرية وأن نبطل اللعنة، قبل أن نتمكن من طرد الأرواح الشريرة.

٢) الأمراض المتكررة أو المزمنة (خاصةً الوراثية منها):

هناك الكثير من الأمراض التي نجدها في تثنية ٢٨: الوبأ - أي الأمراض السارية (٢١)؛ الأمراض المميتة، السلُّ والحُمَّى، الالتهاب، الجفاف والذبول (٢٢)؛ قروح تستعصي على الشفاء (٢٧، ٣٥)؛ عمى (٢٨)؛ أمراض ردية ثابتة، مخيفة وخبيثة ومزمنة (٥٩)؛ كل داء وكل بليةٍ أخرى (٦١).

---

(١) الكلمات المأخوذة في هذا الجزء من تثنية ٢٨، مأخوذة من ترجمات أخرى كالتفسيرية (كتاب الحياة) والعربية الجديدة (الشتركة).

وهـذا لا يعنـي أن كل مـرضٍ أو داء ناتـج عـن لعنـة. على أيـة حـال، هنـاك كلمـات أساسـية وردت أعـلاه ممـا يمكـن اعتبـاره إنـذارًا بإمكانيـة وجـود لعنـةٍ مـا، وهـذه الكلمـات هي: وبـأ، مميتـة، تستعصـي علـى الشـفاء، مخيفـة، خبيثـة ومزمنـة. إن هـذه الصفـات تكـوِّن مـا يمكـن أن نسـميه «بيئـة اللعنـة»، وهي تشـير إلى وجـود الـشر ونشـاط القـوات الشـيطانية الحاقـدة.

أمَّـا الكلمـة «خبيـث» (اسـتخدمت في ترجمـات أخـرى لتثنيـة ٥٩:٢٨ غـير ترجمـة بسـتاني - فانديـك) فـهي اليـوم مصطلـح طـبي مألـوف. لكـن التعريـف الأصـلي للكلمـة يتضمـن معـنى الرغبـة فـي إيـذاء الآخريـن. وواضـحٌ أنَّ هـذا المعـنى هـو وصفٌ لشـخصٍ لا لحالـةٍ جسـدية. أي أنهـا تتضمـن نشـاطًا شريـرًا خبيثًـا وواعيًـا. إن اسـتخدامنا لهـذا المصطلـح في الطـب، لهـو مـؤشرٌ لإقرارنـا اللاشـعوري بأننـا نتعامـل مـع عنـاصر ليسـت ماديـةً بشـكل مطلـق.

وهنـاك مصطلـح آخـر ذو دلالـة هامَّـة يُسـتخدم لوصـف بعـض أنـواع الأمـراض، وهـو المصطلـح «وراثي»، وهـو يصـف حالـةً تنتقـل مـن جيـل إلى جيـل. وهـذا مـن العلامـات الأساسـية جـدًا للإشـارة إلى نشـاط لعنـةٍ مـا. لذلـك، كلمـا طُلـب إليَّ أن أصـلِّي مـن أجـل شـخص مصـاب بمـرضٍ جسـدي وراثي، أكـون منفتحًـا دائمًـا على احتماليـة أنـني أواجـه أحـد آثـار لعنـةٍ مـا.

أحـد أصدقـائي، وهـو راعي كنيسـة، كان في السـتين مـن عمـره عندمـا أظهـر التشـخيص الطـبي أنـه يعـاني مـن (hemochromatosis)، وهـو مـرض يجعـل الجسـم يفـرز كميـة كبـيرة مـن الحديـد في الدم ويخزِّنهـا في أعضـاء أساسـية مـن أعضـاء الجسـم، خاصـةً في الكبـد والقلـب. وكان والد ذلـك الرجـل قـد مـات مـن المرض نفسـه في السـابعة والسـتين مـن عمـره. أعلـن الطبيـب أنَّ المـرض وراثي ولا عـلاجَ له وأنـه يهـدد حيـاة المريـض. فـكان على صديـقي أن يخضـع لعمليـة فصـدٍ (phlebotomy) كل أسـبوع (وهي طريقـة قديمـة تتـم فيهـا إراقـة الدم مـن أجـل تنقيتـه).

بعد صلاةٍ كثيرة، خاصةً في إحدى مجموعات الصلاة، وقف صديقي أمام شعب الكنيسة في أحد الاجتماعات الصباحية وأعلن ببساطة وبغير انفعال عاطفي: «باسم يسوع، أنا أحرر نفسي من كل ميراث شرير انتقل إليَّ من أبي.» فشُفي في الحال شفاءً تامًّا. مرت خمس سنوات منذ ذلك الحين (وإلى وقت كتابة هذا الكتاب)، لم يحتج صديقي خلالها إلى أي علاج، ولا عاودته المعاناة من ذلك المرض.

في ملاحظاتي السابقة، تعمَّدت التحذير من النظر إلى أي مرض محدد على أنه ناتجٌ بالضرورة عن لعنة. بالنسبة لكثير من الأمراض التي ذكرناها، هناك دائمًا احتمال كبير لوجود لعنةٍ ما، لكن من الخطأ التأكيد على ذلك دون وجود دليل إضافي. هناك «خبير» واحد فقط يمكن اعتبار تشخيصه نهائيًا وقاطعًا؛ إنه الروح القدس. وعلينا أن نحرص دائمًا على الاتكال عليه.

٣) العقم، الإسقاط المتكرر للجنين، أو أية مشاكل نسائية مشابهة:

مفتاح الحديث عن هذه النقطة قول موسى في تثنية ٢٨:١٨: «**مَلْعُونَةً تَكُونُ ثَمَرَةُ بَطْنِكَ**». وقد تصيب هذه اللعنة أيًّا من الأعضاء أو الأنشطة الحيوية المرتبطة بالإنجاب. وقد تعاملنا أنا وروث مع المئات من النساء اللواتي كنَّ يعانين من ضعفاتٍ مختلفة تندرج تحت عنوان «مشاكل نسائية». وهي تتضمن: عدم القدرة على الإنجاب، الإسقاط المتكرر للجنين، انقطاع الدورة الشهرية، عدم انتظام الدورة الشهرية، تشنجات حيضية موهنة، البرود الجنسي، أكياس أو أورام أو غيرها من الزوائد أو التشويهات البنوية التي تؤثر على أيٍّ من الأعضاء المرتبطة بعملية الإنجاب. وغالبًا ما يؤثر هذا النوع من اللعنة على عائلات بأكملها، بحيث تتعرض كل أو معظم الإناث في تلك العائلة إلى المشكلة نفسها.

وقد اتخذنا أنا وروث مبدأً يتضمن ألا نصلي مع نساءٍ مصابات بحالة من هذه الحالات إلا بعد أن نحدثهن عن طبيعة اللعنات وأسبابها، وبعد أن نصلي معهن من أجل التحرير. وفي حالاتٍ كثيرة، كان هذا الإجراء يؤدي إلى شفاء وسلامة الأعضاء

المريضة أو المصابة. فقد ثبت لنا أنَّ إبطال اللعنة كافٍ في كثير من الحالات، دون اللجوء إلى الصلاة من أجل الشفاء بشكل محدد.

الرسالة التالية توضح ماهية النتائج التي يمكن أن تتبع إبطال لعنة العقم:

تزوجنا منذ ١٢ عامًا ولم نتمكن طوال تلك الفترة من إنجاب أطفال. الفحوصات الطبية بيّنت عدم وجود أي عيبٍ صحي بي أو بزوجي.

وفي يوم ٧ تموز (يوليو)، ١٩٨٥، حضرنا اجتماعًا في أمستردام كنتَ تتكلَّم فيه. وقد تحدثت عن الشفاء والأسباب التي تمنع الشفاء. ولمَّا بدأت تتكلم عن اللعنات على العائلات، كلَّم الرب قلبي بأنَّ هذه هي المشكلة في عائلتي. وعندما قدتَ الجميع في صلاة للتحرير من أية لعنة على حياتهم، شعرت بإحساس مؤكدٍ بأنني قد تحررت من تلك القيود.

عندما اقتربتُ من المنبر، طلبتَ مني أن أدعو زوجي للصلاة أيضًا. ثم صليت معنا، وأعلنت كسر تلك اللعنة عني وعن زوجي. ولمّا وضعت روث يديها على بطني قالت أن «لا أكون عاقرًا فيما بعد ولا غير مثمرة.» ثم طُلب من جميع الحاضرين أن يقفوا ويصلوا من أجلنا بنفسٍ واحدة. وبعد الاجتماع، شعرنا أنا وزوجي بتأكيد قوي بأن الرب سمع صلاتنا.

بعد حوالي سنتين ونصف من تلك الحادثة، وفي اجتماع عام آخر في إنجلترا، حضر هذان الزوجان ورأينا على أيديهما طفلًا جميلًا هو إظهارٌ للبركة التي حلَّت محلَّ لعنة العقم في حياتهما.

كما اتضحت الصلة بين مشاكل الحيض (الدورة الشهرية) واللعنة، في رسالةٍ أخرى يعود تاريخها إلى ٢٢ كانون الثاني (ديسمبر)، ١٩٨٧، وقد أرسلتها سيدة مسيحية مؤمنة في الثلاثينات من عمرها تخدم الربَّ في جنوب شرق آسيا:

عام ١٩٨٥، استعرت مجموعةً من الكاسيتات التي تم تسجيلها في سنغافورة. وكان من بينها رسالة مُسجَّلة لديريك برنس بعنوان «البركات واللعنات.» وبعد الاستماع إلى هذه الرسالة ذات ليلة في غرفتي، وقفت في الظلمة لأردد الصلاة الموجودة في نهاية الشريط رغم أنني لم أكن مدركةً لوجود لعنةٍ محدَّدةٍ. كل ما فكرت به هو أنه إن كان هناك شيء فسأتحرر منه!

لم أدرك مباشرة حدوث أي تغيير، مع أنَّ شيئًا قد تغيَّر بالفعل، إلا أنَّني لم ألمسه إلا فيما بعد. وقد دفعني الربُّ إلى عمل جدولٍ بمواعيد الدورة الشهرية. لم أكن قد فعلت ذلك من قبل لأنه لم يكن لي دورة منتظمة منذ أن بلغت الثالثة عشرة من عمري، فلم أجد أهميةً في تسجيل المواعيد. والواقع أن عدم الانتظام في الدورة الشهرية عندي كان شديدًا حتى أنها كانت تختفي أحيانًا ستة أشهر أو ثمانية أو عشرة.

استشرت أطباء في ذلك وأنا في العشرينات، وأخذت أدوية كثيرة بلا فائدة، هذا عدا عن الكثير من «النصائح» غير الحكيمة وغير المرضية للرب.

صليت من أجل هذه الحالة، لكن ليس بالجدية الكافية - ربما لأنني كنت عزباء - لكن الأطباء قالوا لي إنني سأعاني قدرًا من عدم الراحة وعدم الانتظام في عملية الأيض[٢] بسبب عدم التوازن الهرموني، وإنَّ هذا سيستمر إلى أن تُصحَّح حالتي.

استمعت إلى الشريط ثانية بعد بضعة أشهر، فصعقتني عبارة ديريك برنس: «معظم، إن لم يكن كل، حالات الاضطراب في الدورة الشهرية ناتجة عن لعنة.» وأدركت بالرجوع إلى مفكرتي أن المواعيد صارت منتظمة بشكل مذهل (كل ٢٨ يومًا)، وذلك منذ أن رفعت تلك الصلاة في شهر آب (أغسطس)، ١٩٨٥. اندهشت إذ أدركت بأنني شفيت، وبأن الرب هو الذي دفعني لتسجيل مواعيد الدورة.

(٢) عمليات البناء والهدم التي تتم داخل الخلايا لتؤمن الطاقة للنشاطات الحيوية المختلفة.

ولمَّا رجعت إلى الماضي في محاولة لمعرفة مصدر تلك «اللعنة» - إذ أنَّ لعنةً بلا سبب لا تأتي - تذكرت كيف كنا أنا وزميلاتي في سنوات المدرسة الأخيرة (بين ١٣ و١٧ عامًا)، نشير إلى العادة الشهرية باسم «اللعنة». ألا يؤكد هذا حقًا أنَّ «**اَلْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ**» (أمثال ١٨:٢١)؟

ومنذ ذلك الحين، آب (أغسطس)، ١٩٨٥، وأنا أسجِّل مواعيد دورتي الشهرية، لأجد أن دورتي تتراوح بشكل منتظم بين ٢٧ إلى ٢٩ يومًا. ووزني الذي كان يتقلب باستمرار، استقر بشكل طبيعي.

من المهم أن نلاحظ هنا، كما في حالة مريم في الفصل الثاني، أنَّ هذه السيدة لم تصلي من أجل الشفاء الجسدي، بل حررت نفسها ببساطة من اللعنة، وجاء الشفاء نتيجةً لذلك.

وفي مجال الإنجاب أيضًا، هناك علاقةٌ مألوفة تشير إلى وجود لعنة ناشطة: أن يولد طفلٌ والحبلُ السُرِّي مربوط حول رقبته، وأحيانًا ملفوف حولها أكثر من مرة! وهذا كثيرًا ما يؤدي بالطبع إلى ولادة الجنين ميِّتًا - فيكون هناك موت بدلًا من الحياة الجديدة.

٤) انهيار العلاقات الزوجية والتفكك الأسري:

من آثار اللعنة في هذا المجال ما تصفه كلمات تثنية ٢٨:٤١:

«**بَنِينَ وَبَنَاتٍ تَلِدُ وَلاَ يَكُونُونَ لَكَ، لأَنَّهُمْ إِلَى السَّبْيِ يَذْهَبُونَ**».

وما أكثر الآباء والأمهات الذين اختبروا هذه اللعنة في هذا الجيل! لقد راقبوا أولادهم وبناتهم يؤخذون أسرى لحضارةٍ ساقطةٍ مكرَّسةٍ للمخدرات والجنس والموسيقى الشيطانية وكل أشكال الشعوذة والتنجيم.

وفي ملاخي ٤:٥-٦، يرسم النبي لوحةً كئيبةً مريعة لحال هذا العالم قبيل انتهاء هذا الدهر:

«هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ، وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلاَّ آتِيَ وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ».

يصور ملاخي قوَّةً شريرة تعمل على بعث روح الغربة بين الآباء والأبناء، وتحطيم العلاقات الأسرية. ويحذر من أنه إن لم يتدخل الله، فإن هذه اللعنة التي تعمل على تدمير الحياة العائلية، ستعمُّ الأرض كلها وتدمرها كليًا.

لقد وضع ملاخي أصبعه على أكثر المشاكل إلحاحًا في حضارتنا المعاصرة. وعلينا أن ندرك أنَّ السبب وراء ذلك هو لعنة أدت إلى آلام البيوت الممزقة والعلاقات الزوجية المحطمة والأسر المفككة. وربما تكون الكلمة «عزلة» هي الأكثر تصويرًا للقوة المسؤولة عن هذه الحال. فها هي العزلة تقوم بين الزوج وزوجته، بين الآباء وأولادهم، وبين الأخ وأخيه، بل وتشمل كل الآخرين الذين كان ينبغي أن يرتبطوا بعلاقات عائلية. وهدف هذه القوة هو تدمير العائلة.

أمّا الذين يقبلون مشورة الله، فلهم رجاء في التغلب على هذه المشكلة. نعم، هناك علاج. علينا أولًا أن نواجه حقيقة وجود لعنة، ثم علينا أن نتخذ الخطوات التي تشير علينا بها كلمة الله لإبطال اللعنة وتحرير أسراها. لقد رأيت عائلاتٍ كثيرةً تتغير وتستعيد وضعها الطبيعي من خلال الاعتماد على علاج كلمة الله.

٥) عدم الاكتفاء المادي بشكل متواصل:

في تثنية ٢٨ هناك عبارتان مرتبطتان بهذا الموضوع: «**مَلْعُونَةً تَكُونُ سَلَّتُكَ وَمِعْجَنُكَ**» (١٧)؛ «**وَلاَ تَنْجَحُ فِي طُرُقِكَ**» (٢٩) هذه العبارة الأخيرة تتضمن في معناها الأصلي معنى الازدهار والنجاح من الناحية المادية. أمَّا الصورة المتكاملة لعمل هذه اللعنة، فهي مفصَّلةٌ بوضوح في العددين ٤٧-٤٨:

«**مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ لَمْ تَعْبُدِ** (أو تخدم) **الرَّبَّ إِلهَكَ بِفَرَحٍ وَبِطِيبَةِ قَلْبٍ لِكَثْرَةِ كُلِّ شَيْءٍ. تُسْتَعْبَدُ لأَعْدَائِكَ الَّذِينَ يُرْسِلُهُمُ الرَّبُّ عَلَيْكَ فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ وَعُرْيٍ وَعَوَزِ كُلِّ شَيْءٍ.**»

ويقدِّم موسى هنا بديلين متقابلين لا ثالث لهما. في العدد ٤٧، يشير إلى إرادة الله من جهة شعبه المطيع وهي أن يعبدوا الرب وأن يخدموه «**بِفَرَحٍ وَبِطِيبَةِ قَلْبٍ لِكَثْرَةِ كُلِّ شَيْءٍ.**» وفي العدد ٤٨، يصف اللعنة التي ستحلُّ على شعب الله إن لم يطيعوا إلههم فيقول:

«**تُسْتَعْبَدُ لأَعْدَائِكَ الَّذِينَ يُرْسِلُهُمُ الرَّبُّ عَلَيْكَ فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ وَعُرْيٍ وَعَوَزِ كُلِّ شَيْءٍ.**»

لاحظ الجوانب التي يشملها هذا الوصف: جوع، عطش، عُري، وعَوَز كل شيء (أي الحاجة إلى كل شيء). ضع هذه العناصر الأربعة معًا في حالة واحدة، والنتيجة لا يمكن وصفها إلا بكلمتين: «فقرٌ مطلق»!

هذان العددان معًا، ٤٧-٤٨، يشيران إلى استنتاج بسيط واحد: الاكتفاء المادي هو بركة، أما الفقر فهو لعنة.

كان قد تطور عبر القرون مفهوم تقليدي داخل الكنيسة المسيحية يعتبر الفقر بركةً! صحيحٌ أنَّ الله يحنُّ على الفقراء، وكذلك ينبغي على المؤمنين أن يكونوا مستعدين لتقديم تضحيات شخصية كبيرة من أجل الفقراء. لكن الكتاب المقدس لم يقل مرةً واحدةً أنَّ الله (يمنح) الفقر كبركة لشعبه المؤمن!

وهنا أيضًا ينسجم إعلان العهد الجديد مع القديم. ففي ٢كورنثوس ٨:٩، يلخِّص بولس عطاء الله الوافر للمؤمنين بقوله:

«**وَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ.**»

في هذه الكلمات الموجزة، يؤكد بولس ويعود فيؤكد كلامه مشدِّدًا على إظهار كرم وسخاء العطاء الإلهي. تظهر الإشارة إلى الازدياد مرتين: «**يَزِيدَكُمْ**»، «تزدادون»، وهي هنا بمعنى «الفيض» (انظر ترجمات أخرى). أمَّا الكلمة «كل» فتظهر

خمس مرات: **كُلَّ نِعْمَةٍ .... كُلُّ اكْتِفَاءٍ ... كُلَّ حِينٍ ... كُلِّ شَيْءٍ ... كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ.** هذا مقياس العطاء الإلهي؛ إنه يتجاوز مجرَّد الكفاية ويرفعنا إلى مستوى الفيض، حيث يوفر لنا أكثر من حاجتنا لكي نقدم نحن أيضًا للآخرين.

لكن لا ينسجم مع الكتاب المقدس أن نفسِّر مفهومي الفقر والفيض وفق معايير الحضارة الغربية المعاصرة. في يوحنا ٦:٣٨، يعلن يسوع دافع حياته على الأرض قائلًا:

«لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي.»

وينبغي أن يكون دافع التلميذ كدافع سيده: أن يعمل مشيئة الله.

من هذا المنطلق، نستطيع أن نعرِّف «الفقر» و«الفيض» كما ينبغي. فالفقر هو أن يكون لديك أقل ممَّا تحتاج لتتميم إرادة الله في حياتك. كلما اتسعت الفجوة بين ما يتوفر لديك وبين ما تحتاج إليه، كلما ازدادت درجة الفقر. أمَّا الفيض فهو أن يتوفر لديك المزيد لكي تعطي غيرك أيضًا. فالله لا يقدم لنا مستوىً من الفيض لكي نبذره في لذاتنا الشخصية الجسدية، بل لكي نستخدمه في «كل عمل صالح»، وهذا يتضمن مشاركة الآخرين ببركات النعمة التي تفيض في حياتنا.

فإذا اتفقنا على تعريف «الفقر» و«الفيض» بهذا المعنى، نستنتج أنه لا يوجد مقياس مطلق ينبغي أن ينطبق على كل المؤمنين، بل يجب تحديد المقياس لكل مؤمن على انفراد بالمقارنة مع مشيئة الله في حياة ذلك المؤمن.

وربما تحتاج استنتاجاتنا من جهة الفقر والفيض إلى مزيد من التوضيح. أولًا، علينا أن ندرك أن الإيمان بالحصول على الفيض الإلهي ينبغي أن يخضع للامتحان. قد تأتي أوقات نضطر فيها لحصر أنفسنا في حدٍّ أدنى من الاكتفاء. لكن هذه الفترات ينبغي أن تكون مؤقتة. فإذا تنقَّت دوافعنا من الشوائب وثبت إيماننا أمام الامتحان، يطلق الله فيضه بمقياسٍ هو يعرف أننا نستطيع استخدامه لمجده.

علينا، ثانيًا، أن ندرك أنَّ هناك مستوىً آخر من الثروة والفيض أعظم جدًا من المستوى المادي. عندما أدار موسى ظهره لثروة مصر وغناها، ومضى ليستقرَ في الصحراء، يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين أنه فعل ذلك «**حَاسِبًا عَارَ الْمَسِيحِ غِنًى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ**» (عبرانيين ١١:٢٦). ليس أنَّ موسى قد خضع للفقر، لكنه استغنى عن الغنى المادي بغنى آخر أعظم وأوفر.

وبهذه الطريقة نفسها، هناك مؤمنون تخلّوا عن الغنى المادي طوعًا، لكي يخدموا الله، وذلك عندما تكون الثروة عائقًا أمام الخدمة. وكثيرًا ما يكون هذا متطلبًا أساسيًا للإحساس بالفقراء والمضطهدين على هذه الأرض. ويقارن سليمان في أمثال ١٣:٧ بين مثل هذا الشخص الذي تخلى عن الثراء، وبين آخر همه الوحيد هو الغِنى المادي:

«يُوجَدُ مَنْ يَتَغَانَى
وَلاَ شَيْءَ عِنْدَهُ،
وَمَنْ يَتَفَاقَرُ
وَعِنْدَهُ غِنًى جَزِيلٌ.»

وهناك الكثير من المؤمنين المسيحيين هذه الأيام، يتحملون البلايا والاضطهادات من أجل المسيح. حتى أنَّ بعضهم حُرموا من كل شيء يمكن اعتباره غنى مادي، لكنهم - مقابل ذلك - يتمتعون بثروة أسمى وأرفع مقامًا.

لكن علينا أن لا نخلط بين هذا وبين الطبيعة الأساسية للفقر المادي المستمر. فعندما لا يكون الفقر المادي نتيجةً مباشرةً لالتزامٍ معيّنٍ بالمسيح، فإنه يكون علامة من علامات اللعنة، سواء كان ذلك يتعلق بفردٍ أو عائلةٍ أو مجتمعٍ كامل.

٦) التعرض المتكرر لحوادث معيَّنة:

وهي حالة نجدها في بعض الأشخاص الذين يتعرَّضون بصورة غير طبيعية

لحوادث شخصية متكررة. وليس في تثنية ٢٨ عبارة محددة تصف هذه الحالة، لكنني أجد تلميحًا إليها في العدد ٢٩: «... **فَتَتَلَمَّسُ فِي الظُّهْرِ كَمَا يَتَلَمَّسُ الأَعْمَى فِي الظَّلاَمِ.**»

ومن خصائص هذه اللعنة أنها تُلاحظ فيما يُسمى «حوادث غريبة». ومن الأمثلة الواضحة على ذلك تلك الفتاة التي أشرنا إليها في الفصل الثاني، إذ انكسرت رِجْلُها ثلاث مرات خلال سنة ونصف.

مثال آخر في بعض الأشخاص الذين يُعتبرون ماهرين في قيادة سياراتهم، ومع ذلك يتعرَّضون لحوادث سير كثيرة وبصورة غير طبيعية. وفي معظم الحالات، ربما يكون السبب خطأ (السائق الآخر)، لكن الحوادث تقع مرةً تلو أخرى. ومن العبارات النموذجية التي ترافق مثل ذلك الشخص قوله: «لماذا يحدث معي ذلك دائمًا؟!»

وإليك المزيد من الأمثلة التي اخترتها بطريقة عشوائية إلى حدٍّ ما، لبيان أنواع الحوادث التي قد تشير إلى وجود لعنة: كسر كاحل القدم عند تجاوز حافة الطريق؛ كسر حافة السن خلال مضغ قطعة من الفاكهة؛ إغلاق باب سيارة على الأصبع (ربما بسبب شخص آخر)، الانزلاق على الدرج والتدحرج عليه مما يؤدي إلى إصابات متنوعة؛ ابتلاع حسكة سمك؛ دخول حشرة في العين لتسبب التهابًا نادرًا؛ الإصابة بحجر طائش؛ خطأ جراحي يؤدي إلى إعاقة أو تشويه دائم .... ويمكن لهذه القائمة أن تمتد بلا نهاية.

يبدو كأن قوةً خفيةً مخادعة تعمل ضد أولئك الناس. فهي تعمل في لحظات حرجة على عرقلتهم أو دفعهم إلى عمل طائش أو سلوكٍ غير مرغوب فيه. ومن الطبيعي أن يقول الشخص المعني باستغراب: «لا أعرف لماذا فعلت هذا!» ملاحظة كهذه تكشف الكثير؛ إنها تعني أنَّ ذلك الشخص يدرك أن تصرفاته ليست تحت سيطرته تمامًا، بل هي تحت تأثير مجهول الهوية، لا يستطيع التعرف عليه ولا أن يحمي نفسه منه.

ولا يتعلق التعرف على هذا النوع من المشاكل باستنتاجاتنا الذاتية فحسب، بل هو أمر معترف به ويمكن قياسه بطريقة إحصائية. حتى أنَّ بعض شركات التأمين تستخدم هذه التحليلات الإحصائية لمعرفة الأشخاص الذي يُعتبر التأمين عليهم مخاطرة، وهكذا يطالبونهم بدفع أقساط تأمين مرتفعة!

٧) تاريخ من حوادث الانتحار والموت المبكّر أو غير الطبيعي:

في تثنية ٢٨ هناك الكثير جدًا من الإشارات إلى الموت المبكِّر أو غير الطبيعي حتى أنه يصعب تفصيلها هنا. وهذا النوع من اللعنة لا يؤثر في فرد بل في وحدة اجتماعية كبيرة كالأسرة أو العشيرة. وهي تنتقل من جيلٍ إلى آخر. وفي الكثير من الثقافات المختلفة، هناك إقرار بوجود قوة ما تعمل في تاريخ البشر وتلاحق عائلةً ما أو عشيرة ما بلا شفقة حتى تقضي عليها. الإغريق القدماء أعطوا هذه القوة مركز إلاهة وأسموها «نيمسيس - Nemesis» أي «إلاهة الانتقام.» وفي ثقافات أخرى، استخدم الناس مصطلحات أُخرى لوصفها. وتحت هذه المعتقدات الوثنية، هناك حقيقة موضوعية.

أولئك الواقعون تحت تأثير لعنةٍ كهذه، غالبًا ما يختبرون وجود قوة معيّنة تعيق تقدمهم. يشعرون أنَّ شيئًا شريرًا مظلمًا ينتظرهم على الطريق، ولا يعرفون وسيلةً لكي يتجنبوه! من الملاحظات المألوفة في هذه المجال أن يقول أحدهم: «هذا حدث مع أبي أيضًا، وأعتقد أنني التالي على القائمة!»

ومن الأعراض المألوفة لهذه اللعنة أن المصابين فيها يميلون إلى تحديد موعدٍ لموتهم، كأن يقول أحدهم: «أعرف أنني لن أعيش حتى الخامسة والأربعين!» أو يقول: «جميع الرجال في عائلتنا يموتون صغار السن!» ومضمون كلامه أن مصيره هو أيضًا أن يموت صغير السن، حتى وإن لم يقلْ ذلك صراحةً. إنهم يملكون نوعًا من الإيمان السلبي الذي يجعلهم يعتنقون الموت ويرفضون الحياة.

هـذه المؤشـرات السـبعة الـتي ذكرناهـا للدلالـة على اللعنـة، ليسـت هي العلامـات الوحيـدة، بـل يمكـن إضافـة علامـات أُخـرى. لكنـك ربمـا قـرأت مـا يكـفي حـتى الآن، لـكي تقيِّـم وضعـك الخـاص. مـن الممكـن مثـلًا أنـك أدركـت طبيعـة مشـكلتك دون أدنى شـك، فقـد رأيـت بـكل وضـوح مـؤشرًا أو أكـثر إلى وجـود لعنـةٍ تعمـل في حياتـك أو حيـاة عائلتـك.

أو ربمـا بـدأ ينتابـك شـعور مزعـج بإمكانيـة وجـود لعنـةٍ مـا، لكنـك لا تسـتطيع تحديـد إطـارٍ واضـحٍ لتلـك اللعنة. تشـعر مثـل الشـخص الذي وصفنـاه في الفصـل الأول؛ يكتنـف حياتـك طيـفٌ مظلـمٌ آتٍ مـن المـاضي دون أن تعـرف مصـدره. أو لربمـا رأيـت تلـك الذراع الشريـرة الممتـدة وهي تعمـل في ظـروف مختلفـة، لكنهـا تعمـل مـن خلـف حجـاب لـم تتمكـن مـن تمزيقـه بعـد.

مهمـا كان الحـال، لا بـدَّ أنـك ستسـأل نفسـك: «كيـف يحـدث هـذا مـعي؟ مـا مصـدر مشـكلتي؟» وهـذا يعنـي أنَّ الوقـت قـد حـان للانتقـال إلى القسـم الثـاني مـن هـذا الكتـاب، حيـث نـشرح الكثـير مـن المصـادر المألوفـة للَّعنـة. فـإن تمكنـت مـن اكتشـاف سـبب مشـكلتك الخاصـة، تكـون في وضـع أفضـل جـدًا يؤهلـك للتعامـل مـع تلـك المشـكلة بفعاليـة ونجـاح.

القسم الثاني

لعنة بلاسبب، لا تأتي

إن آليــة عمــل الــبركات واللعنــات في حياتنــا ليســت عشــوائية أو عصيــةً على الاســتيعاب. على العكــس مــن ذلــك، نجــد أنَّ الــبركات واللعنــات تعمــل وفــق نواميــس أبديــة ثابتــة. والكتــاب المقــدس بالطبــع هــو المصــدر الذي ينبــغي أن تتوجّــه إليــه ابتغــاء فهــمٍ صحيــح لتلــك النواميــس.

فــفي أمثــال ٢٦:٢، أعلــن ســليمان هــذا المبــدأ: «**لَعْنَــةٌ بِــلاَ سَــبَبٍ لاَ تَــأْتِي.**» فلكــل لعنــةٍ تداهمنــا، هنــاك ســبب. فــإن بــدا أنَّ في حياتنــا ثمــة لعنــة، علينــا أن نســعى إلى تحديــد ســببها. بعــد ذلــك، نكــون في الموقــع المناســب لاتخــاذ الإجــراء الــلازم بصددهــا. وإدراك الســبب، مــن شــأنه أيضًــا أن يســكت ذلــك الســؤال المزعــج: «لمــاذا يحــدث ذلــك مــعي دائمًــا؟!»

يكشــف هــذا القســم عــن الأســباب الكامنــة وراء اللعنــات الرئيســية الــتي كثــيرًا مــا تصيــب حياتنــا. فبعــد قــراءة هــذا القســم، ســتصبح أكــثر قــدرةً على فهــم واســتخدام العــلاج الذي يقدمــه الله. وســنتحدث عــن هــذا العــلاج في القســم الثالــث مــن هــذا الكتــاب.

الفصل السادس

آلهة زائفة

في الفصول السابقة، أكَّدنا على حقيقتين فيما يتعلق باللعنات التي يرسلها الله: أولًا، أنها إحدى الطرق الأساسية التي ينفذ بها الله دينونته على العُصاة والأشرار. ثانيًا، أنَّ سببها الرئيسي هو الابتعاد عن سماع صوت الله والعمل بكلامه، أو - بعبارة بسيطة، "عدم الطاعة."

ويمكن لعدم الطاعة أن تتخذ أشكالًا متعددة. لذلك، من الطبيعي أن نتساءَل: ما هي أهم أشكال عدم الطاعة التي تسبب التعرض للعنةٍ من الله؟

لا يترك لنا الكتاب المقدس مجالًا للشك في الإجابة. إن كسر الوصيتين الأولى والثانية من الوصايا العشر المذكورة في خروج ٢٠:١-٥، هو ذلك الشكل من عدم الطاعة الذي يؤدي إلى إعلان اللعنة الإلهية بكل تأكيد!

ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً:

«أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ.»

ما هما الخطيئتان اللتان يحددهما الله هنا؟ الأولى هي الاعتراف بأي إله آخر مع الله أو سوى الله. ليس كافيًا أن نقرَّ بأنَّ الرب الإله هو الأول والأعظم بين آلهة

أُخـرى، بـل علينـا أن نعلـم ونعـترف بأنـه هـو الإله الحقيـقي وحـده ولا إلهَ آخـر سـواه.

يعلن الرب في إشعياء ٤٥:٢١ بصورة حاسمة:

«أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ
وَلاَ إِلهَ آخَرَ غَيْرِي؟
إِلهٌ بارٌّ ومخلِّصٌ
لَيْسَ سِوَايَ.»

الخطيـة الثانيـة، بحسـب الوصيـة الثانيـة، هي أن نمثـل الله في تمثـالٍ أو صـورةٍ وأن نقـدم العبـادة لمثـل هـذه النمـاذج المصنوعـة بالأيـادي. ويحلـل بولـس في رومية ١:١٨-٢٣ مـا يتضمنـه كـسر هاتـين الوصيتـين:

«لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَـنٌ مِـنَ السَّـمَاءِ عَلَى جَمِيـعِ فُجُـورِ النَّـاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِيـنَ يَحْجِزُونَ الْحَـقَّ بِالإِثْـمِ. إِذْ مَعْرِفَـةُ اللهِ ظَاهِـرَةٌ فِيهِـمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَـا لَهُـمْ، لأَنَّ أُمُورَهُ غَـيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُـرَى مُنْـذُ خَلْـقِ الْعَالَـمِ مُدْرَكَـةً بِالْمَصْنُـوعَاتِ، قُدْرَتَـهُ السَّرْمَدِيَّـةَ وَلاَهُوتَـهُ، حَـتَّى إِنَّهُـمْ بِـلاَ عُـذْرٍ. لأَنَّهُـمْ لَمَّـا عَرَفُـوا اللهَ لَـمْ يُمَجِّـدُوهُ أَوْ يَشْـكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَـلْ حَمِقُـوا فِي أَفْكَارِهِـمْ، وَأَظْلَـمَ قَلْبُهُـمُ الْغَـبِيُّ. وَبَيْنَمَـا هُـمْ يَزْعُمُـونَ أَنَّهُـمْ حُكَمَـاءُ صَـارُوا جُهَـلاَءَ، وَأَبْدَلُـوا مَجْـدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْـنَى بِشِـبْهِ صُـورَةِ الإِنْسَـانِ الَّذِي يَفْـنَى، وَالطُّيُـورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَـاتِ.»

فأولئـك الذيـن يعترفـون بآلهـةٍ زائفـة ويمارسـون عبـاداتٍ وثنيـة، قـد تعمـدوا رفـض الإعـلان الواضـح عـن الله مـن خـلال الخليقـة. بـل إنهـم اختـاروا أن يعبـدوا أوثانًـا ازدادت خساسـةً عـصرًا بعـد عـصر. فقـد اتخـذت تلـك الأوثـان أشـكالًا بشريـةً في البدايـة، ثـم انحطـت إلى الطيـور فالحيوانـات وأخيـرًا الزواحـف! وهـذا يصـف تمامًـا حـال الممارسـات الـتي عرفتهـا مـصر القديمـة. فثلاثـة مـن آلهتهـم الرئيسـية كانـت "النـسر" و"ابـن آوى" و"أفـعى الكوبـرا."

ومـا أبطـأ أذهاننـا البشريـة في اسـتيعاب مقـدار الـشرِّ العظيـم الذي تتضمنـه عبـادة

الأوثان! فالله الحقيقي، المُعلن أولًا في الخليقة ثم في الأسفار المقدسة، هو إله قدوس مخوف مجيد قدير! فأنْ يمثِّله أحدهم على هيئة أي مخلوق كان - بشر أو حيوان - هي إهانة مقصودة! وهي سبب لإعلان غضبه دون أدنى شك.

اسمحوا لي أن أوضح ذلك بمثالٍ وإن لم يكن مُتقنًا: تخيَّل أن يرى أحدهم حشرةً زاحفةً على الأرض، فيلتقط لها صورةً، ثم ينشر تلك الصورة وقد كتب تحتها "هذا ديريك برنس!" لا بدَّ أنني سأفسِّر ذلك باعتباره إهانة متعمدة لي، فكم هو أسوأ بالحري أن يهين بعض الناسِ الله نفسه، وهم يطلقون اسمه، ليس فقط على مخلوقاته الأرفع شأنًا، بل على الأدنى والأخسِّ من تلك المخلوقات أيضًا!

أما دينونة الله ضد كسر هاتين الوصيتين، فنستطيع أن نرى فيها علامةً مميزةً من علامات اللعنة، وهي أنها تستمر من جيل إلى جيل وحتى الجيل الرابع على الأقل. في بعض الأمم، يعود تاريخ عبادة الآلهة الزائفة إلى مئات أو ألوف السنين، مما يضاعف آثارها المدمرة مراتٍ كثيرة.

ومن ينتمي إلى خلفيةٍ كهذه، هو وارثٌ للعنةٍ. لنا أن نشبهها بزوانٍ مزروعٍ في حياته، حيث تربطه بقوى شيطانية خارجية. ولهذا الزوان جذران: جذر طويلٌ يمتد إلى أسفل، وجذر جانبي أقل قوةً من الأول لكنه يتفرع في اتجاهات متعددة. فالجذر الطويل الرئيسي يمثل تأثير الأجداد الذين عبدوا آلهة زائفة، أمّا الجذر الجانبي فيمثل تأثيرات أُخرى تعرض لها ذلك الشخص خلال حياته، إمّا من خلال خطايا متنوعة اقترفها، أو من خلال صلته الشخصية بالآلهة الزائفة، أو من عدة مصادر أخرى متنوعة.

وقبل أن يتمكن ذلك الشخص من التمتع بالحرية الحقيقية وملء الخليقة الجديدة في المسيح، ينبغي قلع ذلك الزوان بجذوره كلها. والجذر الأهم والأصعب هو ذلك الجذر الطويل الذي يربطه بأجيالٍ كثيرة مضت كانت تمارس عبادة ألهةٍ زائفة. ولا شيء سوى نعمة الله وقوته الفائقة يمكن لهما أن ينزعا هذه الجذور

تمامًا. نعم، شكرًا لله من أجل الرجاء الذي لنا في وعد يسوع في متى ١٣:١٥:

«كُلُّ غَرْسٍ لَمْ يَغْرِسْهُ أَبِي السَّمَاوِيُّ يُقْلَعُ.»

لكن الخطايا التي تجلب مثل هذه اللعنة المنتقلة عبر الأجيال، لا تقتصر على العبادات الوثنية الواضحة كالتي ذكرناها، لكنها تشمل أيضًا إطارًا أوسع من الممارسات التي لا تُعتبر بشكل واضح ومباشر من قبيل عبادة الأوثان، بل قد لا ترتبط بالدين أصلًا. ولأن الطبيعة الحقيقية لتلك الممارسات مخفيةٌ خلف مصطلحات خادعة، كان من الملائم لغويًا وصفها بـ"السحر-."[٣] ولطالما عُرفت هذه الممارسات السحرية بقوتها التي تفتن عقل الإنسان الساقط. وليس تأثيرها في جيلنا الحاضر بأقل من تأثيرها في الأجيال السابقة.

وهناك رغبتان ملحتان هما الأكثر أثرًا في تشكيل طبيعة الإنسان: الرغبة بالمعرفة والرغبة بالنفوذ. ويستطيع الإنسان إلى حدٍّ معيَّن أن يُشبِع هاتين الرغبتين من مصادر طبيعية وبوسائل طبيعية. فإن لم يكتفِ تمامًا بما وصل إليه بهذه الطريقة، يتحول الإنسان حتمًا إلى مصادر فوق طبيعية. وفي هذه المرحلة، يصبح من السهل جدًا أن يقع في شِراك السحر (occult).

وسبب هذا ببساطة أنَّ هناك مصدرين لا ثالث لهما للمعرفة والنفوذ الفائقين للطبيعة: إمَّا الله وإمَّا الشيطان. فكل معرفة فوق طبيعية أو نفوذ فوق طبيعي لا ينبع من الله، لا بدَّ أن يكون من الشيطان. فإن كان من الله، فهو مشروع؛ وإن كان من الشيطان، فهو ليس مشروعًا.

وبما أن ملكوت الله هو ملكوت النور، فإن خدَّام الله يعرفون ماذا يفعلون ومن يخدمون. أمَّا مملكة الشيطان التي هي مملكة الظلام، فإن معظم أهل تلك المملكة لا يعرفون الهوية الحقيقية للشخص الذي يخدمونه، ولا الطبيعة الحقيقية لما يقومون به من أعمال.

---

(٣) "سَحَرَ" في اللغة تعني "خَدَعَ" (القاموس المحيط للفيروز آبادي). وتتضمن معاني الإخفاء والتلوُّن. ["occult" في الإنجليزية من أصل لاتيني يعني "خفي" أو "مُغطًّى" (المؤلف).]

هـذه الرغبـة الملحـة بالمعرفـة بطريقـة غـير مشروعـة، هي الـتي دفعـت إلى ارتكاب معصيـة الإنسـان الأولى في جنـة عـدن. كان الله قـد وضـع حـدًّا واضحًـا بـين الإنسـان وبـين شـجرة معرفـة الخـير والشـر. ومـا أن اجتـاز الإنسـان ذلـك الحـد، حـتى وجـد نفسـه أسـيرًا في أرض الشـيطان. ومنـذ ذلـك الحـين، وهـذا التـوق الشـديد إلى المعرفـة اللامشروعـة والنفـوذ اللامـشروع - يغـوي الإنسـان ويسـتدرجه إلى حيـث يـأسره الشـيطان بإرادتـه (انظـر ٢تيموثـاوس ٢:٢٦). وكمـا قلنـا، فـإن الاسـم العـام لمنطقـة الشـيطان هـذه هـو "السـحر" (occult).

أمّـا أولئـك العابـرون إلى تلـك المنطقـة، فإنهـم يطلبـون مـن الشـيطان أن يعطيهـم تلـك المعرفـة فـوق الطبيعيـة وذلـك النفـوذ فـوق الطبيـعي اللذيـن لم يسـمح الله للإنسـان بالسـعي إليهمـا عـن طريـق آخـر غـير طريـق الله نفسـه. وبعملهـم هـذا، يعـترف النـاس بالشـيطان كإلهٍ آخـر أمـام الله الحقيـقي الأحـد، كاسريـن بذلـك أولى الوصايـا العـشر، ومُعرِّضـين أنفسـهم للّعنـة الـتي أعلنهـا الله ضـد كل مـن يكـسر تلـك الوصيـة؛ اللعنـة الـتي تمتـد إلى الجيـل الرابـع!

ونحتـاج أن نؤكـد على هـذا الاسـتنتاج لأهميتـه القصـوى: **كل الذيـن يتورطـون في الممارسـات السـحرية، يُعرِّضـون أنفسـهم لتلـك اللعنـة الـتي أعلنهـا الله على كل مـن يكـسر الوصيـة الأولى.**

يصـف الكتـاب المقـدس، في مقاطـع مختلفـة منـه، الالتفـات إلى الآلهـة الزائفـة باعتبـاره "زنىً روحيًـا". ويديـن الكتـاب تلـك الخطيـة بشـكل أكـبر ممـا يديـن بـه خطيـة الـزنى الجسـدي. فـإذا فهمنـا ذلـك، نسـتنتج أنَّ التحذيـر الذي يقدمـه لنـا سـفر الأمثـال مـن العلاقـة بـ "المـرأة الأجنبيـة" (أي الزانيـة)، يمكـن أن يشـمل أيضًـا العلاقـة بالسـحر. في أمثـال ٥:٣-٦، تُصـوَّر تلـك المـرأة مغريـةً فاتنـةً أول الأمـر، إلا أنهـا تسـبب دمـارًا شـديدًا لأولئـك الذيـن يتبعـون إغواءهـا:

«لأَنَّ شَفَتَيِ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ تَقْطُرَانِ عَسَلًا،

وَحَنَكُهَا أَنْعَمُ مِنَ الزَّيْتِ،
لكِنَّ عَاقِبَتَهَا مُرَّةٌ كَالأَفْسَنْتِينِ،
حَادَّةٌ كَسَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ.
قَدَمَاهَا تَنْحَدِرَانِ إِلَى الْمَوْتِ.
خَطَوَاتُهَا تَتَمَسَّكُ بِالْهَاوِيَةِ.
لِئَلاَّ تَتَأَمَّلَ طَرِيقَ الْحَيَاةِ،
تَمَايَلَتْ خَطَوَاتُهَا وَلاَ تَشْعُرُ.»

العبارة الأخيرة بشكل خاص، تلقي الضوء على صِفَةٍ تنطبق تمامًا على السحر: "تمايلت خطواتُها ولا تشعُر." والمقصود أنَّ أساليبها تنوعت. ولا يمكن تحديد جميع أشكال الخداع التي يستخدمها السحر، فما أن تنكشف خدعة منها، حتى يُستعاض عنها بغيرها. من هنا كان من المستحيل أن نضع قائمة محددة كاملة بكل الأنماط المتنوعة للممارسات السحرية، لكن يمكن أن نذكر وأن نصنف باختصار هذه الفروع الرئيسية الثلاثة للسحر: **العِرافة، الرجم بالغيب، والشعوذة**[٤]

أما **العرافة** (witchcraft) فهي ذلك النوع من السحر (occult) الذي يختص بـ "**القوة**". وأساس العِرافة نجده في عبارة موجزة من ١صموئيل ١٥:٢٣: "**التَّمَرُّدَ كَخَطِيَّةِ الْعِرَافَةِ**." (النص الإنجليزي "witchcraft" من NKJV). فالعِرافة هي التعبير عن تمرد الإنسان ضد الله. إنها محاولة الإنسان للوصول إلى غاياته الخاصة من دون الخضوع لشريعة الله. أمّا قوتها المحرِّكة فهي الرغبة بالسيطرة على الناس

(٤) هناك بعض التداخلات اللغوية في استخدام كلمات "السحر والعرافة والشعوذة والرجم بالغيب" وغيرها، مما قد يجعل الترجمة العربية للنص الإنجليزي مشوِّشة بعض الشيء. كالتداخل بين "العِرافة" و"الرجم بالغيب" مثلًا. ولم نؤثر التصرف في الترجمة لاعتماد المؤلف على بعض الشواهد الكتابية المحددة في اختيار كلماته. من هنا آثرنا ترك النص كما هو مع تضمينه المصطلحات الإنجليزية التي اختارها المؤلف، وترجمات الكتاب المقدس التي استخدمها إذا لزم الأمر. علمًا بأن المؤلف خبير بلغات الكتاب المقدس الأصلية: اليونانية والعبرية. والمصطلحات ليست هي الأساس على كل حال، ما دام تعريفها متضمَّن في النص.

وعلى الظروف. ولتحقيق هذا الهدف، تستخدم الضغوط النفسية أو الأساليب الخارقة للطبيعة أو خليطًا من هذا وذاك.

وهناك ثلاث كلمات أساسية تكشف عن وجود نشاطٍ للعرافة: التلاعب والتخويف والهيمنة. والهيمنة هي الهدف النهائي، أمّا التلاعب والتخويف فهما أسلوبان يُستخدَمان بالتبادل لتحقيق ذلك الغرض. فحيثما استخدم الناس تكتيكات، بالكلام أو بغير كلام، للتلاعب بمن حولهم وتخويفهم والهيمنة عليهم، نعلم أنَّ في الأمر عِرافة.

فالعرافة بأبسط أشكالها هي التعبير المجرَّد عن الطبيعة المتمردة الفاسدة للبشرية الساقطة. وفي غلاطية ٥:٢٠، يقول بولس إنَّ من ضمن أعمال الجسد: «**عِبَادَةُ الأَوْثَانِ سِحْرٌ** (أو عِرافة - witchcraft - بحسب KJV).» فهو يضعها - مع عبادة الأوثان - ضمن "أعمال الجسد". وربما قليلون هم الذين لم يلجأوا يومًا إلى العِرافة بمعناها هذا.

لكن هذا طرف الخيط فحسب، فمن طِباع الشيطان أنه يستغل "عمل الجسد" هذا كبوّابة للقوة الشيطانية فوق الطبيعية التي تنبثق من مملكة الظلام. عبر هذه البوابة، يدخل الشيطان ويسيطر على رجالٍ ونساء جاعلًا منهم أدواتٍ يحقق فيها أغراضه الشريرة، وعبيدًا في مملكته. والنتيجة نوعٌ من العِرافة التي تُمارس كفنٍّ من فنون السحر باستخدام التعاويذ واللعنات.

الفرعان الآخران من السحر، وهما الرجم بالغيب (divination) والشعوذة (sorcery)، يحركهما الدافع نفسه: التوق إلى السيطرة على الناس وعلى الظروف.

أما **الرجم بالغيب** فهو ذلك الفرع من السحر الذي يختص بـ"**المعرفة**". وهو يوفر أساليب متعددة للمعرفة التي لا يمكن التوصل إليها بطرق طبيعية بحتة. وفي أكثر أشكالها انتشارًا، كقراءة الطالع، تقدم معرفةً فوق طبيعية للمستقبل. وهي تتضمن أيضًا كل أشكال الإعلانات الدينية الزائفة التي تقول إنها تنبع من مصادر فوق طبيعية.

أمّا **الشعوذة** فتعمل من خلال "**الأشياء المادية**" أو من خلال أساليب أخرى بهدف التأثير على الحواس الطبيعية. فقد يكون ذلك عبر المخدرات أو الموسيقى أو سواها. وفي رؤيا ٢١:٩، الكلمة "سحر" ("sorcery" – NKJV) مشتقة في الأصل من كلمة يونانية تعني "مخدرات". وفي ٢تيموثاوس ١٣:٣، يحذر بولس من أنَّ «**النَّاسَ الأَشْرَارَ الْمُزَوِّرِينَ سَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَرْدَأَ، مُضِلِّينَ وَمُضَلِّينَ.**» والكلمة المترجمة "مُزوِّرين" ("دجالين" في ترجمات عربية أخرى و"impostors" في NKJV) تعني حرفيًا "سحرة أو عرَّافين - enchanters". ومنها الـ"chanting" أو الـ"incantation" أي التعزيم والتعويذ، التي هي من الأساليب المألوفة عند المشعوذين. إنَّ حضارة المخدرات المعاصرة هذه، مع ما يرافقها من موسيقى "الروك" (rock) و"الهيفي ميتال" (heavy metal)، لهي مثال واضح لشكلين من أشكال الشعوذة يعملان جنبًا إلى جنب.

فيما يلي قائمة مختصرة للفئات المختلفة التي يمكن تصنيف "أدوات" الشعوذة تحتها:

- أية مواد أو أشياء ترتبط بعبادة الأوثان، سواء أكانت وثنية في أصلها أو تدّعي كونها مسيحية.
- أية مواد أو أشياء تمثل أي شكلٍ من أشكال الأديان الزائفة أو البدع أو الممارسات الشيطانية.
- أية مواد أو أشياء يستخدمها ممارسو السحر لاستحضار قوة فوق طبيعية. (حتى وإن كانت تلك القوة موجَّهةً ظاهريًا نحو هدف "صالح"، كالشفاء مثلًا، إذ أنَّ مصدرها يجعلها قناةً للّعنة.)
- أية مواد أو أشياء من قبيل التعبير عن الخرافات كحدوة الحصان أو القطع النقدية التي تجلب الحظ أو صور وتماثيل "القديسين" وغيرها.

وفيما يلي أيضًا بعض الأشكال المحددة للسحر والسائدة في مجتمعاتنا المعاصرة:

١. فيما يخص فرع السحر المتعلّق بـ"القوة":

الوخز بالإبر، والتنويم المغناطيسي، تعليق الأشياء في الهواء، السيطرة على الأذهان، الفنون القتالية بقصد الحصول على قوة روحية فوق طبيعية (مثل الكونغ فو والكاراتيه)، تحريك الأشياء عن بعد، والشفاء بالسحر.

٢. فيما يخص فرع السحر المتعلّق بـ"المعرفة":

التنجيم، الكتابة التلقائية، "الاستماعية" (السماع عن بعد)، "الاستبصار" (الرؤية عن بعد)، الكرات الزجاجية، التشخيص بالبندول أو الألوان، التخاطر (توارد الأفكار)، الاستشعار (قراءة الأفكار)، تحليل الخطوط لقراءة المستقبل، الأبراج، قراءة العيون، قراءة الكف، قراءة فناجين القهوة وألياف الشاي، السحر اليهودي (الكابالا)، الوسطاء الروحيين، قراءة الطالع بالأرقام، فِراسة الدماغ (قراءة شكل الجمجمة لمعرفة الطالع)، حلقات تحضير الأرواح، قراءة الطالع بأوراق اللعب بأشكالها المختلفة. هذه بالإضافة إلى كافة الكتب التي تعلِّم الشعوذة وممارستها.

وتأتي تحت هذا البند أيضًا جميع الأديان الزائفة والبدع التي تزعم بأنها تملك إعلانًا فائقًا للطبيعة لكنها تناقض الكتاب المقدس. والتمييز بين الحقيقي والمزيّف في هذا المجال هو كالتمييز بين المستقيم والأعوج في الحياة الطبيعية. فإذا حددنا المعيار الثابت لما هو مستقيم، نعلم أن كل ما ينحرف عن ذلك المعيار هو أعوج! ولا فرق إن كان الانحراف بمقدار درجةٍ واحدةٍ أو تسعين درجة؛ إنه أعوج!

وفي العالم الروحي، الكتاب المقدس هو معيار الاستقامة والحق وكل ما ينحرف عن الكتاب المقدس هو خطأ بالضرورة. ولا أهمية هنا لمقدار ذلك الانحراف إن كان كبيرًا أو صغيرًا. بل إن بعض أخبث الخِدع هي تلك التي يبدو اختلافها عن الكتاب المقدس ضئيلًا جدًا!

وبشكل خاص، هناك خطورة في الأديان التي تشوِّه شخص الرب يسوع المسيح

أو طبيعة عمل الفداء الذي حققه على الصليب. فالعهد الجديد مثلًا يقدم يسوع على أنه "الله ظهر في الجسد"، لكن شهود يهوه يقولون إنه مخلوق. وبعض الأديان ترفض كون يسوع ابن الله، وتنكر أنه مات حقًا على الصليب. إلا أنَّ موت يسوع الكفاري على الصليب هو القاعدة الوحيدة التي يستطيع الإنسان أن يحصل على مغفرة الخطايا بناءً عليها.

وفيما يلي سردٌ لأسماء بعضٍ من بين الكثير من الأديان الزائفة والبدع المنتشرة هذه الأيام: القداس الأسود، شهود يهوه، الماسونية، حركة السلام الداخلي، المورمون (كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة)، حركة الجيل الجديد (New Age)، العلم المسيحي، العلم الديني، الروزيكروشية (Rosicrucianism)، السينتولوجيا (Scientology)، شركة الجَبَهات الروحية، الروحانية، الإرواحية (Spiritualism)، كنيسة الله العالمية (أسسها هربرت أرمسترونغ).

هذا بالإضافة إلى الأديان والبدع الشرقية كالبهائية والبوذية واليوجا المرتبطة بها، والكونفوشية والهندوسية. وهناك أيضًا إرسالية النور الإلهي، المعلِّمون الروحيون (gurus)، "هير كرشنا"، ديانة الشِنتو، والتأمل فوق طبيعي وغيرها.

٣. فرع السحر الذي يعمل من خلال الأشياء المادية:

الحُجُب، الأنك (صليب على شكل حرف T وفي أعلاه عروة)، جواهر المولد، التعاويذ (كتلك التي تستخدم لإزالة الثواليل)، كرات زجاجية تستخدم للشفاء، حبوب ومستحضرات الهلوسة، موسيقى الـ -"heavy metal" وتسجيلاتها، رموز أو أشكال معينة تجلب النحس، وأخرى تجلب الحظ (حدوة الحصان المقلوبة)، أو لدفع الحسد (الخرزة الزرقاء)، ألواح الأويجي، البدود الوثنية (وهي أشياء كان يتعلق بها بعض الشعوب البدائية ويقدسونها)، مثلها المصنوعات ذات الطابع الديني (كالتماثيل وغيرها)، اللوحة والقلم، الطلاسم (تعاويذ تستخدم خطوطًا وأعدادًا سحرية غامضة)، التعاويذ الفلكية المتعلقة بالأبراج.

أمـا التقييـم الإلـهي لمثـل أولئـك الذيـن يمارسـون هـذه الممارسـات وأمثالهـا، فهـو واضـح في تثنيـة ١٨:١٠-١٣:

«لاَ يُوجَـدْ فِيـكَ مَـنْ يُجِـيزُ ابْنَـهُ أَوِ ابْنَتَـهُ فِي النَّـارِ، وَلاَ مَـنْ يَعْـرُفُ عِرَافَـةً، وَلاَ عَائِـفٌ وَلاَ مُتَفَائِـلٌ وَلاَ سَـاحِرٌ، وَلاَ مَـنْ يَـرْقِي رُقْيَـةً، وَلاَ مَـنْ يَسْـأَلُ جَانًّـا أَوْ تَابِعَـةً، وَلاَ مَـنْ يَسْتَشِـيرُ الْمَـوْتَى. لأَنَّ كُلَّ مَـنْ يَفْعَـلُ ذلِـكَ مَكْـرُوهٌ عِنْـدَ الـرَّبِّ. وَبِسَـبَبِ هـذِهِ الأَرْجَـاسِ، الـرَّبُّ إِلهُـكَ طَارِدُهُـمْ مِـنْ أَمَامِـكَ. تَكُـونُ كَامِـلًا لَدَى الـرَّبِّ إِلهِـكَ.»

لاحـظ أن الذيـن يشـاركون في ممارسـات العِرافـة والسـحر وعمـل التعاويـذ والحُجُب، يُذكَـرون في فئـة أولئـك الذيـن يقدمـون أولادهـم وبناتهـم كقرابـين بشريـة لآلهـة وثنيـة! وتحـت شريعـة مـوسى، كان المـوت هـو العقوبـة الحتميـة لـكل مـن يمـارس تلـك الأمـور.

ومـن الهـام أن نعلـم أنَّ الكُتـب يمكـن أن تكـون بمثابـة قنـواتٍ لنقـل السـحر. عندمـا رأى مؤمنـو أفسـس حقيقـة وجـود القـوى الشـيطانية أثنـاء خدمـة بولـس بينهـم، كان ردُّ فعلهـم مثيـرًا للإعجـاب:

وكان كثـيرون مـن الذيـن آمنـوا يأتـون مقرِّيـن ومخبريـن بأفعالهـم. وكان كثـيرون مـن الذيـن يسـتعملون السـحر يجمعـون الكتُـبَ ويحرقونهـا أمـام الجميـع. وحسـبوا أثمانهـا فوجدوهـا خمسـين ألفًـا مـن الفضـة[٥] (أعمـال ١٩:١٨-١٩).

الطريقـة الوحيـدة الملائمـة للتخلـص مـن هـذه المـواد والكتـب والأشـياء المرتبطـة بالسـحر، هي تدميرهـا تمامًـا (حرقًـا أو بأيـة طريقـة مناسـبة) حـتى وإن كانـت قيمتهـا الماديـة كبـيرة جـدًا.

وقـد أشرنـا سـابقًا إلى أن السـحر يشـبه المـرأة الزانيـة الـتي تغـيِّر أسـاليبها باسـتمرار. لذلـك لا يمكننـا تقديـم لائحـة شـاملة بالممارسـات السـحرية الممكنة.

---

(٥) كان درهم الفضة الواحد يعادل أجرة يوم كامل، فالمجموع يعادل أجرة 50 ألف يوم. (المؤلف).

خلال سنوات خدمتي الطويلة، كنت أسعى لمساعدة أشخاصٍ لم تجد مشاكلهم الحل المناسب عبر أنماط المشورات والخدمات التي تقدمها معظم الكنائس هذه الأيام. وأستطيع أن أقول إن مشاكل أولئك الناس لم تكن بسبب عدم إطلاعهم أو قلة مثابرتهم، بل - على العكس من ذلك - كانوا غالبًا ما يبدون أكثر إخلاصًا ومثابرةً من أغلبية مرتادي الكنائس "الملتزمين" والذين لا ترى في حياتهم مشاكل واضحة.

وفي الحالات التي نجحتُ فيها في مساعدة مثل أولئك الناس، كنت أكتشف في أغلب الأحيان جذرًا مرتبطًا بشكل ما بالسحر في حياتهم. وكثيرًا ما كانوا هم أنفسهم لا يرون أية صلة ممكنة لذلك بأسباب مشاكلهم. لكن عملية الكشف عن ذلك الارتباط بالسحر ومعالجته، كانت تؤدي في العادة إلى تسهيل حل المشاكل الأخرى الأكثر وضوحًا.

فيما يلي مثال بسيط لكنه يعبر تمامًا عن هذه الحقيقة. في أحد اجتماعات الصلاة البيتية، وجدت نفسي إلى جانب شابٍ في أوائل العشرينات. لم نكن قد التقينا من قبل، لكنني شعرت بأن الرب قادني لكي أسأله هذه السؤال: "هل قبلت الروح القدس؟"

قال الشاب: "نعم!" لكنه أضاف بنبرةٍ حزينة: "لكنني لا أتكلم بألسنة!" وكان واضحًا أنه يشعر بوجود نقصٍ ما في اختباره.

ودون أن أدخل معه في نقاشٍ حول مسألة الألسنة، سألته: "هل زرت عرَّافةً من قبل؟"

فكَّر قليلًا ثم قال: "نعم، مرّةً واحدةً؛ كان ذلك وأنا في الخامسة عشرة من عمري. كان الأمر مجرد نكتة! لم أومن بذلك حقًا."

فتابعت سؤاله: "لكنك سمعت قراءةً لطالعِك في تلك الحادثة؟"

قال بتردد: "نعم." ثم أضاف كمن يدافع عن نفسه: "لكنني لم أقصد شيئًا بذلك!"

قلت له: "هل أنت مستعد للاعتراف بذلك باعتباره خطية، وهل تطلب من الله أن يغفر لك وأن يحرسك من نتائج ذلك؟"

وبعد أن وافق على ذلك، قدته في صلاة بسيطة اعترف فيها بأن زيارته للعرَّافة خطية، ويطلب من الرب الغفران والتحرير من نتائج خطيته. ثم، ودون مزيد من الكلام، وضعت يدي على كتفه طالبًا من الله أن يطلق روحه في داخل ذلك الشاب. وفي تلك اللحظة، ودون تردد أو تلعثم، بدأ يتكلم بلسانٍ آخر بكل وضوحٍ وطلاقة. وخلال لحظات، استغرق تمامًا في حضرة الرب غير حافلٍ بكل ما يدور حوله. الحاجز الخفي في حياته قد أزيل!

منذ تلك الحادثة، كنت أفكر وأتأمل كثيرًا بذلك اللقاء القصير مع ذلك الشاب. لم تكن لمشكلته صلة بعدم الإخلاص أو الكسل، لكنه لم يكن يدرك معنى وأبعاد زيارته لتلك العرَّافة. لم يكن يفهم أنه مذنب بنظر الله بخطية "الزنى الروحي".

لنفرض أنني سألته: "هل مارست الزنا يومًا مع امرأةٍ متزوجة؟" فلا يمكن أن يكون جوابه بأي حالٍ من الأحوال: "نعم، لكن الأمر كان مجرد نكتة! لم أقصد شيئًا بذلك!"

كثيرون هم المتورطون بمثل هذه الحالة في هذه الأيام، وكثيرون منهم هم من أعضاء الكنائس. لكن بسبب الجهل، دخلوا مجال السحر والشعوذة والعِرافة، مقترفين بذلك خطيةً أسوأ من خطية الزنى الجسدي. وإلى أن يدركوا الأبعاد الحقيقية لما فعلوه ويعترفوا بها، عليهِمْ أن يواصلوا السير تائهين تحت ظلمة اللعنة التي أعلنها الله على جميع المتحولين عنه إلى آلهة زائفة. والأكثر من هذا أن هذه الظلمة تمتد لتكتنفَ حياة أربعة أجيال قادمة!

عندما يُواجَه المؤمنون بهذا الموضوع، يقول بعضهم أحيانًا: "لكنني لم أكن أعرف أن ذلك خطية!" وجوابي على ذلك أن بولس يصف نفسه في ١تيموثاوس ١:١٣-١٥ بأنه أول الخطاة، بسبب خطايا اقترفها «**بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إِيمَانٍ.**» فالجهل لا يعفينا من ذنب خطايانا، لكنه قد يوفر لنا تدبيرًا إلهيًا يظهر لنا طريق الرحمة إن تبنا ورجعنا إلى الله.

جميعنا بلا استثناء نحتاج إلى التأمل الدقيق في الكيفية التي يمكن لهذه المبادئ أن تنطبق فيها على حياتنا. في الوصيتين الأولى والثانية من الوصايا العشر، أعلن الله دينونته على خطيئتين محددتين بشكل خاص: الاعتراف بأي إله آخر مع الله أو سوى الله، وصنع أو عبادة أية نماذج (تماثيل أو صور .... إلخ) يُقصد منها أن تمثل الله أو ترمز إليه. هاتان الخطيئتان تشملان عالم السحر كله. ودينونة الله ضد مقترف هاتين الخطيئتين، يمكن أن تمتد - كما رأينا - إلى الجيل الرابع.

والعكس صحيح، فأي جيل من الأجيال الأربعة التي تسبق جيلنا، يمكن أن يكون سبب لعنةٍ لنا في جيلنا الحاضر، إن كان ذلك الجيل قد أذنب بارتكاب هاتين الخطيئتين. لكلٍّ منا والدان وأربعة أجداد وثمانية أجداد في الجيل السابق لذلك وستة عشر جدًا وجدةً في الجيل الأسبق. فالمجموع ثلاثون شخصًا؛ أي شخصٍ منهم يمكن أن يكون السبب في وجود لعنةٍ ما على حياة الواحد منا. وكم شخصًا من بيننا يستطيع أن يضمن أن أسلافه الثلاثين الذين أشرنا إليهم، لم يكن بينهم واحدٌ على الأقل كان قد اشترك في أي شكلٍ من أشكال عبادة الأوثان أو السحر؟!

لكن شكرًا لله الذي أعدَّ لنا طريق التحرير من أية لعنة مهما كان مصدرها. شكرًا لله لأننا نستطيع أن نتمتع بعطية تحريره. عندما نقف جميعًا أمام المسيح، لن يعتبرنا اللهُ مذنبين لأنّ أحد أجدادنا نقل إلينا لعنةً ما، لكنه سيجدنا مذنبين إن كنا رفضنا قبول تدبيره الذي أعدَّه لنا كي نتحرَّر من تلك اللعنة.

الفصل السابع

خطايا أخلاقية متنوعة

الشكل الأساسي من أشكال عدم الطاعة الذي يتسبب بالوقوع تحت لعنة الله، هو ما رأيناه في خروج ٢٠:٣-٥ من الاعتراف بالآلهة الزائفة وعبادتها. بالإضافة إلى ذلك، يكشف العهد القديم عن عدد هائلٍ من الأنماط الثانوية لعدم الطاعة، والتي تسبب هي أيضًا التعرض للعنةٍ من الله. في تثنية ٢٧:١٥-٢٦، يضع موسى قائمة باثنتي عشرة خطية أخلاقية، جميعها تجعلنا عُرضةً للعنةٍ مصدرها الله نفسه.

في بداية تثنية ٢٧، يطلب موسى من شعب إسرائيل أن يقيموا احتفالًا مُقدَّسًا بمناسبة دخولهم أرض كنعان. فعلى الجبلين المتجاورين، عيبال وجرزيم، كان على الشعب أن يقدم ذبائح وأن يضع حجارة كبيرة مكتوبًا عليها جميع كلمات الناموس. وبينما هم ينظرون إلى تلك الحجارة وما عليها من كلمات مكتوبة بخط واضح، يقوم ستةٌ من الأسباط بإعلان البركة على جميع شعب إسرائيل الطائعين لله، ثم تعلن الأسباط الستة الأخرى اللعنة على غير الطائعين. وبعد كل إعلانٍ لبركةٍ أو لعنة، كان على جميع الشعب أن يقولوا: «آمين»[٦].

وهكذا أسس الله مبدأً لشعبه يقتضي أنَّ دخولهم أرض كنعان يمثل لهم مواجهة بديلين متعارضين وعلى طرفي نقيض: بركةٍ بسبب الطاعة أو لعنةٍ بسبب العصيان. وبين هذين الخيارين، لا مجال لموقفٍ وسط، أو لخيارٍ آخر! ومنذ ذلك الحين، صار كل إسرائيلي يدخل تلك الأرض، إمَّا يتمتع ببركة الله أو يحمل لعنته.

(٦) نجد في يشوع ٨:٣٢-٣٥ رواية للكيفية التي تمت فيها هذه الممارسة فعلًا بعد دخول الشعب إلى أرض كنعان. (المؤلف)

إذًا نجد هذين الخيارين في تاريخ إسرائيل بشكل شديد الوضوح، وكذلك في الروايات الكتابية اللاحقة. لكنهما خياران لا ينطبقان على شعب إسرائيل فقط، بل ينطبقان على كل من يدخل في علاقة عهد مع الله أيضًا. فسواء كان ذلك تحت العهد القديم أو الجديد، يضع الله أمام شعبه خيار البركة لمن يطيع واللعنة لمن لا يطيع. والخدعة العظيمة السائدة وسط المؤمنين، ويعمل الشيطان على ترسيخها باستمرار، هي أنَّ هناك خيارًا أو احتمالًا ثالثًا؛ ليس هو الطاعة ببركاتها، ولا هو العصيان بلعناته! لكن هذا البديل الموهوم ليس له أساس في أيٍّ من العهدين القديم والجديد.

وأمامنا سجلٌّ دقيق مفصَّل بتلك اللعنات الاثنتي عشرة التي أُعلنت من على جبل جرزيم. فيما يلي ملخصٌ مقترح بأنواع السلوكيات الرئيسية المشمولة في ذلك السجل:

- الاعتراف بآلهة زائفة وعبادتها.
- عدم إكرام الوالدين.
- جميع أشكال الظلم والاضطهاد، خاصة تلك الموجَّهة نحو العاجزين والضعفاء.
- جميع الممارسات الجنسية غير المشروعة أو غير الطبيعية.
- أمّا اللعنة الأخيرة فتشمل جميع أشكال التمرد على شريعة الرب.

وكما أكدنا سابقًا، فإن السبب الأول لجلب لعنة الله هو أي شكل من أشكال العلاقة بآلهة زائفة. بعد ذلك يأتي عدم احترام وإكرام الوالدين. والعهد الجديد يعود فيؤكد بوضوح على ضرورة إكرام الوالدين. فبولس في أفسس ٦:١-٣، يشدد على أهمية الوصية الخامسة من الوصايا العشر:

«أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ. "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ"، الَّتِي

هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ، "لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَتَكُونُوا طِوَالَ الأَعْمَارِ عَلَى الأَرْضِ".»

لكن كثيرين من الناس هذه الأيام - منهم مؤمنون كثيرون - لا يدركون أن عدم إكرام الوالدين يجلب عليهم لعنة الله. ولا أستطيع أن أحصي عدد الناس الذين تعاملت معهم شخصيًا بخصوص هذا الموضوع. وأشكر الله على أنني رأيت تغييرًا رائعًا في حياة أولئك الذين اعترفوا بهذه الخطية وتابوا عنها وغيَّروا موقفهم تجاه آبائهم وأمهاتهم.

ومن المناسب في هذا الصدد أن أقتبس فقرات قليلة من كتابي الذي كتبتُهُ حول الزواج وعنوانه «God Is a Matchmaker» («ما جمعه الله ...»).

يبين بولس أنَّ الوصايا الأربع الأولى لا يرتبط تنفيذها بوعدٍ محدد. أمّا هذه الوصية الخامسة المتعلقة بالوالدين، فقد أضاف الله إليها وعدًا خاصًا: «لكي يكون لكم خير ...» وفي الوقت نفسه، يتضمن هذا الوعد شرطًا: إن أردت أن يكون لك خير، عليك أن تحرص على إكرام والديك. والعكس صحيح: إن لم تكرم أباك وأمك، لا تتوقع أن يكون لك خير!

تذكر أنك تستطيع أن تكرم أباك وأمك دون أن تتفق معهما في كل شيء بالضرورة، ودون أن تصادق على كل ما يفعلانه. ربما تختلف معهما بشدة في بعض الأمور، لكن عليك أن تحافظ على احترامك لهما باستمرار. إن إكرام والديك بهذه الطريقة هو أيضًا إكرام لله نفسه الذي قدم لك هذه الوصية.

أنا مقتنع تمامًا من أن الموقف اللائق تجاه الوالدين هو متطلب ضروري جدًا لحلول بركة الله على حياة أي إنسان. طوال السنوات التي تعاملت فيها مع المؤمنين كمعلِّمٍ أو راعٍ أو مرشدٍ أو ضمن أية علاقة أُخرى، لم أقابل شخصًا واحدًا كان له موقف خاطئ تجاه والديه ويتمتع ببركة الله. قد يكون ذلك الشخص غيورًا في جوانب كثيرة من جوانب الحياة المسيحية، وقد يكون نشيطًا في الكنيسة وملتهبًا

في الخدمة، وربما يكون له مكانٌ في السماء، لكن هناك نقصٌ في حياته دائمًا: تنقصه بركة الرب!

من جانب آخر، رأيت مؤمنين كثيرين تحولت حياتهم تحولًا ثوريًا بعد أن اعترفوا بموقفهم الخاطئ تجاه آبائهم وأمهاتهم، وتابوا وتغيروا كما ينبغي. أذكر رجلًا بكّته الروح القدس بسبب ما أضمر طوال حياته من مرارة وكراهية تجاه والده. ومع أنَّ والده كان قد مات، إلا أن ذلك الرجل قطع مئات الأميال إلى حيث المقبرة التي دُفن فيها والده، وسكب قلبه أمام الرب نادمًا تائبًا من الأعماق وهو يجثو إلى جانب قبر والده. مكث هناك حتى عرف تمامًا أن خطيته قد غُفرت وأنه تحرر من آثارها الشريرة. ومنذ ذلك اليوم، تغيّر مجرى حياته تمامًا من الإحباط والهزيمة إلى الانتصار والنجاح.

الشكل الآخر من أشكال السلوك التي يحذر منها تثنية ٢٧ هو الظلم وعدم الإنصاف، خاصةً تجاه الضعفاء والعاجزين. والأمثلة على ذلك كثيرة في مجتمعاتنا المعاصرة، لكن جميع تلك الممارسات، لا تصل في قدرتها على جلب لعنة الله إلى مستوى الإجهاض المتعمد لطفلٍ لم يولد بعد. فَمَنْ أكثرُ عجزًا وأقل حيلةً في الدفاع عن نفسه من طفلٍ في بطن أمه، إن كان والداه لا يحميانه؟!

غريب حقًا أنَّ الناس الناشطين في محاربة التمييز العنصري والظلم الاجتماعي - وهم كذلك بالفعل - يتغاضون عن الإجهاض بل وربما ينادون هم أنفسهم بممارسته! غريبٌ أيضًا أنَّ بعض الناس الذين لا يفكرون ولو مجرَّد التفكير برفع أيديهم لضرب طفل صغير، لا يجدون هم أنفسهم ذرةً من رحمةٍ في أعماقهم تجاه طفلٍ أصغر أو أضعف وهو في بطن أمه! فبشكلٍ ما، يبدو أنَّ استخدام كلمة «جنين» عوضًا عن «طفل» يخدِّر ضمائر الناس! لكن تغيير المصطلحات لا يؤثر مطلقًا على طبيعة هذه الممارسة.

قال أحدهم: «أي رجاءٍ بقي لأمةٍ تقتلُ فيها الأمهات أطفالهن؟!» إن موقف

الله تجاه الإجهاض، لا يؤثر به اختلاف المصطلحات. فالله يصنف الأمر ببساطة على أنه «جريمة قتل»، ويتعامل معها وفق هذا المستوى. واليوم، نرى الأمة تلو الأمة، يتعرَّض الملايين فيها للآفات والأمراض بسبب اللعنة التي يجلبها الإجهاض عليهم.

الشكل الأخير من أشكال الخطايا الأخلاقية الواردة في تثنية ٢٧ هو العلاقات الجنسية المنحرفة. للأسف، فقد تشكل عند بعض المؤمنين انطباعٌ بأن الجنس «نجس» بشكل ما، وأنه شيء لا يمكن تجنبه بل يحتاج إلى تقديم اعتذار للرب، إلا أن الصورة التي يقدمها الكتاب المقدس عن الجنس معاكسة تمامًا. الجنس جزء من خطة الخالق للإنسان، وهو مقدَّس وجميل، لذلك وضع الله حدودًا صارمة حول ممارسة الجنس، وذلك لحمايته من الإساءة والتشويه. ونرى هذه الحدود في اللعنات التي أعلنها الله في الأعداد ٢٠-٢٣ من تثنية ٢٧.

والممارسات المحظورة هنا تشمل ممارسة الجنس مع أشخاص تربطهم بنا روابط الدم أو النسب بدرجة معينة، بالإضافة إلى أي شكل من أشكال ممارسة الجنس مع الحيوانات. وفي الكتاب المقدس محظورات أخرى تتعلق بالجنس كجميع أشكال اللواط والسحاق. يعلن الله في لاويين ١٨:٢٢:

«وَلاَ تُضَاجِعْ ذَكَرًا مُضَاجَعَةَ امْرَأَةٍ. إِنَّهُ رِجْسٌ.»

وتستخدم الكلمة «أرجاس» في تثنية ١٨:١٢ لوصف ممارسات السحر والشعوذة أيضًا.

واليوم نجد أن كثيرًا من هذه الحدود التي وُضعت لحماية قدسية الجنس، تطرح جانبًا - وأحيانًا باسم المسيحية نفسها! إلا أن الحجج المبنية على مبادئ مثل «أخلاقيات هذه المرحلة» أو «الأخلاقية الجديدة» (وهي أفكار جديدة بلا شك)، لا تستطيع أن تؤثر أو أن تغيِّر شريعة الله التي تحكم تصرفات البشر. فكل الذين ينغمسون في الانحرافات الجنسية، يعرِّضون أنفسهم للعنة الله.

وهنـاك دلالـة هامـة في أنَّ قائمـة الخطايـا الـتي تجلـب لعنـة الله (تثنيـة ٢٧) متبوعـةٌ مبـاشرةً بالقائمـة الكاملـة لـبركات الطاعـة ولعنـات العصيـان (تثنيـة ٢٨). وكأن الله يقـول: «وقبـل أن تتخـذ قـرارًا بالطاعـة أو بالعصيـان، مـن الأفضـل أن تلـقي نظـرة على النتائـج .... وهـا أنـا أعلنهـا لـك!»

الفصل الثامن

الناموسية، الجسدية، الارتداد

في إرميا ٥:١٧ يعلن الله لعنته على نوع آخر من الخطية يسود في كثير من الأوساط الكنسية:

«هكَذَا قَالَ الرَّبُّ:
"مَلْعُونٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الإِنْسَانِ،
وَيَجْعَلُ الْبَشَرَ ذِرَاعَهُ، وَعَنِ الرَّبِّ يَحِيدُ قَلْبُهُ".»

وكلمة «البشر» هنا تشير إلى الطبيعة التي أخذها كل واحد منا ميراثًا من جدنا الأول آدم. فلم ينجب آدم أحدًا إلا بعد أن تعدى وصية الله. ولم يكن دافعه الرئيسي إلى ذلك العصيان أنه كان يتوق إلى عمل الشر بل أنه كان يتوق إلى الاستقلال عن الله.

وتعمل هذه الرغبة نفسها في كل أفراد النسل الآدمي، وهي العلامة المميزة لـ «الجسد» (بمعنى الطبيعة الساقطة، وهي كلمة تقابل كلمة «البشر» في إرميا ٥:١٧). وفي الإطار الديني، يسعى الجسد إلى ممارسة أعمال بر صالحة دون الاعتماد على نعمة الله فوق الطبيعية. ومهما كانت نوايا الجسد طيبة، فإن النتيجة النهائية هي «اسماعيل» دائمًا لا «إسحق».

أما الصفة التي يطلقها الكتاب المقدس باستمرار على الجسد، فهي أنه «فاسد». فمع أن الجسد يستطيع أن ينتج الكثير من الأشياء الهادفة إلى التأثير على الذهن وعلى الحواس، إلا أنَّ جميع تلك الأشياء يشوبها الفساد. وفي عبرانيين ١:٦ وصفٌ لنتاج

جميع الجهود التي يبذلها الجسد: إنها «أعمال ميتة» يطالبنا الله بالتوبة عنها.

إن الشخص الموصوف في إرميا ٥:١٧ ليس غريبًا عن نعمة الله. نرى ذلك في العبارة الأخيرة: «**وَعَنِ الرَّبِّ يَحِيدُ قَلْبُهُ.**» فلو لم يعرف الرب مطلقًا، لما أمكن القول إن قلبه «**يَحِيدُ**» عنه. إنه شخصٌ اختبر نعمة الله الفائقة وقوته العظيمة، لكنه يتحول بعد ذلك ليتكل على قدراته الذاتية الطبيعية. يكشف سلوكه عن حقيقة أن ثقته بما يستطيع هو أن يعمله لنفسه أكبر من ثقته بما يستطع الله أن يعمله من أجله. وحقيقة الأمر هنا هي أن هذا الشخص «يزدري» بالله وبنعمته.

الكلمات التي تلي إرميا ٦:١٧، تصف نتيجة اللعنة التي يجلبها ذلك الإنسان على نفسه:

«**وَيَكُونُ مِثْلَ الْعَرْعَرِ فِي الْبَادِيَةِ،**
وَلاَ يَرَى إِذَا جَاءَ الْخَيْرُ،
بَلْ يَسْكُنُ الْحَرَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ،
أَرْضًا سَبِخَةً وَغَيْرَ مَسْكُونَةٍ.»

فيا لها من صورةٍ معبِّرة عن إنسانٍ تحت لعنة الله! يجد نفسه ساكنًا في «**الحرَّة**»، أي الأماكن الجافة القاحلة، وفي أرضٍ «**سَبَخَة**»، أي شديدة الملوحة! كل ما يحيط به عقيمٌ وموحش. ربما يأتي الخير على الجميع من حوله، لكن بطريقةٍ غامضةٍ ما، يتجاوزه ذلك الخير فلا يصيب منه شيئًا! فكأنما هو محكومٌ بالعقم والإحباط.

وتعمل لعنة إرميا ٥:١٧-٦ بالفعل في حياة أفرادٍ كثيرين، لكنها تنطبق أيضًا على شرائح أوسع. فهي سبب حقيقي - وإن كان خفيًا - للعقم وعدم التأثير في كثير من أوساط الكنيسة المسيحية المعاصرة. أمَّا معظم الحركات الروحية المؤثرة في عالم المسيحية، فيعود سرُّ قوتها إلى العمل الجبار فوق الطبيعي لنعمة الله وروحه القدوس. وهي في تأثيرها على التاريخ مدينةٌ - فوق كل شيء - لروح الله.

مـع ذلـك، نجـد اليـومَ أنَّ كثـيرًا مـن هـذه الحـركات - وربمـا معظمهـا - لـم تعـد تـولي الكثـير مـن التأكيـد على نعمـة الله وقـوة الـروح القـدس. لقـد رجعـوا إلى الاتـكال على جهودهـم الخاصـة لإنجـاز أفضـل مـا يمكـن إنجـازه! إنهـم «يتكلـون على الإنسـان»- أي على أنفسـهم - و«يجعلـون البـشر (الجسـد) ذراعهـم (أي قوتهـم).» وبالتأكيـد «حـاد قلبهـم وتحـوَّل عـن الله» - وإن لـم يكـن ذلـك معلنًـا بوضـوح. ربمـا حققـوا لأنفسـهم (احترامًـا) دينيًـا وفكريًـا، لكنهـم خـسروا بذلـك بركـة الله. وعوضًـا عنهـا، جلبـوا على أنفسـهم ظـلام اللعنـة الـتي أعلنهـا الله في إرميـا ١٧:٥-٦.

إنَّ وضـع قـدرات البـشر في مكـان نعمـة الله هـو إعـلاءٌ لمـا هـو جسـدي فـوق مـا هـو روحي. ويظهـر تأثـير ذلـك في مجـالاتٍ متنوعـة مثـل:

إعلاء **علم اللاهوت** فوق **الإعلان الإلهي؛**

إعلاء **التعليم العقلي** فوق **بناء الشخصية؛**

إعلاء **علم النفس** فوق **التمييز الروحي؛**

إعلاء **التخطيط والبرمجة** فوق **قيادة الروح القدس؛**

إعلاء **الفصاحة** فوق **قوة الروح فوق الطبيعية؛**

إعلاء **المنطق** فوق **السلوك بالإيمان؛**

إعلاء **الناموس** فوق **المحبة.**

جميـع هـذه الأخطـاء هي إظهـارات مختلفـة لخطـأ أسـاسي واحـد: أن نضـع الإنسـان في مكانـةٍ أعدهـا الله للـرب يسـوع المسـيح وحـده!

وهـذه هي الحـالة الـتي كان بولـس يسـعى إلى علاجهـا في كنائـس غلاطيـة. في الأصحـاح الثالـث والأعـداد ١-١٠، يكشـف بولـس تلـك المشـكلة مـن جذورهـا إلى ذروتهـا. وفيمـا يـلي مُلخَّـص لذلـك:

في العدد ١، يكشف بولس عن مصدر تلك المشكلة باعتباره تأثير خدعة شيطانية يسميها «رُقْيَةً»، أي «تعويذة سحرية»، فيقول:

«أَيُّهَا الْغَلاَطِيُّونَ الأَغْبِيَاءُ، مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لاَ تُذْعِنُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوبًا!»

«من سَحَرَ عقولكم؟» - كما تقول ترجمات أخرى. «من وضعكم تحت تأثير حِجاب أو تعويذة؟!» هكذا يسأل بولس مؤمني غلاطية.

هذا التأثير الشيطاني من شأنه أن يحجبَ المصدر الوحيد لنعمة الله الكافية، الذي هو يسوع المسيح المصلوب. فإذا انقطع شعب الله عن نعمته بهذه الطريقة، صار من المحتَّم عليهم أن يتحولوا إلى البديل الآخر الوحيد: نظام ديني شرائعي (ناموسي)! وهذا يقودنا إلى سؤال بولس الثاني:

«...أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمُ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ؟»

والكلمة المستخدمة عادةً لوصف هذه الحالة هي «الناموسية». ونظرًا لكثرة استخدام هذه الكلمة بطريقة غير دقيقة، لا بدَّ لنا أن نعرِّفها بأكثر تحديد. ويمكن تعريف «الناموسية» بأسلوبين مترابطين. أولًا، هي السعي إلى تحقيق البر أمام الله عن طريق حفظ (تطبيق) مجموعة من الشعائر والشرائع (النواميس).

وفي رومية ٣:٢٠، يرفض بولس ذلك بطريقة حاسمة إذ يقول:

«لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ.»

والواقع أنَّ «أل» التعريف أمام الكلمة «ناموس» هي إضافة من المترجم؛ وما يقوله بولس حرفيًا هو: «لأنه بأعمال ناموس (أي ناموس مهما كان) كلُّ ذي جسدٍ لا يتبرَّر أمامه.» المقصود أولًا هو ناموس موسى، لكن العبارة تنطبق أيضًا -بالمقدار نفسه - على أية مجموعةٍ من الشرائع الدينية. فالهدف من الشريعة أو الناموس أن

يظهـرَ لنـا أننـا خطـاة، لكنـه لا يملـك القـوة على تغييرنـا.

كذلـك يمكـن تعريـف «الناموسـية» على أنهـا محاولـة فـرضِ أي شرطٍ إضـافي لتحقيـق البر، عـدا مـا أعلنـه الله. ونجـد متطلبـات الله لتحقيـق البر في رومية ٤:٢٤-٢٥:

«... سَيُحْسَـبُ (أي البـرُّ) لَنَـا، الَّذِيـنَ نُؤْمِـنُ بِمَـنْ أَقَـامَ يَسُـوعَ رَبَّنَـا مِـنَ الأَمْـوَاتِ. الَّذِي أُسْـلِمَ مِـنْ أَجْـلِ خَطَايَانَـا وَأُقِيـمَ لأَجْـلِ تَبْرِيرِنَـا.»

هـذا هـو متطلـب الله البسـيط والـكافي في وقـت واحـد لـكي نحصـل على البر، وهـو أن نسـتأمن الله على نفوسـنا مؤمنـين بأنـه فعـل أمريـن أساسـيين من أجلنا: أسـلم يسـوع إلى المـوت مـن أجـل مغفـرة خطايانـا، وأقـام يسـوع مـن الأمـوات لـكي نُحسَـب أبـرارًا. والله لا يطالـب بأكـثر مـن ذلـك لمنـح البر، وليـس لأحـدٍ السـلطان بـأن يضيـف شـيئًا إلى متطلبـات الله. وبعـد أن نقبـل البرَّ بهـذه الطريقـة، بالإيمـان - تفيـض الأعمـال البارة المناسـبة مـن إيماننـا. أمـا إذا أضفنـا أيـة متطلبـات لتحقيـق البـر، فلـن نلتـقي مـع الله على قاعـدة واحـدة، ولـن يتبـع ذلـك أعمـالٌ بـارة حقيقيـة. كل مـا نسـتطيع تحقيقـه هـو (أفضـلَ مـا يمكـن إنجـازه) بمجهوداتنـا الشـخصية الجسـدية ولا شيء أكـثر مـن ذلـك.

وهذا يفسِّر سؤال بولس التالي في غلاطية ٣:٣:

«أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ؟»

والمصطلـح المتعـارف عليـه لوصـف هـذه الحالـة هـو «الجسـدية»، أي الاتـكال على طبيعتنـا الجسـدية. وفي غلاطيـة ٥:١٩-٢١، يذكـر بولـس نحـو خمسـة عـشر عمـلًا يسـميها «أعمـال الجسـد.» وليـس منهـا مـا هـو صالـحٌ أو مقبـولٌ لدى الله، إذ أن الجسـد عاجـزٌ عـن إنتـاج أيِّ شيءٍ يمكـن أن يقبلـه الله. ويلخـص بولـس ذلـك في رومية ٨:٨، فيقـول:

«فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا الله.»

أخيرًا، في غلاطية ٣:١٠، يحدد بولس النتيجة الحتمية لهذا الانحدار المستمر: إنه اللعنة!

«لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ ...»

وهكـذا يحلـل بولـس، بمنطـق الـروح القـدس، مشـكلة كنائـس غلاطيـة، والـتي هي أيضًا مشـكلة الكثير من كنائسـنا المعاصرة. تنشـأ المشـكلة من تأثير شـيطاني خادع يتسـلل إلى داخـل الكنيسـة محـوِّلًا انتباه شـعب الله عـن المصدر الوحيـد للنعمة الإلهية: عن يسـوع المسـيح المصلـوب. ويصنِّـف بولـس ذلـك التأثـير باعتبـاره «رُقْيـة» أو «تعويـذة سـحرية.»

وبانقطاعهـم هكـذا عـن مصـدر النعمـة، ينحـطُّ المؤمنـون حتمًـا إلى الجسـدية والناموسـية. والنتيجـة النهائيـة لذلـك الانحـدار هـو اللعنـة. وكنـا قـد بيَّنـا في الفصـل السـادس مـن هـذا الكتـاب أنَّ الـرُقى والتعاويـذ واللعنـات هي مـن الأدوات الأساسـية في العِرافـة والشـعوذة.

وهكذا يعـود العهـد الجديـد فيؤكـد الحقَّ الوارد في إرميا ١٧:٥-٦، فلنا في غلاطية ٣:١-١٠ أوفى وأوضح تعبير عن ذلك: «الاتكال على أعمال الناموس (الناموسية)» و«جعل الجسد ذراع قوةٍ لنا (الجسدية)» والنتيجة لعنة! حيث يجد شعب الله نفسه في أرضٍ قاحلةٍ مالحة.

ويمكـن للجسـدية أن تتخـذ أشـكالًا كثـيرة. وغالبًـا مـا تكـون تلك الأشـكال واضحةً ومرفوضةً بالنسـبة للناس المتدينين. ومن أمثلتها المألوفة: الممارسـات الجنسـية النجسـة والسـلوكيات اللاأخلاقية، اللغة البذيئة، الانغماس الزائد في الطعام والشراب، الطموحـات الشـخصية المتهـورة، الغضـب غـير المسـيطر عليـه، وغـيره مـن المشـاعر الشريـرة. ومـا يجعـل الناموسـية خطرةً بشـكل خاص، هـو أنها قد تـروق لرجالٍ ونسـاءٍ مثابرين مكرَّسـين ممن لا يقعون بسـهولة في فـخ خطايا الجسـد الأكـثر وضوحًا. لكن الناموسـية في نتيجتهـا النهائيـة، مميتة كغيرها مـن الخطايا (الأقل احترامًا!) إنها سـلاح الشـيطان المفضَّل لكي يحرِف مسار مؤمنين يمكن أن يشكلوا تهديدًا خطيرًا على مملكته.

وبالنسـبة لي شـخصيًا، لا أعتقـد أن تحليـل مشـكلة الغلاطيـين هي مجـرَّد تمريـنٍ في علـم اللاهـوت النظـري. فـهي - على العكـس مـن ذلـك تمامًـا - مشـكلة حقيقيـة مؤلمـة أيضًـا. عام ١٩٧٠ في مدينـة فـورت لاودردل، انضممـت، بطريقـة فـوق طبيعيـة وبترتيـب

إلـهي، إلى مجموعـة صغيـرة مـن الخـدام مـن خلفيـات متنوعـة. لـم يتوقـع أحـد مـا سـيحدث معنـا، ولـم يفهـم أحـد مـا يريـده الله منـا. ولا شـكَّ في أنَّ الله كان سـيعلن لنا قصـده مـن تلـك المجموعـة بالتدريج لـو أننـا واصلنا الاتكـال علـى الروح القـدس الذي أنشـأ علاقتنـا، لكننـا لـم نسـلك هـذا الطريـق.

وسريعًـا، مـن دون أن نميِّز مـا كان يـدور في وسـطنا، بـدأت أعـراض غلاطيـة ٣ تتفـشى بيننـا. لـم تعـد قراراتنـا وأعمالنـا تنبـع مـن الـروح القـدس فيمـا بعـد، بـل صـارت تُبـنى على نظـامٍ محكـمٍ مـن القواعـد والمفاهيـم الـتي ابتكرناهـا. لـم نتخـلَّ عـن اعترافنـا بالـروح القـدس، لكـن بتلـك الطريقـة التـي يعـترف فيهـا رواد أحـد المطاعـم بالنـادِل (الجرسـون)! فـإذا شـعرنا بأننـا نحتاج إلى شـيء، نسـتدعيه وقتًـا قليلًا، أمَّـا معظـم الوقـت، فكلنـا نتـكل على أسـاليب وخطـطٍ مـن ابتكارنـا الخـاص.

أتذكـر ذلـك الآن، فـأدرك أن عمـل الـروح القـدس الذي بـدأ فينـا شـكَّل للشـيطان تهديـدًا خطـيرًا. فلجـأ الشـيطان بـدوره إلى التكتيـك الذي كان قـد نجـح نجاحًـا كبـيرًا في غلاطيـة، وفي عـددٍ لا يُحـصى مـن الحـالات الـتي تلـت ذلـك في تاريـخ الكنيسـة. وكان ذلـك في خطوتـين حاسـمتين: أولًا، نـزع الصليـب مـن مركـز حياتنـا وخدمتنـا. ثانيًـا، جعلنـا نبعـد يسـوع عـن ممارسـاتنا وعلاقاتنـا، وهـو الذي ينبـغي أن يكـون «رأسًـا فـوق كل شيء». وهكـذا لـم يعـد لنـا إلا أن ننحـدر لنكـون مجـرَّد منظمـة دينية أخـرى، تعمل على مسـتوى منطقنـا الطبيـعي وقدراتنـا البشريـة.

والمفارقـة أن السـبب الرئيـسي لمشـكلتنا هـو حقيقـة أننـا بدأنـا بالفعـل بدايـةً فـوق طبيعيـة، فكالغلاطيـين «بدأنـا بالـروح.» وإذا ابتدأنـا هكـذا، لـم يكـن مـن السـهل والمريـح أن نتحـوَّل إلى مجـرَّد منظمـة دينيـة أخـرى تعمـل على المسـتوى الطبيـعي وتأخـذ مكانهـا إلى جانـب عـدد لا يُحـصى مـن الجماعات المماثلـة في العالـم المسـيحي. فكمـا قال بولـس لمؤمـني غلاطيـة، لا يمكـن لمـن ابتـدأ بالـروح أن يكمِّـل بالجسـد.

وسرعان مـا وجدنـا أنفسـنا وجهًـا لوجـه مـع اللعنـة الـتي جلبناهـا على حياتنـا.

وكانت إظهارات تلك اللعنة نموذجًا لحالاتٍ أخرى مماثلة عبر تاريخ الكنيسة: علاقاتٍ شخصيةٍ تمزَّقت؛ كنائسَ انقسمت وتشتتت؛ خدَّامٍ واعدين قُطعت عليهم الطريق أو انحرفوا عن قصد الله؛ مؤمنين بدأوا متحمسين إلى أن أصابهم وبأ الإحباط وخيبة الأمل؛ وكثيرين تركوا الإيمان. ولو أردنا أن نضع عنوانًا واحدًا لهذه كله، فلربما الأنسب أن نستخدم ١صموئيل ٤:٢١: «**يخَابُودَ ... قَدْ زَالَ الْمَجْدُ!**»

وكل نتاج الأنشطة الدينية التي لم يؤسسها الروح القدس ولا يوجهها باستمرار، ملخَّصةٌ في عبرانيين ٦:١ في عبارة واحدة «أعمال ميتة». وعلاج ذلك في العدد نفسه: «التوبة». وهذا ما اختبرته أنا شخصيًا، فلم أستطع أن ألوم الآخرين، بل كان علي أن أتحمل مسؤولية ما تورطت فيه. وأكثر من أي شيء آخر، أدركت أنني أحزنت الروح القدس وأهملته.

وجدت أنَّ عليَّ أن أعترف بخطاياي للرب واثقًا بأنه يغفر لي ويعيد لي كل ما فقدت. وكان ذلك قرارًا شخصيًا ليس بمقدور إنسان آخر أن يتخذه بدلًا مني، وليس بمقدوري أن أتخذه بدلًا من آخرين. لكن إن تمكنت من اكتشاف طريق تقود إلى التحرير، فيمكن حينئذٍ لأولئك الذين أدركوا حاجتهم أن يسيروا على الطريق نفسها. وفي عام ١٩٨٣، تبتُّ واخترقت الحاجز.

أعلن لي الله برحمته الطريق التي كنت أبحث عنها خطوةً بعد خطوة. واكتشفت أنَّ هناك دربًا للعبور من تحت اللعنة للدخول ثانيةً إلى البركة. ولولا ذلك الاكتشاف، لما كان تأليفي لهذا الكتاب الذي بين يديك ممكنًا. فيا من تجد نفسك في حالٍ مماثل للحال الذي وصفته لك، هناك شرحٌ وافٍ للخطوات التي تحتاج إليها في القسم الثالث من هذا الكتاب.

في غلاطية ١:٦-٩، يكشف بولس عن بابٍ آخر يمكن للعنةِ أن تتسلَّل منه إلى شعب الله: الارتداد.

«**إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هكَذَا سَرِيعًا عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى**

إِنْجِيلٍ آخَرَ! لَيْسَ هُوَ آخَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ. وَلكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ "أَنَاثِيمَا"! كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ الآنَ أَيْضًا: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ "أَنَاثِيمَا"!.»

يصف بولس هنا شخصًا يقدِّم نفسه كخادم للمسيح، لكنه يشوه الحقَّ المركزي لرسالة الإنجيل. ويعلن بولس أنَّ مثل ذلك الشخص إنما يجلب لعنةً على نفسه. فالكلمة «أناثيما» كلمة يونانية تصف شيئًا من شأنه أن يستنزل غضب الله؛ شيئًا خاضعًا لدينونة الله ورفضه النهائي.

ويتضمن الإنجيل (الخبر السار) محورًا رئيسيًا من الحق المُعلن الذي قبلته الكنيسة العامة وتمسكت به عبر كل الأجيال. ويمكن تلخيصه بما يلي:

يسوع المسيح ذو الجوهر الإلهي، هو ابن الله الأزلي الذي صار إنسانًا عن طريق الولادة العذراوية. عاش على الأرض بلا خطية، ومات على الصليب كذبيحة كفّارية من أجل خطايا البشر، ودفن وقام ثانيةً من القبر بالجسد، ثم صعد إلى السماء، وسيأتي أيضًا بشخصه إلى الأرض ليدين الأحياء والأموات.

وكل من يتوب عن خطاياه ويؤمن في ذبيحة يسوع، يحصل على مغفرة الخطايا والحياة الأبدية.

ولا بدَّ أن نؤكد على أنَّ الإنجيل يرتكز على موت وقيامة يسوع. يلخص بولس رسالة الإنجيل في ١كورنثوس ١٥:٣-٤ في ثلاث حقائق تاريخية:

«... الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ ... دُفِنَ ... قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ.»

السلطان الأول الذي يستشهد به بولس دعمًا لهذه الحقائق هو سلطان «الكتب»

- وفي ذلك الوقت، كان ذلك يشير إلى أسفار العهد القديم. وللمزيد من تأييد حقيقة القيامة، يذهب بولس إلى ذكر شهود العيان الذين رأوا يسوع بعد قيامته من الأموات. لكن شهادة أولئك تأتي في الدرجة الثانية بعد شهادة كتب العهد القديم.

بعد ذلك، وفي عبارتين متتاليتين، يشدد بولس على أنَّ الإيمان بقيامة يسوع في الجسد ضروري جدًا للخلاص:

«إِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ ... وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ!»
(١كورنثوس ١٥:١٤، ١٧)

وفي ٢تسالونيكي ٢:٣، يحذر بولس من أنَّ نهاية هذا الدهر ستشهد انتشارًا كبيرًا للارتداد عن الإيمان المسيحي. وهناك أسباب قوية للاعتقاد بأننا نعيش الآن في فترة الارتداد هذه التي سبق الكتاب وأشار إليها. ففي بعض الطوائف المسيحية الكبيرة، أعلن الكثير من القادة البارزين جهارًا أنهم يرفضون الإيمان بالأسفار المقدسة، وخاصة ما يتعلق منها بقيامة المسيح بالجسد. ربما أنهم لا يدركون أن إعلانهم عدم الإيمان هذا هو بحد ذاته تتميمٌ للكتب التي يرفضونها!

وهناك، على أية حال، حقيقة لا يقدرون على تغييرها: كل الذين يحرِّفون حقَّ الإنجيل يجلبون على أنفسهم غضب الله ولعنته - إن لم يتوبوا!

الفصل التاسع

السرقة، شهادة الزور، سلب اللّه

آخر ثلاثة أنبياء في العهد القديم - حجّي وزكريا وملاخي - يتناولون عدة مسائل اختبر شعب إسرائيل بسببها لعناتٍ من الله. وكأنَّ مهمة هؤلاء الأنبياء هي أن يلخِّصوا تاريخ الإسرائيليين منذ دخولهم تحت ناموس موسى، وأن يواجهوهم بالأسباب التي استدعت حلول لعناتٍ ناموسية محددة عليهم.

في زكريا ٥:١-٤، يصف النبي رؤيا رآها حول لعنة الله الآتية على بيوت شعبه:

«فَعُدْتُ وَرَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَنَظَرْتُ وَإِذَا بِدَرْجٍ طَائِرٍ. فَقَالَ لِي: "مَاذَا تَرَى؟" فَقُلْتُ: "إِنِّي أَرَى دَرْجًا طَائِرًا، طُولُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهُ عَشَرُ أَذْرُعٍ". فَقَالَ لِي: "هذِهِ هِيَ اللَّعْنَةُ الْخَارِجَةُ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. لأَنَّ كُلَّ سَارِقٍ يُبَادُ مِنْ هُنَا بِحَسَبِهَا، وَكُلَّ حَالِفٍ يُبَادُ مِنْ هُنَاكَ بِحَسَبِهَا. إِنِّي أُخْرِجُهَا، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، فَتَدْخُلُ بَيْتَ السَّارِقِ وَبَيْتَ الْحَالِفِ بِاسْمِي زُورًا، وَتَبِيتُ فِي وَسَطِ بَيْتِهِ وَتُفْنِيهِ مَعَ خَشَبِهِ وَحِجَارَتِهِ"».

اللعنة التي يصورها زكريا تدخل بيت كل من يوجد مذنبًا بخطيتين محددتين: السرقة وشهادة الزور. فإذا دخلت هذه اللعنة بيتًا، مكثت هناك حتى تدمر البيت كله بخشبه وحجارته.

هذه صورة معبِّرة تمامًا للكيفية التي تعمل بها اللعنة، إذا سمحنا لها بالدخول إلى حياتنا. ولا نستطيع أن نضع حدودًا نختارها نحن ونحدد فيها الجوانب التي ستتأثر باللعنة دون غيرها. فإذا لم نتب ونطلب رحمة الله من أجل تحريرنا، فإن اللعنة ستدمر في النهاية البيت كله.

إن تفشّـــي هاتـين الخطيتـين (السرقـة وشـهادة الـزور) في مجتمعاتنـا المعـاصرة، يمكـن قياسـه مـن خـلال إحصائيـات بسـيطة. فالسرقـة منتـشرة في الولايـات المتحـدة اليـوم بشـكل هائـل حـتى أن ١٠٪ تقريبًـا مـن أثمـان بضائـع المحـلات تعـود إلى تكاليـف التأمـين ضـد السرقـة. هـذا واحـدٌ مـن أسـباب التضخـم الـتي لا تُعلن كثـيرًا! مـن جانب آخـر، تسـلب شـهادة الـزور مليـارات الدولارات كل عام مـن دائـرة الضريبـة في الولايـات المتحـدة، وذلـك مـن خـلال الضرائـب المستردة بنـاءً على شـهادات ووثائـق مـزورة. وأظـنُّ أن الأمانـة التامـة في هـذا الصـدد، مـن شـأنها أن تخلِّـص الميزانيـة العامـة مـن كل عجـز!

بنـاءً على رؤيـا زكريا، فـإن اللعنة التي تنشـأ عن خطيتي السرقة وشـهادة الزور، لا تؤثـر فقط على مقترفها، بل على بيته كلـه. والكلمة «بيت» في لغة الكتاب القدس العبرية، لا تشـير إلى البناء المادي للبيت فحسـب، لكنها تشـمل أيضًا الناس الذين يعيشـون فيه - العائلـة بأسرهـا. هاتان الخطيئتان واللعنة التي تجلبانهـا - على العكس مما يبدو للوهلة الأولى - سـاهمت معًا في تدمير «الحياة العائلية». بل إن «الحياة العائلية» صارت مشـهدًا نـادرًا هـذه الأيام. أمـا التأثير النهـائي للعنةِ السرقة وشـهادة الـزور، فسـيكون مماثلًا لما في الدَرج الذي شـاهده زكريـا في رؤيـاه: إبـادة أمـم، بل وربمـا فناء حضـارات بأكملها!

وكان النـبي حـجّي قبل ذلك قـد قدَّم صـورةً مماثلة للوبـأ الذي كان يفتك بأرواح شـعبه:

«هَـلِ الْوَقْـتُ لَكُـمْ أَنْتُـمْ أَنْ تَسْـكُنُوا فِي بُيُوتِكُـمُ الْمُغَشَّـاةِ، وَهـذَا الْبَيْـتُ خَـرَابٌ؟ وَالآنَ فَهكَـذَا قَـالَ رَبُّ الْجُنُـودِ: اجْعَلُـوا قَلْبَكُـمْ عَلَى طُرُقِكُـمْ. زَرَعْتُـمْ كَثِـيرًا وَدَخَّلْتُـمْ قَلِيـلًا. تَأْكُلُـونَ وَلَيْـسَ إِلَى الشَّـبَعِ. تَشْرَبُـونَ وَلاَ تَـرْوُونَ. تَكْتَسُـونَ وَلاَ تَدْفَـأُونَ. وَالآخِـذُ أُجْـرَةً يَأْخُـذُ أُجْـرَةً لِكِيـسٍ مَنْقُـوبٍ.» (حـجّي ١:٤-٦).

ويمكـن تلخيـص هـذه اللعنـة الـتي يصفها حـجّي بعبـارة واحـدة: «عـدم الاكتفاء». بحسـب الظاهر، كان لدى الإسـرائيليين كـل شي يريدونه لسـدِّ حاجاتهم المادية الأساسية. لكـن لسـبب مـا لـم يفهمـوه، كانـوا يعيشـون حالـةً مـن العَـوَز المسـتمر. ورأى الله أن يرسـل إليهـم نبيًـا يعلـن لهـم أنَّ تلـك القـوة الخفيـة الـتي تسـتنفذ خيراتهـم هي لعنـة جلبوهـا على أنفسـهم، إذ قدَّمـوا اهتماماتهـم الأنانيـة الخاصـة على احتياجـات بيـت الله.

وما أكثر الشعوب التي تعاني من حالٍ مماثل هذه الأيام. معظم الناس يكسبون أكثر بكثير مما حصَّله آباؤهم أو أجدادهم. لكن، وبينما تمتعت الأجيال السابقة بشيء من الاكتفاء والأمان، نجد أنَّ هذا الجيل الحاضر موبوء برغبةٍ ملحةٍ لا تجد الشبع أبدًا. في بعض تلك الأمم، وصل حدُّ المديونية إلى ما لم يشهده التاريخ من قبل.

أمّا ملاخي، آخر الأنبياء الثلاثة موضوع حديثنا، فإنه يجمع التّهم التي أعلنها زكريا وحجّي من قبل. وهو يتهم شعبه، لا بمجرَّد أن لهم موقفًا خاطئًا من الله، بل يتهمهم بالسرقة بأخطر أشكالها: لا سرقة البشر، بل سلب الله نفسه!

«أَيَسْلُبُ الإِنْسَانُ اللهَ؟
فَإِنَّكُمْ سَلَبْتُمُونِي.
فَقُلْتُمْ: بِمَ سَلَبْنَاكَ؟
فِي الْعُشُورِ وَالتَّقْدِمَةِ.
قَدْ لُعِنْتُمْ لَعْنًا
وَإِيَّايَ أَنْتُمْ سَالِبُونَ، هذِهِ الأُمَّةُ كُلُّهَا.» (ملاخي ٣:٨-٩)

يكشف هذا المقطع عن مبدأ يحكم تعاملات الله في كل عصرٍ وجيل، إذ أنَّ الله يحتفظ بسجلاتٍ لما يقدمه له شعبه! قبل أكثر من ألف سنة من تاريخ هذا النص، كان الله قد أمر أن يفرز شعبه له أول عُشرٍ من كل ما يدخلهم من نقودٍ أو غيرها. وكان ذلك من العلامات الهامة في علاقة عهدهم مع الله، وعدم الطاعة في ذلك المجال كان بمثابة خرقٍ للعهد.

وها هو الله يقدم سجل حسابه من خلال ملاخي. وبسبب كل ما احتفظ به شعبه من مال وغلال مخالفين الناموس، اتهمهم الله بالسرقة. وأشار إلى أن ذلك الذي أدَّى إلى حلول لعنةٍ مُبيدة على الشعب كله وعلى كل جانبٍ من جوانب حياتهم.

لكن الله لا يقف عند هذه الحالة السلبية. ففي العدد التالي، يعلن الله لشعبه كيف يخرج من هذه اللعنة ويدخل إلى البركة:

«هَاتُوا جَمِيعَ الْعُشُورِ إِلَى الْخَزْنَةِ لِيَكُونَ فِي بَيْتِي طَعَامٌ، وَجَرِّبُونِي بِهذَا، قَالَ رَبُّ

الْجُنُودِ، إِنْ كُنْتُ لاَ أَفْتَحُ لَكُمْ كُوَى السَّمَاوَاتِ، وَأُفِيضُ عَلَيْكُمْ بَرَكَةً حَتَّى لاَ تُوسَعَ.» (ملاخي ٣:١٠)

للانتقال من تحت اللعنة إلى ملء البركة، يطلب الله أمرين من شعبه: التوبة ورد المسلوب. في كل حالة سرقة، لا يطرأ تغيير على هذين المتطلبين، سواء كانت السرقة من الناس أو من الله.

في العهد الجديد، لم يؤسس الله ناموسًا محدَّدًا، كما في العهد القديم، يطالب فيه شعبه بفرز عشر دخلهم الكلي. عهد النعمة لا يعمل من خلال الشرائع المفروضة من خارج، بل بشرائع يكتبها الروح القدس في قلوب المؤمنين. ويوصي بولس المؤمنين في ٢كورنثوس ٩:٧ قائلًا:

«كُلُّ وَاحِدٍ (يعطي) **كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ. لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ.»**

وهناك شيء واحدٌ مؤكد: الروح القدس لن يدفع مؤمنًا ما إلى أن يكون بخيلًا! يصلي داود في مزمور ٥١:١٢ أن يعضده الله بروحٍ «سخي» (بحسب اللغة الأصلية). فمن الصفات المميزة للروح القدس الكرم والسخاء. الله نفسه هو الأعظم في العطاء، وعندما يتحرك روحه في قلوب شعبه، سيجعلهم مثله في عطائه السخي.

وفي عبرانيين ٨:٦، يقارن الكاتب بين العهدين القديم والجديد ومذكِّرًا المؤمنين بأنهم دخلوا في «عهدٍ أعظم وقد تثبَّت على مواعيد أفضل.» فمن غير المعقول أن الناس الذين يتمتعون بهذا العهد الأفضل يمكن أن يكونوا أقل سخاءً في العطاء لله من أولئك الذي عاشوا في ظل عهدٍ أقلِّ شأنًا! فإذا كان الناس تحت الناموس يدفعون عشورهم - وأكثر منها كثيرًا - كيف يمكن للمؤمنين تحت النعمة أن يبرروا عطاءهم الأقل من ذلك؟ إن معايير النعمة أعلى لا أدنى من معايير الناموس.

عبر كل العصور، هناك مبدأ أساسي ثابت لم يتغير: الشحُّ والبخل تجاه الله يجلب لعنة، أمَّا السخاء فيطلق بركاته.

الفصل العاشر

ذوو السلطان

البركات واللعنات هي جزء من عالمٍ روحي خفي متَّسع يؤثر على حياة كل واحدٍ منا. من العوامل المركزية الهامة في ذلك العالم عامل السلطان. ومن دون استيعاب مبادئ السلطان، من المستحيل أن نفهم عالم الروح أو أن نعمل بفعالية فيه.

شهد القرن العشرين ثورة، شملت العالم كله تقريبًا، ضد أشكال السلطة التي كان الإنسان قد اعترف فيها بشكل عام منذ أكثر من ألف سنة. أمَّا البُنى الاجتماعية الرئيسية التي تأثرت بذلك فمنها العائلة والكنيسة والفروع المختلفة للحكومات.

يفترض الناس غالبًا أن هذه الثورة غيَّرت أو أبطلت أشكال السلطة هذه، لكن الأمر ليس كذلك. إن المبادئ التي تحكم ممارسة السلطان هي موضوعية وكونية كقانون الجاذبية.

ربما يقرر ذو الموقف المتمرد أن يرفض قانون الجاذبية، وأن يقفز من نافذة الطابق العاشر لأحد المباني. لكن رفضه للقانون لم يغيره أو يلغي صلاحيته، وسيسقط ملاقيًا حتفه على الرصيف. هذا ينطبق على القوانين التي تحكم ممارسة السلطان. قد يتجاهل الناس هذه القوانين وقد يرفضونها، لكن مسار حياتهم سيظلُّ مرتبطًا بها، سواء أقروا بذلك أم لا.

في هذه الكون الشاسع، هناك مصدر فائق للسلطان: الله الخالق. ولا يمارس الله سلطانه بصورة مباشرة غالبًا، لكنه ينتدب آخرين حسب مشيئته ويمنحهم

سلطانه. بعد أن قام يسوع من الأموات، قال لتلاميذه:

«دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ.» (متى ٢٨:١٨)

فمنذ ذلك الوقت، وضع الله كل السلطان في يدي يسوع. لكن يسوع انتدب بدوره آخرين ليعطيهم السلطان الذي أخذه من الآب.

فيمكن تشبيه السلطان عبر الكون بحبل شديد المتانة ينزل من عند الله الآب إلى يسوع. وفي يدي يسوع، يتفرع الحبل إلى عدد لا يحصى من الحبال الأصغر التي تصل إلى أشخاص (بشر وملائكة) عيَّنهم يسوع في أماكن مختلفة من الكون.

ومن المصطلحات التي يستخدمها الكتاب المقدس للإشارة إلى شخص ذي سلطان مُعيَّن: «الرأس». يكتب بولس في ١كورنثوس ١١:٣، على سبيل المثال:

«وَلكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ، وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ، وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ.»

يصور بولس؛ باستخدامه فكرة الرئاسة، «حبلًا» من السلطان يصدر من عند الله الآب نازلًا إلى المسيح ومنه إلى الرجل الذي يمارس دور الزوج والأب في عائلةٍ ما. فمن ميزات هذه العلاقة أن الرجل هو صاحب السلطان في بيته.

إذًا في مجال العلاقات الاجتماعية، الزوج أو الأب هو المثال الرئيسي لشخصٍ عيَّنه المسيح ليمارس السلطان. وهناك عدد كبير آخر من الأشخاص المعترف بأن لهم حق ممارسة السلطة أو السلطان: الحاكم على شعبه، القائد العسكري على جنوده، المعلِّم على تلاميذه، والراعي على أعضاء كنيسته.

الله وحده له السلطان المطلق، أمَّا أشكال السلطان الأخرى فخاضعة للمحدودية من عدة وجوه. فالسلطان المنتدب له فاعلية ضمن نطاق محدد. فسلطان الحاكم

مثلًا، غالبًا ما يكون محدودًا بقوانين البلاد ولا تمتد لتشمل النواحي «الخاصة» بحياة المواطنين الخاضعين له. أما سلطان الأب على عائلته، فلا يسمح له أن ينتهك قوانين الدولة. وللمعلم سلطان على تلاميذه فقط داخل نطاق المدرسة وما يتعلق بها. وللراعي سلطان على الأعضاء فقط في أمور محكومة بطبيعة وشكل الديانة التي قبلها أولئك الأعضاء.

كل الأمثلة التي ذكرناها عامة. وللمزيد من الدقة، نحتاج بالضرورة إلى إضافة الكثير من الشروط والتحديدات. كما أن هناك حالات تتداخل فيها أشكال السلطان، مما قد يؤدي إلى صراع ما. إلا أنَّ الأمثلة السابقة كافية على أية حال لتحديد المبادئ الأساسية التي تحكم ممارسة السلطان.

يُفترض عادةً أنه عندما يُساء استخدام السلطة، فإنها تُلغى تلقائيًا. وقد يكون هذا صحيحًا في بعض الحالات المتطرفة، لكن الأمر ليس كذلك في العادة. السلطة، بشكل ما، ضرورة أساسية في أي شكل من أشكال الحياة الاجتماعية. قد تؤدي السلطة إذا أسيء استخدامها إلى صعوبات كثيرة، لكنها مع ذلك أفضل من البديل الذي هو «الفوضوية»، أكان ذلك بالغياب الكامل للحكومة أو بالعنف السياسي وغياب الضوابط والقوانين أو بأي شكلٍ من أشكال الفوضى.

في كثير من التجمعات السكانية هذه الأيام، يتنفس الناس هواءً شديد التلوث إلى حدِّ الخطورة على صحة الناس. لكن الله لا يزيل الهواء من تلك المنطقة لهذا السبب! فحتى الهواء الملوّث أفضل من عدم وجوده. وكذلك فإن السلطة المُساء استخدامها أفضل بكثير من الفوضى.

ويمكن لأي شخص أن يمارس سلطانه بأن يبارك أولئك الخاضعين لذلك السلطان. يسجل لنا تكوين ٢٧ الاهتمام الكبير الذي أظهره كلٌّ من يعقوب وعيسو بنوال بركة أبيهم إسحق. ولم يكن اهتمامهما بذلك اهتمامًا عشوائيًا، حيث أن تاريخ نسل كلٍّ منهما تحدد منذ ذلك الحين من خلال الكلمات التي نطق بها

إسحق من جهتهم. ولا يُعتبر إسحق استثناءً، بل على العكس، إذ أن بركة الأب في الكتاب المقدس كله تعتبر في المرتبة الثانية بعد بركة الله نفسه.

وسلطان البركة يتضمن سلطان اللعنة أيضًا. لا يمكن فصل البركة عن اللعنة، كما لا يمكن فصل الحرارة عن البرودة أو الليل عن النهار. وهذا يعني أن الأشخاص ذوي السلطان، لهم أن يمارسوا سلطانهم هذا بإحدى طريقتين: إمّا للبركة أو للعنة. فالسلطان الذي يجعل البركة عاملة وفعَّالة هو نفسه الذي يجعل اللعنة عاملة وفعَّالة بالمقدار نفسه.

من الأمثلة المثيرة على ذلك ما نجده في عائلة يعقوب، حيث يحدثنا تكوين ٣١ أنَّ يعقوب وزوجتيه وجاريتيه وبنيه الأحد عشر، غادروا سرًّا أرض خاله لابان فيما بين النهرين بعد أن عزم يعقوب على العودة إلى أرض كنعان. لكن لابان، مع جمعٍ من أقاربه، طارد يعقوب وأدركه عند جبال جلعاد. وكانت بينهما مشادَّةٌ اتهم فيها لابانُ نسيبه يعقوب بسرقة الترافيم (وهي أصنامه أو «آلهته» التي كانت تستخدم لكشف الطالع ويفترض بها أن «تحمي» البيت من القوى الشريرة).

ولم يكن يعقوب يعلم أن زوجته الأقرب إليه والأحب إلى قلبه، راحيل، هي التي أخذت الأصنام دون علم أحد. فما كان من يعقوب إلا أن واجه اتهامات لابان بغضب متحديًا لابان أن يفتش متاعه ومتاع من معه. ثم قال - مؤكدًا على براءته - كلماتٍ كانت بمثابة لعنة:

«اَلَّذِي تَجِدُ آلِهَتَكَ مَعَهُ لاَ يَعِيشُ.» (تكوين ٣١:٣٢)

وقام لابان فعلًا بتفتيش جميع مقتنيات يعقوب ومن معه، إلا أن راحيل نجحت بإخفاء الأصنام. ومع ذلك، فإن اللعنة التي نطق بها يعقوب كانت مدعَّمةً بسلطان الزوج. كانت كلماته بمثابة حكمٍ بالموت على الشخص الذي سرق الأصنام. وكون يعقوب لا يعرف أنَّ كلامه كان موجَّهًا ضد راحيل، لم يمنع اللعنة من أن

تأخـذ مجراهـا. فبعـد فـترة قصـيرة، وبينمـا كانـت تنجـب ولدهـا الثـاني، ماتـت راحيـل في المخـاض (انظـر تكويـن ٣٥:١٦-١٩). هـذا هـو سـلطان الـزوج؛ إمَّـا للبركـة أو للعنـة!

ولا بـدَّ أن نضيـف هنـا أنَّ راحيـل بحملهـا لتلـك الآلهـة المزيفـه، قـد دخلـت مجـال عبـادة الأوثـان والسـحر. وبيدهـا تخلـت عـن حمايـة الله وعرَّضـت نفسـها للّعنـةِ الـتي تـأتي بسـبب العلاقـة بالسـحر. هـذا مثـال واضـح يبـيِّن أن القوانـين الـتي تحكـم البركـة واللعنـة حقيقيـة وموضوعيـة - في نطاقهـا - بمقـدار حقيقـة وموضوعيـة قانـون الجاذبيـة. فتلـك القوانـين تعمـل دائمًـا، سـواءَ أقـرَّ النـاس بهـا وأدركوهـا أو لـم يفعلـوا.

في خطـة الله للـزواج، يصبـح الـزوج والزوجـة «جسـدًا واحـدًا»، أي أن هويـة كل منهمـا تندمـج في هويـة الآخـر ليكوِّنـا وحـدةً جديـدة. وعلى هـذا الأسـاس، مـن الطبيـعي أن يشـارك الـزوج زوجتـه في السـلطان على أولادهمـا. فـإذا لـم يفعـل الـزوج ذلـك، يصبـح متسـلِّطًا مسـتبدًا.

إلا أنَّ المألـوف اليـوم هـو أن يذهـب الـزوج إلى نقيـض ذلـك تمامًـا، فينكـر مسـؤولياته تجـاه زوجتـه وأولاده، أو ربمـا يهجرهـم تمامًـا. في مثـل تلـك الظـروف، تُـترك الزوجـة لتحمـل على عاتقهـا وحدهـا ذلـك الحمـل الذي كان ينبـغي أن يشـارك الطرفـان بتحمُّلـه. والنتيجـة الـتي نراهـا تتكـرر كثـيرًا هي انهيـار بُنيـة العائلـة مـن أساسـها. لكـن التقديـر كلـه للزوجـات المؤمنـات اللـواتي يجـدن أنفسـهن في مثـل تلـك الظـروف، فينجحـن في تحمـل العـبء الإضـافي الموكـول إليهـن، وذلـك بالإيمـان والصـلاة والاتكال على نعمـة الله.

في حادثـة يعقـوب وراحيـل، لـم يـدرك يعقـوب أن مـا نطـق بـه موجَّـه ضـد راحيل. لكـن في مجتمعاتنـا المعـاصرة هـذه يكـثر أن يوجـه الـزوج، عـن علـمٍ وقصـد، كلمـاتٍ مُـرَّةٍ مدمِّـرة ضـد زوجتـه، فيمـا يـلي مثـال نمـوذجي.

نادية، الـتي لـم تعلِّمهـا أمهـا الكثـير عـن شـؤون البيـت، تزوجـت مديـرًا تنفيذيًـا

حاد المزاج اسمه عصام. ولم تنجح نادية يومًا بإعداد طعامٍ جذابٍ طيبِ المذاق. وهكذا مرّت فترة مارس عصام خلالها ضبط النفس ولم يعبِّر عن نفاذ صبره. ويومًا ما، انفلت الإحباط المكبوت في داخله وقال: «طريقتك في إعداد الطعام تصيبني بالمرض! لن تتعلمي الطبخ أبدًا!» وكرَّر عصام ما يشبه ذلك الكلام في عدة مناسبات لاحقة.

ومنذ ذلك الحين، أخذت يدا نادية ترجفان كلما أحضرت طعامًا إلى المائدة. وصار تحضير الطعام بالنسبة لها عذابًا تتوق إلى الخلاص منه. وبعد عدّة سنوات، انهارت هذه العلاقة الزوجية. لكن اللعنة التي نطق بها عصام لاحقت نادية بقية حياتها. ورغم أنها كانت موهوبة وناجحة في أمورٍ كثيرة، إلا أنها لم تتعلم الطبخ أبدًا. وكلما وجدت نفسها في مطبخ، حلَّت عليها قوةٌ سوداء تكبح قدراتها الطبيعية. وليس أمامها سوى حلٍّ واحد: أن تقرَّ بان زوجها قد وضع لعنةً عليها، وأن تسعى إلى التحرير الذي أعدَّه الله لها.

من الواضح أيضًا أنَّ عصام أعلن لعنةً ضد نفسه دون أن يعلم. فمنذ أن قال: «طريقتك في إعداد الطعام تصيبني بالمرض،» بدأ بمعاناة عسر هضم مزمن لا يجد له الأطباء سببًا طبيعيًا ولا علاجًا شافيًا. وكعجز نادية عن الطبخ، رافق عسرُ الهضم عصام بقية أيام حياته.

(في الفصل الحادي عشر سنفصِّل الحديث حول هذا الموضوع الهام: «اللعنات على الذات».)

بالطبع يمكن لقصة عصام ونادية أن تأخذ سيناريوهات مختلفة. يمكن أن تكون مشكلة نادية زيادة الوزن، وقد يبدي عصام ملاحظته كالتالي: «ليست لديك الإرادة للتخلص من وزنكِ الزائد؛ ستظلين سمينة بقية عمرك!»

أو قد تكون نادية من النساء اللواتي لا يُحسِنَّ تدبير الأمور المالية، فتَنْفذُ المخصصات قبل نهاية الأسبوع، ولا تنجح نادية أبدًا في التنسيق بين الدخل

والمصروفات. فيقول عصام: «بنتٌ صغيرة في العاشرة يمكنها تدبير المصروف أفضل منكِ؛ أنتِ لا تستحقين أن يكون هناك مالٌ بين يديكِ؛ ستمضين حياتُكِ وأنتِ فقيرة!»

ولنتخيل زوجين آخرين: غالب وعايدة. أمَّا لغة غالب فهي أشدُّ قسوةً من لغة عصام، فهو غالبًا ما يختم المجادلات الحادة بقوله: «أنت مريضةٌ من الداخل!» وفي السنوات التي تلي الطلاق المحتَّم، تُجري عايدة ثلاث عمليات في أحشائها بسبب حالات متتالية لا رابط بينها من الناحية الطبية. أمّا التشخيص الحقيقي لمشاكل عايدة الصحية الثلاث فنجده في أمثال ١٨:١٢:

«يُوجَدُ مَنْ يَهْذُرُ مِثْلَ طَعْنِ السَّيْفِ...»

لقد تطلب الأمرُ مِبضعَ طبيب جرَّاح للتعامل مع جروح خفيّة بثَّها غالب في كلماته المرَّة.

هذه الكلمات، كالتي نطق بها عصام ضد نادية أو غالب ضد عايدة، تنتج عن أمزجة تتفاوت ما بين نفاذ الصبر والغضب والغيظ الشديد. وغالبًا ما تقف ضغوط شيطانية وراء ذلك كله. وتشبه مثل هذه العبارات سهامًا خشنةً مسمومة. فإذا اخترقت الجسد، حالت خشونتها دون سحبها. وإن بقيت مغروسة هناك، انتشر السمُّ في الجسد كله.

والأعظم من سلطان الزوج على زوجته، سلطان الأب على أولاده. إنه الأساس في كل علاقة لها صلةٌ بالسلطان، بل هو امتداد لعلاقة الآب والابن في الثالوث الأقدس.

وكما أنَّ لبركة الأب تأثير صالح ليس له حدٌّ على المدى البعيد، كذلك هناك تأثير شرير للعنةِ الأب على المدى البعيد. أحيانًا يتعمد الأب النطق بمثل هذه اللعنة. لكن الأغلب ربما -كما في علاقة الزوج والزوجة - أن لا يقصد الأب بكلماته

التي يوجهها لابنه أن يضعه تحت لعنة، لكن التأثير في الحالتين واحد تمامًا. يتكوَّن كل من الأمثلة التالية من عناصر واقعية واجهتها شخصيًا أثناء خدمتي.

لأبٍ ثلاثة أبناء. الولد البكر يحظى بالترحيب لمجرَّد أنه البكر. الولد الأصغر يتمتع بمواهب غير عادية وشخصية بارزة. أمَّا الأوسط فليس لديه شيء من هذا ولا ذاك. إنه يطيل التفكير بمواقف سوء الفهم التي يتعرَّض لها دائمًا، لكنه يحتفظ بمشاعره لنفسه. والأكثر من هذا أنَّ الأب يرى في ولده الأوسط جوانب لا يحبها من شخصيته هو، لكنه لم يعالجها في حياته الخاصة. وهو يجد أن إدانة هذه الجوانب في ابنه أقل ألمًا من إدانته لنفسه.

والنتيجة أن الولد الأوسط لا يشعر أبدًا برضى أبيه عنه. وفي النهاية، يتخلى حتى عن محاولة كسب ذلك الرضى. أمّا والده فيفسِّرُ ذلك على أنه عِناد. ويومًا بعد يوم تزداد المواقف التي يعبِّر فيها الأب عن عدم رضاه بكلمات مثل: «أنت لا تحاول! أنت كسلان! لن تنجح أبدًا!» غير مدرك أنه يحدد بذلك مصيرًا شريرًا لولده قد يلتصق به بقية حياته.

لا أستطيع أن أحصي عدد الرجال الذين قابلتهم شخصيًا، واكتشفت أنهم موبوءون بسبب كلمات انتقاد سلبيةٍ مدمِّرة كان آباؤهم يرددونها. وقد تعلمت من تلك اللقاءات أنَّ مثل تلك الكلمات هي في الواقع لعنة! ومرور الوقت لا يكفي لإبطال مفعولها. ربما يتجاوز رجلٌ منتصف العمر وهو مازال يعاني بسبب عباراتٍ قالها له أبوه في طفولته. والحلُّ الوحيد الفعَّال هو أن يتعامل مع تلك العبارات باعتبارها لعنة، وأن يطبِّق على حالته العلاج الذي يقدمه الله.

وكما في حالة عصام ونادية، أو غالب وعايدة، هناك سيناريوهات متعددة لهذه الحالة. أبٌ ماهر باستخدام يديه، مثلًا، له ابن بطيء بطريقة غير عادية في إنجاز الأعمال التي تتطلب براعة يدوية. وبعد أن يفسد الولد عدة مهام عملية طلبت إليه، يقول الأب متعجبًا: «أصابعك جامدة كالخشب!» أو «يدك اليمنى هي يسرى أيضًا!»

قد يقول الأب هذه العبارات على سبيل المزاح ودون غضب، لكن تأثيرها على ابنه يدوم طويلًا. وبعد ثلاثين سنة، مازال يصيبه الحرج والارتباك أمام أسهل الأعمال اليدوية. ويستمر ذلك، ولا ينجح أبدًا في هذه الناحية من حياته. مع ذلك، قد يكون أصل مشكلته ليس نقص المهارة اليدوية بقدر ما هو نقص الثقة بالنفس، ولم يتمكن من إعادة بناء تلك الثقة التي حطَّمها والده أثناء طفولته دون قصد.

وتعاني البنات كالأولاد من تأثير كلمات الأب السلبية. فتاة يافعة شديدة الخجل بسبب حَب الشباب على وجهها، فتقضي ساعاتٍ كل صباح أمام المرآة وهي تصارع من أجل إخفاء البقع الداكنة بأنواعٍ مختلفة من الكْريم. والدها ينتظر لكي يأخذها إلى المدرسة بسيارته، وهو يزداد غضبًا كل يوم لأنها لا تكون جاهزة في الوقت المناسب. ويومًا ما، تتأخر الفتاة أمام المرآة أكثر من عادتها، فينفجرُ غضبُ الأب فيصرخ قائلًا: «أنت تضيعين وقتك أمام المرآة؛ لن تتخلصي أبدًا من تلك البثور!» واليوم، بعد عشرين سنة من ذلك الموقف، تلك الفتاة متزوجة ولها أطفال، لكنها ما زالت تعاني وتصارع لكي تغطي حب الشباب الذي ما زال يملأ وجهها!

إن كلمات الغضب والمرارة، سواء صدرت من زوج لزوجته أو من أبٍ لولده، عادةً ما تكون نتاج فترةٍ من النمو المتزايد للتوتر الداخلي. وذلك كغلاية الماء المجهَّزة بصفَّارة على فوهتها وموضوعة فوق النار. في البداية يبدأ التوتر بالنمو داخليًا دونما مؤشر يدل عليه من الخارج. ثم يغلي الماء ويندفع البخار وينطلق الصفير! بعد ذلك، لا مجال لإلغاء ذلك الصوت. الحل الوحيد هو رفع الغلاية عن النار وتبريد الماء.

ومعنى ذلك بالنسبة للمؤمن هو أن يتحول إلى الله بصلاة داخلية عاجلة: «يا رب، أنا بدأت أفقد السيطرة، لكنني اسلِّم روحي لك. أرجوك سيطر أنت على كل شيء.»

وإلا فإن الغضب الداخلي سينمو داخل الشخص، ومن ثمَّ يندفع كالبخار

على شكل كلماتٍ جارحة مؤذية. أمّا اللعنة التي ترافق مثل تلك الكلمات فهي كالصفير الحاد: إذا بدأ، لا يمكن إيقافه. إذًا الحل الوحيد هو الإقرار بأن ذلك الكلام يتضمن لعنة، والسعي إلى معونة الله لإبطالها.

وللأمِ أيضًا سلطان على أولادها؛ سواء شاركها زوجها بهذا السلطان أو انتدبها لممارسته. وتكون الأم أحيانًا غير مكتفيةٍ بممارسة سلطانها الشرعي، فتعمد - عوضًا عن ذلك - إلى استغلال محبة أولادها وولائهم لكي تكتسب سيطرةً غير مشروعة عليهم ولكي توجِّه مسار حياتهم كما تريد. هذا التلاعب هو مثال آخر على ممارسة العِرافة! ويظهر ذلك بأكثر وضوح عندما يأتي الوقت لكي يختار أولادها وبناتها شركاء حياتهم. فإن كانت موافقة على اختيارهم، كانت طيّبةً إلى أبعد الحدود. وإن لم توافق، ظهر جانب آخر تمامًا من شخصيتها.

في القسم التالي من هذا الفصل، يعزو زوجٌ وزوجته تجربتهما إلى لعنةٍ نطقت بها أم الزوجة وقت حفل زواجهما. وهما يصفان -قبل كل شيء - الآثار التي كانت للعنةِ على حياة كلٍّ منهما، ثم كيف أدركا وجود اللعنة وطبَّقا الخطوات الكتابية للتحرر منها.

الزوج:

أن تعيش تحت لعنة، هو كأن تعيش في غرفة بخار. تدرك التأثير، لكن دونما هيئة واضحة أو جوهر محسوس للمؤثر. فمع أنك تدرك شيئًا من النجاح، إلا أنك لا تشعر بغير الإحباط واليأس!

كانت بركة الله بالنسبة لي تبدو بعيدةً دائمًا وعصيةً على النوال. كثيرًا ما كنت أميِّز حضور الرب وأمارس المواهب الروحية، إلا أن الشبع في الخدمة وفي الحياة كان يبدو بعيد المنال. زوجتي وأولادي يعانون من مشاكل صحيّة مزعجة، والحالة المادية أقل من المطلوب دائمًا (رغم أننا كنا ندفع عشورنا بانتظام ونعيش حياةً مقتصدة).

ورغم أنني كنت أعرف بوضوح ماهية الخدمة التي دعاني الله إليها، إلا أنني

لـم أتمكـن مـن النجـاح فيهـا. وكل مـا أعملـه كان ينتـهي على مـا يبـدو بقـدرٍ مـا مـن اللاثمـر! كنـت أسـتطيع الـشروع بالأشـياء، لكـن لـم أكـن أسـتطيع إتمامهـا. وكأن هنـاك مقاومـة خفيـة تقـف في وجـهي.

واسـتمر الـصراع عـدة سـنوات. ويومًـا مـا، وجـدت نفـسي أشرح ذلـك الوضـع لمجموعـة مـن زمـلائي الخـدام، ومـن بينهـم ديريـك برنـس. وقـد ميَّزوا بالـروح وجـود لعنـةٍ على عائلـتي مصدرهـا حمـاتي. وزوجـتي سـتتابع شرح ذلـك لكـم.

الزوجة:

في بدايـة زواجنـا، صرفـت يومـين في الصـلاة والصـوم، وشـعرت أنَّ الـربَّ يريـني أنَّ هنـاك لعنـةً علـى عائلـتي. كنـا أنـا وزوجي قـد تعمدنـا في الـروح القـدس منـذ فـترة قصـيرة، ولـم نكـن قـد سـمعنا بـشيء اسـمه «لعنـة»! كانـت تجربتنـا، ونحـن نسـعى إلى التحريـر، أشـبه مـا تكـون بتقشـير البصـل!

كان محـور تلـك اللعنـة روح عِرافـة شريـر كان يعمـل في نسـاء عائلـتي، وخاصـةً أمي. كان أهـلي يذهبـون إلى الكنيسـة ويتحلـون بأخلاقيـات جيـدة وطبيعـة «عاديـة»، لكـن روح العِرافـة كان يعمـل بـكل خبـث بهـدف الحـطِّ مـن سـلطة الرجـال في العائلـة، ومـن ثـمَّ التلاعـب ببقيـة الأفـراد.

لـم أكـن أدرك تمامًـا مـدى التسـلط عنـد أمي حـتى تمَّـت خطوبـتي. وإذ صـار ولائي ينتقـل إلى زوج المسـتقبل، بـدأت أشـعر باسـتيائها المتزايـد، وخاصـةً عندمـا قالـت: «لـن يتمكـن مـن تحصيـل أيـة نقـود، وسـتضطرين للعمـل طـوال حياتـك!» وخـلال سـنوات زواجنـا كلهـا، كنـت أقـاوم هـذه «اللعنـة». كنـت مصممـةً على أن «أبرهـن لهـا» عكـس كلامهـا، وذلـك بـأن لا أرتبـط بـأي عمـلٍ خـارج المـنزل. لكـن ذلـك بحـد ذاتـه، كان يقيـدني، إذ لـم أعـدْ حُـرَّةً للحصـول على عمـل! في الوقـت نفسـه، لـم نعـد أنـا وزوجي نتخيـل أنفسـنا في حالـة ماديـة جيـدة، وصـارت تواجهنـا مشـاكل ماديـة متواصلـة.

وبعد أن تزوجنا بفترة قصيرة، قالت أمي: «تعلمين أنك لست قوية من الناحية الجسدية!» وشعرت حينها وكأن أحدهم ضربني على رأسي! فما قالته سبب صدمةً لي لأنني لم أعتبر نفسي يومًا ضعيفةً أو مريضة. على العكس من ذلك، كنت دائمًا رياضيةً وصحيحة الجسم. وهكذا بدأت أفكر بأنني ربما مخطئة، وأنني ربما أكون ضعيفة بالفعل ... ونتيجةً لذلك، دخلت في صراعات مريرة مع الكثير من الاعتلالات الصحية، وبعضها رافقني فتراتٍ طويلة.

كما أنني عانيت لأنني كنت أتعامل مع زوجي وأولادي بأساليب تشبه أساليب أمي إلى حدٍّ كبير، مما أسلمني إلى شعورٍ باليأس. كيف أتحرر تمامًا من هذه اللعنة؟ لقد سيطرت العِرافة على عدة أجيالٍ من عائلتي، ويبدو أن الروح الشرير المرتبط بذلك صدَّق حقًا أن له الحق بالسيطرة علي، بل إنه صدَّق حقًا أنه امتلكني!

وكلما صلّى أحدهم معي من أجل التحرير، كان يهمس ذلك الروح لي قائلًا إنني لا يمكن أن أتحرر تمامًا. ألقيت باللائمة على أمي ... لكن بعد عملية طويلة من التحرير والإعلان التدريجي، اكتشفت أن عدوي ليس هو أمي. غفرت لها، وتعزَّفت على لعنة العِرافة التي كانت تؤثر عليَّ وعليها.

وبعد أن خضعنا لخدمة خاصة بهدف كسر هذه اللعنات بشكل محدد، صار على أن أتعلّم كيفية محاربة الأفكار والعادات القديمة. والآن أعترف كل يومٍ بثقة قائلةً: «المسيح افتداني من اللعنة بذبيحته الكفَّارية على الصليب، وصارت لي بركة إبراهيم الذي باركه الله في كل شيء.»[٧] نعم، المسيح افتداني من اللعنة!

الزوج:

بعد الصلاة من أجل كسر اللعنات، صار الهواء نقيًا بشكل ملحوظ. لم يكن التغيير لحظيًا ولا حماسيًا، لكنه كان حقيقيًا. والآن، أجد في حياتي إحساسًا بالاتجاه.

(٧) غلاطية ٣:١٣-١٤.

وهناك تقدم، فأنا أشعر بدرجة من السيطرة على حياتي تتوافق مع كلمة الله، وأستطيع أن آخذ مكاني المشروع وسط عائلتي. كما أنني أرى أيضًا إثمارًا وإنتاجًا مقابل عملي وتعبي.

والأهم من هذا كله، أنَّ هناك رجاء. الظلمة الحالكة التي كانت تحيط بالمستقبل، تبدَّلت إلى فرح وسعادة بما يعمله الله. الضباب أخذ بالتلاشي!

ومن الأهمية بمكان، أن نلاحظ أنَّ أم الزوجة لم تكن مدركةً لجميع هذه الآثار التي تركتها كلماتها على ابنتها وصهرها. هي نفسها كانت سجينة قوة روحية آتية من خلفية عائلتها. ومن المحتمل جدًا أنَّ تلك القوة قد أثّرت على العائلة لعدة أجيال، إلا أنَّ رحمة الله وفَّرت طريقًا للتحرُّر من سيطرتها.

الحياة المدرسية ميدان آخر تظهر فيه أهمية العلاقات التي تتضمن نوعًا من السلطان، رغم أن سلطان المعلم على التلميذ ليس محددًا بشكلٍ واضح كسلطان الأب أو الأم، لكن الكلمات السلبية التي يوجهها معلِّم إلى أحد تلاميذه قد يكون لها الأثر السيئ في نفسه كما لو أن أحد الوالدين قد نطق بها. فمثلًا قد يغضب معلمٌ على تلميذ قليل الانتباه بطيء التعلم، فينفجر بكلماتٍ مثل: «لن تنجح أبدًا بتعلم القراءة كما ينبغي.» أو «أنت دائمًا تفهم الأمور بشكل مقلوب! لن تفلح أبدًا!»

ومؤكدٌ أنَّ المعلِّم لا يدرك خطورة مثل هذه العبارات، وأنه لن يرى - على الأغلب - نتائجها في حياة تلميذه في المستقبل. لكنني قابلت رجالًا ونساءً ناجحين، وقد كانوا طوال حياتهم يعانون بسبب كلمات قالها أحد معلميهم في المدرسة. أذكر سيدةً مؤمنة مكرَّسة، عاشت مقيَّدةً أربعين سنة بشعور بالنقص والدونية بسبب ملاحظةٍ أبدتها معلمتها إذ قالت لها: «أنتِ سطحية!» والواقع أنَّ هذه السيدة هي آخر من يمكن أن تنطبق عليه هذه العبارة!

الأمثلة السابقة جميعها، تدور حول التأثير السلبي بعيد المدى الذي يأتي بسبب كلمات نطق بها أناس ذوي سلطانٍ ما ضمن علاقة ما. العلاقات التي استشهدنا

بهـا كمجـرَّد أمثلـة، هي العلاقـات الـتي يكـون السـلطان فيهـا للـزوج أو الأب أو الأم أو المعلِّـم. وهنـاك خيـط واحـد يربـط الأسـاليب الـتي يعـبِّر فيهـا ذوو السـلطان عـن أنفسـهم، ويمكـن تلخيصهـا بعبـارة واحـدة: «لـن تفلـح أبـدًا!»

وإنـه لأمـرٌ ذو دلالـة هامـة، أن يسـتخدم مـوسى كلمـات مشـابهة في مَعـرِض شرحـه للشـعب أبعـادَ «لعنـة النامـوس»:

«.... وَلاَ تَنْجَحُ فِي طُرُقِكَ.» (تثنية ٢٨:٢٩)

بالنسـبة لـي، كلمـا سـمعت إنسـانًا يسـتخدم عبـارةً مماثلـة لهـذه، أكـون حريصًـا في الأخـذ بعـين الاعتبـار احتمـال وجـود لعنـةٍ في مـا تـم النطـق بـه.

الديـنُ ميـدانٌ رئيسـي آخـر يُمنـح فيـه السـلطان لأشـخاص ذوي مراكـز معينـة. وهكـذا يكـون لكلامهـم أثـرٌ للخـير أو للـشر يتناسـب وسـلطة مركزهـم. ومـن الأسـلحة الـتي اسـتخدمها باباوات كنيسـة الـروم الكاثوليـك لعـدة قـرونٍ في أوروبـا، سـلاح «الحرمـان البابـوي»، والحرمـان هـو «اللعنـة»، إذ كانـوا يعلنونـه على كل مـن يُعتـبر مهرطقًـا. ومـن المسـتحيل أن يكتـب أحدهـم تاريخًـا دقيقًـا لأوروبـا دون أن يأخـذ باعتبـاره تأثـيرات الحرمـان البابـوي. حـكام الأمـم أنفسـهم كانـوا يخافـون ذلـك أكـثر مـن خوفهـم مـن إعـلان حـرب فعليـة.

في القسـم البروتسـتانتي مـن الكنيسـة، لـم يحـظَ أحـد بسـلطانٍ معـادلٍ لسـلطان البابـا. ومـع ذلـك، حيثمـا وُجـد سـلطان كنسـي، وُجـد أيضًـا احتمـال إسـاءة اسـتخدامه. حـتى راعي كنيسـة «مسـتقلة» صغـيرة، فيهـا حفنـةٌ مـن الأعضـاء، يمكـن أن ينطـق بكلمـات تكـون بمثابـة لعنـة.

أذكـر رجـلًا كان ذا مؤهـلاتٍ تجاريـة ممتـازة، ولنسـمِّه «عامـر» - جـاءَني طلبًـا للمشـورة. كان قـد أمـضى ١٠ سـنوات مـن التخبـط في عملـه حـتى صـار عاجـزًا عـن سـدِّ احتياجـات زوجتـه وعائلتـه. سـألت عامـر عمَّـا إذا كان قـد حـدث في حياتـه شيء مـا في

الوقت الذي بدأت الأمور تسوء بالنسبةِ له. فعاد بذاكرته إلى فترة كان هو وعائلته ينتمون أيامها إلى كنيسة مستقلة صغيرة. وبعد خلافات متكررة مع الراعي، سحبوا عضويتهم من تلك الكنيسة.

وبما أن هذه العائلة كانت من المصادر الرئيسية لدخل الكنيسة، تصرف الراعي بدافع الخوف وعدم الأمان. وكان اللقاء الأخير بين الراعي وعامر لقاءً لاذعًا من الطرفين. وأخيرًا، اختتم الراعي الجدال قائلًا: «لقد وضعك الله في هذه الكنيسة. إذا غادرتها، ستكون خارج إرادته. لن ينجح شيء في حياتك أبدًا!»

ولم ينجح شيءٌ في حياة عامر بالفعل منذ ذلك الوقت. إلا أنَّ الخبر السار هو أن عامر، عندما فهم سبب إحباطه، تمكن من تحرير نفسه من تلك (اللعنة الرعوية)! لكن كان عليه أن يسامح ذلك الراعي أولًا ويُصلِح الأمور بينهما. وهكذا يغيّر مجرى حياته إلى الأفضل.

وحالة عامر هذه ليست استثناءً. لقد عرفت عددًا مذهلًا من الناس الذين مرّوا بالتجربة نفسها. وبطريقة مشابهةٍ إلى حدِّ التطابق، قد يعمد أحد الرعاة إلى اتخاذ المسار نفسه قائلًا: «الله وضعك في هذه الكنيسة. إن ذهبت، لن تفلح أبدًا!» (هذه الكلمات المألوفة!) لكن شكرًا لله الذي أوجد حلًا للطرفين معًا.

خلال خدمتي في استراليا عام ١٩٨٥، تقابلت مع سيدة كانت تحت تأثير لعنةٍ كنسية استمرت نحو ثلاثة قرون! كانت قد سمعتني وأنا أعلِّم حول موضوع البركات واللعنات، ولنسمِّها «ماري». في نهاية الرسالة التي قدمتها، وقفت ماري مع آخرين بعد أن أدركت بوضوح ما يشير إلى وجود لعنةٍ على عائلتها، وصلَّت مع الباقين للتحرير من تلك اللعنة. بعد فترة، أرسلت لي رسالةً تشرح فيها خلفية حالتها.

كان أسلافها من سكوتلندا، من قبيلةٍ تدعى «نيكسون». وفي أوائل القرن السابع عشر كانت هذه القبيلة قد خاضت حروبًا حدودية بين سكوتلندا وإنجلترا. وبسبب تلك الحروب، أعلن أسقف اسكوتلندا (الذي كانت إنجلترا قد

عيَّنته) اللعنة على عائلة «نيكسون» جميعًا. وقد أرسلت لي ماري نسخةً من نص اللعنة التي كانت تقضي - من بين أشياء أخرى - بأن يُشنَق أفراد تلك العائلة وأن يُسحبوا بالجياد وأن تقطَّع أجسادهم أرباعًا[٨] ! ثم تطعم أحشاؤهم للكلاب والخنازير. وبالفعل، بعد أن هُزمت تلك القبيلة في إحدى المعارك، تم تنفيذ ذلك الحكم بتفاصيله على الأسرى الأحياء منهم.

بعد سنتين، عُدت إلى استراليا وقابلت ماري لوقت قصير، وقد كتبت لي هذه الرسالة في وقت لاحق:

«أشكرك جدًا لأنك صليت من أجلنا أنا وعائلتي، ولأنك أعلنت لنا كلمة الله النبوية عندما كنت هنا في ملبورن. كنت قد سألتني إن كان ثمة تغيير في العائلة منذ أن تحررنا من اللعنة، ولم يكن هناك وقت كافٍ لكي أخبرك. لكن، نعم، جميع أفراد عائلتي: زوجي وابنتيّ البالغتين ٢٣ و٢٤ سنة، وولدي الذي عمره ٢١ سنة، جميعهم عرفوا الربَّ المخلِّص خلال السنتين الماضيتين. وجميعنا الآن أعضاء في إحدى كنائس الإنجيل الكامل هنا في ملبورن.»

يا لها من شهادة مذهلة حول قوة اللعنة! لقد لاحقت تلك اللعنة عائلة ماري عبر ثلاثة قرون، وتتبعتها عبر العالم؛ من بريطانيا إلى أستراليا. وما أن تم اكتشاف اللعنة وإبطالها، حتى زال الحاجز الخفي الذي كان يمنع بركة الله عن ماري وأهل بيتها الذين قبلوا جميعًا خلاص الرب بعد ذلك.

وهذا يقودنا بشكل طبيعي إلى سؤال: كم هو عدد العائلات المحجوبة عن الخلاص الحقيقي بسبب لعنةٍ خفية؟!

---

(٨) كانوا يشنقون أولًا ثم تُجرُّ جثثهم خلف الخيول أو غيرها من الحيوانات عبر الطريق العام، وأخيرًا كانت تُقطَّع أجسادهم إلى أربع قطع. (المؤلف)

الفصل الحادي عشر

لعنات على الذات

في أحد الأمثلة التي ذكرناها في الفصل السابق، قال عصام لزوجته: «طريقتك في إعداد الطعام تصيبني بالمرض!» وبهذه الكلمات، جلب على نفسه لعنة عسر الهضم دون أن يعلم، ورافقته هذه الحالة طوال عمره.

فلنتذكر هذا المثال وقد آن الأوان لدراسة موضوع اللعنات الموضوعة على الذات بطريقة مفصلة. هذا موضوع هامٌ جدًا بالنسبة لكل شخص يهتم بأن تتميز حياته الشخصية بالخير. نكشف هنا بوضوح عن القوة المخيفة الكامنة في الكلمات التي نقولها عن أنفسنا، والتي يرتد صداها إلى صاحبها دائمًا.

ويحذرنا يسوع تحذيرًا مهيبًا في متى ١٢:٣٦-٣٧ من خطر الكلام الذي نقوله بلا تفكير:

«وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ».

ويركز يسوع هنا على «الكلام البطّال»، وهو الكلام بلا مبالاة ولا تفكير. عندما يقول أحدهم شيئًا سلبيًا عن نفسه، فغالبًا ما يبرر ذلك بقوله: «لكنني لم أقصد ما قلت!» لكن يسوع يحذرنا من هذا الكلام بالذات «الذي لا نقصده»! فحقيقة أنَّ المتكلم «لم يعنِ ما قال» لا تقلل بشكلٍ من الأشكال أو تلغي تأثير كلماته، كما أنها لا تعفيه من تبعات ومسؤولية كلامه.

في أمثال ٢:٦، يحذر سليمان من يضمن الآخرين بكلامه:

«إِنْ عَلِقْتَ فِي كَلاَمِ فَمِكَ،
إِنْ أُخِذْتَ بِكَلاَمِ فِيكَ.»

وهذه طريقة واحدة من بين ما لا يُحصى من الطرق التي يعلق فيها الناس بكلام أفواههم. ما أسهل أن نعلق بهذا الفخ دون أن ندرك ذلك، أما التحرير فيتطلب تطبيقًا واعيًا لمبادئ الكتاب المقدس، علينا أن نتذكر أن الله يأخذ كلامنا بكل جدية، حتى وإن لم نعتبره نحن كذلك.

في مرقس ١٤:٦٦-٧٢، يحدثنا الكتاب عن بطرس الذي أنكر ثلاث مرات أنه تلميذ للمسيح في ساحة مجلس رئيس الكهنة. وتأكيدًا على إنكاره الثالث، «**ابْتَدَأَ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ.**» أي أنه كان يضع لعنةً على نفسه.

وسرعان ما شعر بطرس بندمٍ شديد، لكنني أشك في أنه فهم الأبعاد الكاملة لكلماته. بعد ثلاثة أيام، وعند القبر الفارغ، قال الملاك للنساء:

«**اذْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتَلاَمِيذِهِ وَلِبُطْرُسَ: إِنَّهُ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ.**» (مرقس ١٦:٧)

نعم، لم يعد بطرس يعتبر واحدًا من التلاميذ! فبسبب كلامه، خسر موقعه كتلميذ ليسوع.

ثم في يوحنا ٢١:١٥-١٧، نقرأ كيف أن يسوع فتح الطريق بنعمته أمام بطرس لكي يستعيد مكانته كتلميذٍ له. فسأله عند بحر الجليل ثلاث مرات: «**أَتُحِبُّنِي؟**» وكان بطرس يؤكد ذلك في كل مرة، لكنه حزن لأن يسوع سأله ثلاث مرات. لم يدرك أن يسوع كان يقوده بهذه الطريقة لكي يُبطل إنكاره الثلاثي السابق. فمقابل كل إعلان خاطئ أعلنه، هاهو الآن ينطق باعتراف حسن. وعلى هذا الأساس، استعاد مكانه كتلميذ.

ويسوع، في الأسلوب الذي استخدمه مع بطرس، إنما يؤسس مثالًا لكل من يحتاج أن يتحرر من فخ اعترافاته السلبية. وهناك ثلاث خطوات متتالية: التوبة، الإبطال، الاستبدال. **أولًا**، علينا أن نقرَّ بأننا أعلنَّا اعترافًا خاطئًا وأن نتوب عن ذلك. **ثانيًا**، علينا أن نُبطلَ، أن نلغي، أن نتراجع عن كل كلام خاطئ قلناه. **ثالثًا**، علينا أن نستعيض عن الاعتراف الخاطئ باعتراف حسن. فإن مارسنا هذه الخطوات الثلاث بالإيمان، نتحرر من الفخ.

نجد مثالًا آخر على اللعنات التي يمكن للإنسان أن يجلبها على ذاته في تكوين ٢٧:١٢-١٣. كانت رفقة تدفع بولدها يعقوب لكي يخدع أباه إسحق لكي يحصل على البركة (التي كان إسحق قد قرر أن يمنحها لابنه الآخر عيسو). وكان يعقوب متحمسًا لنوال البركة، لكنَّهُ كان خائفًا مما سيحدث لو أن أباه كشف خداعه. فقال لأمه:

«رُبَّمَا يَجُسُّنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمُتَهَاوِنٍ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لاَ بَرَكَةً». فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: "لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَا ابْنِي."

وقد نجحت خطة رفقة في منح البركة ليعقوب، لكن كلماتها عرَّضتْها إلى لعنة منعتها من التمتع بثمر نجاحها. فسرعان ما انقلب مزاجها، وساد عليها التشاؤم. ونجدها بعد ذلك تقول لإسحق:

«وَقَالَتْ رِفْقَةُ لإِسْحَاقَ: «مَلِلْتُ حَيَاتِي مِنْ أَجْلِ بَنَاتِ حِثَّ. إِنْ كَانَ يَعْقُوبُ يَأْخُذُ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ حِثَّ ... فَلِمَاذَا لِي حَيَاةٌ؟» (تكوين ٢٧:٤٦)

وكان على يعقوب أن يهرب حالًا من انتقام أخيه عيسو، وغاب نحو ٢٠ سنة. ثم لا يذكر لنا الكتاب المقدس شيئًا عن بقية حياة رفقة، أو عن وقت وكيفية موتها. ألا أنه يبدو - على أي حال - أنها لم تشبع برؤية ابنها يتمتع بالبركة التي حصل عليها بواسطة خداعها.

وكثيرًا ما سمعت عبر السنوات أناسًا ينطقون ضد أنفسهم بكلمات تشبه كلمات رفقة: «تعبت من الحياة ... لا شئ ينجح ... ما الفائدة؟ ... أنا استسلم! ... قد أكون ميتًا حينئذٍ!» وقد تعلمت من خبرتي أنَّ مثل هذه التعابير تشير بشكل شبه مستمر إلى أنَّ هناك لعنة مفروضةً على الذات تعمل في حياة الناطق بها.

من الأمثلة الأكثر تأثيرًا وشمولًا عن اللعنات على الذات ما نجده في متى ٢٧:٢٥-٢٦. وافق الحاكم الروماني بيلاطس - بالرغم من رأيه الشخصي- على إطلاق المجرم باراباس للشعب وأن يحكم بالموت على يسوع. ولكي ينفلت من تبعات موقفه، غسل يديه أمام الجميع وقال: «**إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ!**» فأجاب الشعب: «**دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا**».

وتنطوي هذه الكلمات على شكلين من أشكال اللعنة: لعنة على الذات، ولعنة تنتقل إلى الأجيال التالية. وهاهي سجلات التاريخ الموضوعية تؤكد تأثير اللعنتين. فخلال ذلك الجيل، قامت جيوش الإمبراطورية الرومانية بتدمير القدس، وقتلوا من اليهود من قتلوا واستعبدوا الباقين منهم.

ومنذ ذلك اليوم، مضت تسعة عشر قرنًا، ومصير اليهود نسيج من الدماء والمآسي بسبب ما جلبوه على أنفسهم من لعنة. وعصرًا بعد عصر، مذبحةً بعد مذبحة، أطلق حكام الأمم ضد اليهود رجالًا عنفاء منحرفين على غرار باراباس الذي اختاروه.

لكن شكرًا لله، على أن اللعنة ليست هي النهاية! لقد أعدَّ الله طريقًا للمصالحة. فبحكمته التي لا تُفحص ونعمته الشاملة المذهلة، جعل من موت ذاك الذي صُلب كمجرم طريقًا للخلاص من نتائج اللعنة. (المزيد من هذا الحل في الفصل السادس عشر)

عندما دعا الله إبراهيم وباركه، أعلن أيضًا لعنة على كل من يلعنُهُ. ولاحقًا، أعيدَ التأكيد على هذه اللعنة عندما بارك إسحق ويعقوب، وكذلك عندما نطق بلعام بالبركة النبويّة على إسرائيل كأمَّةٍ. وبهذه الطريقة قدَّم الله حمايةً ليعقوب ونسلِهِ من كل من

سعى لوضع لعنةٍ عليهم. وعلى كل حال، كشف التاريخ لاحقًا أنه كان هناك نوعٌ من اللعنة لم يستطع حتى الله حمايتهم منها: اللعنة التي ينطقون هم بها على أنفسهم.

وينطبق الأمر نفسه على المسيحيين من أصل أممي الذين صاروا ورثةً لبركة إبراهيم من خلال العهد الجديد الذي بادر به يسوع. فيشمل العهد الحق بإعلان حماية الله ضد اللعنات الآتية من مصادر خارجية. لكن نوعًا واحدًا من أنواع اللعنات لا يستطيع الله نفسه أن يوفر له الحماية: إنه اللعنة الموجهة إلى الذات!

بهذه الطريقة، كثيرًا ما يجلب المؤمنون المسيحيون على أنفسهم أشكالًا متنوعة من المشاكل لا يدركون مصدرها. فبالنطق بكلام سلبي ضد أنفسهم، يحجبون البركة عنهم ويعرضون أنفسهم للَّعنات.

وفي هذا الصدد أيضًا، يقدم لنا تاريخ إسرائيل مثالًا معبِّرًا. يسجل لنا الأصحاحان ١٣، ١٤ من سفر العدد كيف أرسل موسى اثني عشر قائدًا من الأسباط لكي يتجسسوا أرض كنعان التي وعدهم الله بها. فعاد اثنان منهم بتقرير إيجابي، وهما يشوع وكالب اللذان قالا: «**إِنَّنَا نَصْعَدُ وَنَمْتَلِكُهَا لأَنَّنَا قَادِرُونَ عَلَيْهَا**» أما الباقون فقدموا تقريرًا سلبيًا إذ ركزوا أبصارهم على شعبها العملاق ومدنها المحصنة. وكان رأيهم: «**لاَ نَقْدِرْ أَنْ نَصْعَدَ إِلَى الشَّعْبِ، لأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنَّا**»

وفي الوقت المناسب، أعلن الله حكمه، فقال لأولئك الذين صادقوا على التقرير السلبي: «**لأفعلن بكم كما تكلمتم في أُذني. في هذا القفر تسقط جثثكم ... الذين تذمروا علي.**» أما يشوع وكالب، فقد وعدهما الرب بأن يمتلكا الأرض التي قدَّما عنها تقريرًا إيجابيًا.

فأولئك الجواسيس، من آمن منهم ومن لم يؤمن، حددوا مصيرهم من خلال كلامهم عن أنفسهم. فالذين قالوا: «**لأَنَّنَا قَادِرُونَ**» دخلوا الأرض، والذين قالوا: «**لاَ نَقْدِرْ...**» لم يدخلوا. لقد احترم الله كلامهم! وهو لم يتغير! واليوم، مازال الله يقول لشعبه المؤمن، كما كان يقول لشعبه القديم: «**لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني.**»

كنا في الفصل الخامس من هذا الكتاب قد ذكرنا سبعة مؤشرات تدل على وجود اللعنة. وكثيرًا ما يتعرض الناس لتلك الحالات بسبب الكلام الذي ينطق به الناس ضد أنفسهم. فيضع الناس لعناتٍ على أنفسهم دون أن يدركوا. وللخلاص من ذلك على كل واحدٍ أن يتنبه لطبيعة الكلام السلبي الذي يستخدمه، وأن يكوِّن أسلوبًا إيجابيًا بديلًا لكلامه القديم.

في القائمة أدناه، نعيد سرد الحالات التي قد تكون مؤشرات لوجود لعنةٍ ما، ونضع تحت كل واحدة بعض العبارات المألوفة بين الناس والتي يمكن أن تكون سببًا للتعرض لمثل تلك الحالة. هذه الأمثلة القليلة تكفي لتوضيح نوعية العبارات الخطرة التي تحتاج بالضرورة إلى أن تتغير. بالنسبة لي ولزوجتي روث، فقد تدربنا على ممارسة الاحتراس وضبط النفس فيما يتعلق بالكلام الذي نتلفظ به عن أنفسنا.

١) الانهيار العقلي أو العاطفي:

«هذا سيقودني إلى الجنون.»

«لن أتحمل أكثر من ذلك.»

«كلما فكرت بذلك، يتشوش فكري.»

٢) الأمراض المتكررة أو المزمنة (خاصة الوراثية منها):

«حينما تكون هناك جرثومة، لا بدَّ أن ألتقطها.»

«هذا أمر يثير المرض والغثيان.»

«هذا يسري في العائلة، وأعتقد أن دوري قريب.»

٣) العقم، الإسقاط المتكرر للجنين، ومشاكل نسائية أُخرى مشابهة:

«لا أعتقد أنني أستطيع أن أنجب.»

«هذه الدورة الشهرية الملعونة.»

«سأسقط هذا الطفل أيضًا ... أنا أعلم ذلك.»

٤) انهيار العلاقات الزوجية والتفكك الأسري:

«قال لي الفتّاح إن زوجي سيتركني.»

«أنا متأكدة أن زوجي سيجد امرأة أُخرى.»

«اعتدنا في عائلتنا أن نتصارع كالقطط والكلاب.»

٥) عدم الاكتفاء المادي بشكل متواصل:

«لا أستطيع أن أحقق أهدافي أبدًا ... أبي كان كذلك أيضًا.»

«لن أتمكن من دفع عشوري.»

«أكره أولئك القطط السمينة الذين يأخذون كل شي .... هذا لا ينجح معي أبدًا.»

٦) التعرَّض المتكرر لحوادث معيّنة:

«هذا يحدث معي دائمًا.»

«كنت أعلم أن مشكلة ما ستقع.»

«أنا متهور والمشاكل حولي باستمرار.»

٧) تاريخ من حوادث الانتحار أو الموت المبكّر أو غير الطبيعي:

«ما فائدة حياتي؟»

«على جثتي!»

«أفضل الموت على الاستمرار هكذا.»

الناس الذين يستخدمون مثل هذه العبارات، يعملون دون وعي على دعوة أرواح شريرة للاستيلاء على حياتهم. ونوع الروح الشرير يعتمد على طبيعة الكلام نفسه. فهناك أنواع ورتب من الأرواح الشريرة تتناسب مع كلٍّ من الحالات المذكورة أعلاه.

ومن الأرواح الشريرة المألوفة بشكل خاص روح الموت. وهو يرتبط بذلك الكلام التابع لفئة «تاريخ من حوادث الانتحار أو الموت المبكر أو غير الطبيعي.» ويعطي هذا الروح إحساسًا بأن الحياة بلا معنى وبلا رجاء، كما يبعث ميلًا

مَرَضيًا للتركيز على أفكار تتعلق بالموت. وغالبًا ما يظهر ذلك في سلسلة لا تنتهي من الضعفات الجسدية التي لا يُعرف سبب طبي واضح لكثيرٍ منها.

وأخيرًا، إما أن يدفع هذا الروح شخصًا إلى الانتحار أو يسبب موتًا مبكرًا بطريقة ما. يحذرنا يسوع في يوحنا ٨:٤٤ من أن الشيطان «**كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ.**» وروح الموت هو أحد تابعيه الذين يستخدمهم لقتل الناس، فهو يدفع الناس إلى الموت قبل الوقت. عندما شاركت هذه الأفكار مع طبيب صديقي، أكدَّ لي أنه كثيرًا ما رأى أشخاصًا يموتون دونما سبب طبي كاف لتفسير موتهم.

ربما لاحظت أنك بطريقة أو بأخرى قد قلت كلامًا يشبه ما أوردناه في الأمثلة السابقة. إن كان كذلك، فلا تتفشل! هناك طريقٌ للتحرير! في بداية هذا الفصل، قلنا إن اختبار الرسول بطرس يوفر لنا مثالًا عن الخطوات الثلاث الضرورية للتخلص من اللعنات الموضوعة على الذات: التوبة، الإبطال، الاستبدال.

أولًا، علينا أن ندرك أننا قدَّمنا اعترافًا سلبيًا عن أنفسنا وعلينا أن نتوب عن ذلك. **ثانيًا**، علينا أن نُبطل تأثير ذلك الكلام، أي أن نلغيه، وكأننا لم نقله أصلًا. **ثالثًا**، علينا أن نستعيض عن اعترافنا الخاطئ باعتراف حسن. المزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع في الفصل العشرين.

هناك طريقة أخرى يجلب بها الناس اللعنة على أنفسهم وهي من خلال أي عهدٍ أو قَسَمٍ يتطلبه انضمامهم إلى نادٍ مغلق أو جمعية سرية. أذكر موقفًا حيث كنا أنا وزوجتي الأولى ليديا نحاول مساعدة شابة مؤمنة لكي تتحرر من قيودٍ شيطانية. ورغم كل الصلوات والمحاولات، لم تتحرر الفتاة. ثم وجدت ليديا نفسها منقادة لكي تطلب من فتاة أن تخلع من يدها خاتمًا كانت تلبسه. وما أن فعلت ذلك، حتى تحررت دونما المزيد من الجهد!

لقد تصرفت ليديا بقيادة روح الله، دون أن تعلم شيئًا عن ذلك الخاتم الذي كان يتعلق بنادٍ خاص في الجامعة. فلكي تنضم إلى ذلك النادي، كان على الفتاة أن

تدخل في عهود معينة لا تتناسب وإيمانها المسيحي. وعندما تخلصت من ذلك الخاتم، ألغت تلك العهود واستعادت حريتها كابنةٍ للرب.

في حادثةٍ أُخرى، كنا أنا وليديا ضمن مجموعة تصلي مع امرأة شابة اعترفت أنها كانت كاهنةً للشيطان. وكان في يدها خاتمٌ يرمز لـ«زواجها» بالشيطان. فلما طلبنا منها خلع الخاتم، فعلت ذلك - لكنها بعد ذلك، ابتلعت الخاتم تحت سيطرة الشيطان. أحد الشباب الحاضرين أخذ مسحة إيمان خاصة، وأمر المرأة أن تتقيأ الخاتم، ففعلت فورًا! ثم رمينا الخاتم في بحيرة قريبة. أمّا المرحلة الأخيرة في تحرير تلك المرأة، فكانت عندما أحرقت أمام الجميع كلَّ الملابس التي كانت ترتديها أثناء عبادتها للشيطان.

مثل هذه المواقف، جعلت توجيهات يهوذا ٢٣ حقيقية جدًا بالنسبة لي:

«وَخَلِّصُوا الْبَعْضَ بِالْخَوْفِ، مُخْتَطِفِينَ مِنَ النَّارِ، مُبْغِضِينَ حَتَّى الثَّوْبَ الْمُدَنَّسَ مِنَ الْجَسَدِ.»

في المثالين السابقين، ارتبط القيد الشيطاني بخاتم. ودلالة ذلك أن الخاتم يرمز غالبًا إلى علاقة العهد. في الكثير من الثقافات، من المتعارف عليه أن يلبس كلٌّ من الرجل وزوجته خاتمًا يرمزان إلى عهد الزواج. ووفق معايير الكتاب المقدس، العهد هو أقوى وأقدس شكل من أشكال العلاقات التي يمكن للإنسان أن يدخلها، سواء كان ذلك العهد بين الله والإنسان أو بين إنسان وإنسان. والشيطان يدرك ذلك جيدًا، لذلك تجده يستغل علاقات عهد يصنعها بنفسه لكي يحقق أكبر سيطرة ممكنة على الناس.

لهذا السبب، حذَّر الله شعبه في خروج ٣٤:١٢ من عبادات الكنعانيين الوثنية فقال:

«لاَ تَقْطَعْ مَعَهُمْ وَلاَ مَعَ آلِهَتِهِمْ عَهْدًا.»

فلو دخلوا في عهدٍ مع الكنعانيين الذين يعبدون آلهةً زائفة، فسيربطهم العهد، لا بالكنعانيين فقط، لكن بآلهتهم أيضًا. وهكذا يُقيَّدون في رباطٍ مع تلك الآلهة.

ومـن الجمعيات المعاصرة التي ينطبق عليها هذا التحذير بشـكل خاص «الماسـونية». يزعم الماسونيون أن طبيعة جمعيتهم سرية، لكن هذا ليس صحيحًا. فكل أفكار الماسونية وطقوسها تم نشرها على أوقاتٍ مختلفة، وذلك عن طريق أشخاصٍ كانوا ماسونيين (بعضهم وصـل إلى أعلى الرتـب)، أو آخريـن درسـوا بتمعـن كل الوثائـق المتوفرة للباحـث المؤهل.

ولأغـراض دراسـتنا الحاليـة، يكـفي أن نشـير إلى حقيقتـين حـول الماسـونية. **أولًا**، على الشـخص الذي ينـوي الانضمـام أن يربـط نفسـه بعهـود همجيـة قاسـية جـدًا، حالفًـا ألا يكشـف أي سرٍّ مـن أسـرار الماسـونية. ومـن المسـتحيل أن تجـد في أي مـكان مثـالًا أكـثر رعبًـا عـن اللعنـات الموضوعـة على الذات في هـذه العهـود.

ثانيًـا، الماسـونية ديانـة زائفـة. بعـض الماسـونيين ينكـرون ذلـك، لكـن إليـك بعـض الأمـور الـتي تـدل على أنهـا ديانـة: للماسـونية إعلانهـا الخـاص، ولهـا هيـاكل ومذابـح ورمـوز دينيـة خاصـة، كمـا تسـتخدم شـعارات روحانيـة خاصـة (منهـا الخاتـم)، ولهـا اعـتراف إيمـان خـاص وكهنـة وطقـوس. وأخـيرًا، لهـا إلٰه خـاص، إلٰه زائـف يسـمونه «المبـدأ المبـدع» أو «مهنـدس الكـون الأعظـم.»

الماسـونية ديانـة زائفـة، لأنـها تعـترف بإلـه زائـف. وتسـتخدم الماسـونية الكثير مـن الأدوات والرمـوز المرتبطـة بالمسيحية ومـن ضمنهـا الكتـاب المقـدس، إلا أنَّ ذلـك مـن قبيـل الخـداع المتعمـد. فالإلـه الذي تعـترف بـه الماسـونية ليـس هـو إلٰه الكتـاب المقـدس. كمـا تجـد في الكتابـات الماسـونية أنهـم يسـتخدمون الاسـم الكتـابي العظيـم لله: «يهـوه - JHVA»، وذلـك باعتبـاره يشـير إلى كيـان إلـهي يشـمل مبـادئ الذكـورة والأنوثـة! ثـم هنـاك «القنطـرة الملكيـة» الـتي يتضمـن شـعارها اسـم «يهـوه» مختصرًا بالإضافـة إلى اخـتزال لشـكلي إلهـين وثنيـين همـا البعـل وأوزيريـس. ويشـيرون إلى هـذا التجمـع الثـلاثي باعتبـاره الله! وليـس هـذا بأقـل مـن إهانـة مقصـودة لله الحقيـقي الواحد الذي أعلـن نفسـه في الكتـاب المقـدس باعتبـاره «يهـوه»[٩].

(٩) لدراسـة وافية حـول الماسـونية راجع كتاب «Freemasonry: An Interpretation» لمؤلفه مارتن واغنر (Martin L. Wagner). المؤلف (HRT Ministries, Box 12, Newtonville, N. Y. 12128-0012).

ولـم أكـن أعـير الماسـونية أي اهتمـام حـتى بـدأت أكتشـف الآثـار المؤذيـة الـتي تنتجهـا في حيـاة النـاس الذيـن كانـوا يأتـون للصـلاة. بعـض أكـثر اللعنـات الـتي واجهتهـا في حيـاة النـاس خطـورة كانـت ترتبـط بالماسـونية. وكانـت تظهـر آثـار اللعنـة في الجيـل الثـاني أو الثالـث عنـد أولئـك الذيـن ترتبـط عائلاتهـم بخلفيـات ماسـونية.

وقـد تركـت إحـدى الحـالات انطبـاعًا خاصًـا عنـدي. فـفي ختـام أحـد اجتمـاعات صبـاح الأحـد العباديـة في أسـتراليا، كنـا أنـا وروث نصـلي لبعـض النـاس الذيـن كانـوا يحتاجـون إلى شـفاء. ثـم تقدمـت امـرأة شـابة تحمـل طفلـةً نحيلـة على ذراعيهـا. وكان شـعر المـرأة الأشـعث وصوتهـا الخافـت يـدلان على أنهـا مـن خلفيـة بسـيطة جـدًا.

قالـت لنـا المـرأة متمتمـةً وهي تحـوِّل عينيهـا بعيـدًا عنـا: «طفلـتي لا تقبـل أي طعـام ... إنهـا لا تأخـذ سـوى رشـفات قليلـة كل مـرة!» فسـألناها: «كـم عمرهـا؟» قالـت الأم: «سـتة أسـابيع.» إلا أن عمـر الطفلـة كان يبـدو سـتة أيـام لا أسـابيع!

وضعنـا أنـا وروث أيدينـا على الأم لنصـلي مـن أجلهـا، فسـقطت على الأرض تحـت تأثـير قـوة الـروح القـدس، بينمـا تناولـت روث الطفلـة منهـا وحملتهـا على ذراعيهـا. وهنـا بـدأ خادمـان مـن خـدام الكنيسـة يصليـان مـع الأم المنطرحـة على الأرض.

بعـد ذلـك، أخـذت روث كلمـة علـم مـن الـروح القـدس وقالـت للخادمـين: «أبوها ماسـوني ... قـولا لهـا أن ترفـض ذلك الـروح.»

صارعـت المـرأة على الأرض وهي تحـاول النطـق بالكلمـات: «أنـا ... أرفـض ... روح ... الماسـونية!» وحالمـا نطقـت بهـذه الكلمـات، خـرج الـروح الشريـر منهـا بصرخـةٍ مُطوَّلـة. وفي اللحظـة نفسـها، خرجـت صرخـة مماثلـة تمامًـا مـن فـم الطفلة الـتي تحملهـا روث، ثم سـكنت الطفلـة وقـد بـدا عليهـا الإنهـاك الشـديد. أقـام الخادمـان المـرأة على قدميهـا، وأعادت روث الطفلـة إلى أمهـا.

بعـد حـوالي سـت سـاعات، عدنـا إلى الكنيسـة حيـث سـيقام الاجتمـاع المسـائي.

وفي ختام الاجتماع، تقدمت المرأة الشابة مع طفلتها مرة أُخرى. فسألناها عن حال الطفلة حيث أجابت: «لقد اختلفت تمامًا ... لقد شربت ثلاث وجبات من الحليب منذ الصباح!» وقد شعرتُ حينها أن الأم نفسها اختبرت تغييرًا جذريًا أشرق في عينيها وبدا في صوتها الذي صار أكثر وضوحًا.

في لقاء بسيط واحد، رأينا دليلًا على وجود اللعنة التي تسببها الماسونية وقد انتقلت على الأقل عبر جيلين: من الأب الذي كان ماسونيًا إلى ابنته، ثم إلى حفيدته الطفلة ذات الأسابيع الستة. ومنذ ذلك الوقت، صمَّمتُ أن أحذِّر الناس بشكل مستمر من الضرر الذي تجلبه الماسونية عليهم وعلى أفراد عائلاتهم، حتى أولئك الأفراد الذين ليست لهم صلة مباشرة بالماسونية!

ولكل من ربط نفسه بقسمٍ أو عهدٍ بأية جمعية شريرة كالتي ذكرناها، يقدم سليمان مشورةً عاجلةً هامة:

«لاَ تُعْطِ عَيْنَيْكَ نَوْمًا،
وَلاَ أَجْفَانَكَ نُعَاسًا.
نَجِّ نَفْسَكَ كَالظَّبْيِ مِنَ الْيَدِ،
كَالْعُصْفُورِ مِنْ يَدِ الصَّيَّادِ.» (أمثال ٦:٤-٥)

ويتطلب التحرير شرطين أساسيين على الأقل: أولًا، عليك أن ترفض بكلام مسموع ارتباطك بتلك الجمعية. ما قلته بشفتيك، عليك أن ترفضه بشفتيك. ويفضل أن تعمل ذلك أمام شهودٍ يشعرونَ معك ويستطيعون دعمك بإيمانهم.

ثانيًا، عليك أن تدمر وأن تتخلص من أية مواد لها علاقة بذلك الارتباط أو ترمز إليه. في أمثلة سابقة، كان للخاتم دلالات خاصة. وفي الماسونية، هناك عدة أشياء أخرى من أهمها الأردية والأثواب. تذكر كلمات يهوذا ٢٣: **«مُبْغِضِينَ حَتَّى الثَّوْبَ الْمُدَنَّسَ مِنَ الْجَسَدِ.»**

الفصل الثاني عشر

خُدَّام الشيطان

في هذا الفصل، سنكشف مصدرًا مختلفًا تمامًا للعنات: خدَّام الشيطان.

موقف المؤمنين تجاه الشيطان يتنوع بين نقيضين: بعضهم يتجاهل الشيطان تمامًا، ويتصرف وكأن الشيطان ليس له وجود حقيقي. وبعضهم يخافون الشيطان ويعيرونه اهتمامًا لا يستحقه. أمَّا موقف الكتاب المقدس فهو يتوسط بين هذين النقيضين.

الشيطان كائن مخلوق، ملاك متمرد، طُرِد من السماء. وهو يحكم مملكةً روحانيةً من الملائكة الشريرة المتمردة وأرواح شريرة أقل رتبة.

اسم "الشيطان" في اللغة الأصلية يعني "الخصم" أو "المقاوم". وهو العدو اللدود الحقود لله نفسه. وهدفه أن يسيطر على الجنس البشري كله. أما أسلوبه الأساسي، فهو الخداع الذي يحترف ممارسته. يصفه الكتاب المقدس في رؤيا ٩:١٢ على أنه ...

«التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ».

ويمارس الشيطان الآن سيطرته على أغلبية البشر - جميع الذين هم متمردون على الله. إذ يصفه الكتاب المقدس في أفسس ٢:٢ باعتباره **«الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ»** ومعظم أولئك الناس لا يرون صورةً حقيقيةً عن حالتهم، بل هم ينساقون يُمنةً ويُسرة تحت تأثير قوَّاتٍ لا يفهمونها ولا يستطيعون السيطرة عليها.

لكن هناك أيضًا أولئك الذين فتحوا أنفسهم للشيطان عن قصد، حتى وإن

لـم يكونـوا مدركـين لهويتـه الحقيقيـة. ففـي سـعيهم نحـو النفـوذ والكسـب المـادي، صـاروا يداومـون باسـتمرار على اسـتخدام وتنميـة ممارسـات تعتمـد على قـوى فـوق طبيعية جعلهـا الشـيطان في متنـاول يدهـم. أولئـك هـم خـدَّام الشـيطان الذيـن عُرفـوا في كل الثقافـات تقريبًـا ولقِّبـوا بألقـاب متنوعـة: طبيـب سـاحر، كـاهن أو كاهنـة الشـيطان، سـاحر أو سـاحرة، عـرَّاف أو عرَّافـة، فتَّـاح أو فتَّاحـة، شـامان، توهانجـا، وغيرهـا. فـفي معظـم الثقافـات القبليـة في العالـم، هنـاك اسـم خـاص لمثـل ذلـك الشـخص.

يسـوع نفسـه هـو مصـدر معلوماتنـا الأول فيمـا يتعلـق بالشـيطان. فعندمـا أرسـل التلاميـذ السـبعين ليمهـدوا الطريـق أمـام خدمتـه، عادوا إليـه بفـرح قائلـين:

«يَارَبُّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ!».

فقال لهم يسوع:

«هَـا أَنَـا أُعْطِيكُـمْ سُـلْطَانًا لِتَدُوسُـوا الْحَيَّـاتِ وَالْعَقَـارِبَ وَكُلَّ قُـوَّةِ الْعَـدُوِّ، وَلاَ يَضُرُّكُـمْ شَيْءٌ.» (لوقـا ١٠:١٧-١٩)

لـم ينكـر يسـوع أن قـوة الشـيطان حقيقيـة، ولـم يقـل أنـه ضعيـف، لكنـه وعـد تلاميـذه بـأن السـلطان الذي منحـه لهـم سـيجعلهم ينتـصرون على قـوة الشـيطان، ويحميهـم مـن محاولاتـه لإيذائهـم. مـن الهـام جـدًا أن يـدرك جميـع خـدّام الرب السـلطان المُعطـى لهـم، وأن يتعلمـوا كيـف يسـتخدمونه بفعاليـة.

اللعنـات مـن الأسـلحة الأساسـية الـتي يسـتخدمها خـدام الشـيطان ضـد شـعب الله. وهـذا موضَّـح في قصـة بـالاق وبلعـام في سـفر العـدد ٢٢-٢٤.

كان بـالاق ملـكًا على مـؤاب شرق نهـر الأردن. وأثنـاء رحلتهـم مـن مـصر إلى كنعـان، خيَّـم الإسرائيليـون علـى حـدود مـؤاب. شـعر بـالاق بالخطـر يهـدد مملكتـه، لكنـه لـم يكـن يملـك القـوة أو الشـجاعة الكافيتين لشـنِّ هجـوم مبـاشر على أعدائه. وهكـذا أراد بـالاق أن يسـخِّر بلعـام لـكي يلعـن شـعب إسرائيـل، متأمـلًا بذلـك أن يضعـف الشـعب

إلى الدرجة التي يستطيع بها أن يهزمهم. وكان بلعام "عرَّافًا" مشهورًا في تلك المنطقة كلها، وكان يطلب أجرةً كبيرةً مقابل خدماته.

كثيرون من المسيحيين اليوم لا يقتنعون بهذه الأمور ويعتبرونها من قبيل الخرافات غير المنطقية، والتي ليس فيها قوة حقيقية. لكن موقف الله كان مخالفًا لهذا تمامًا، فقد رأى الله في اللعنات التي يمكن لبلعام أن ينطق بها - خطرًا حقيقيًا على إسرائيل. والنتيجة أن الله تدخل بطريقة فوق طبيعية محذرًا بلعام من قبول هذه المهمة. لكن بلعام كان يسعى إلى الثروة التي وعده بها بالاق، فذهب مع رسل بالاق بنيّة تنفيذ مطلب ملك مؤاب. والذي حدث هو أن الله كان يتدخل في كل مرة يحاول فيها بلعام أن يلعن شعبه، فيحول اللعنة إلى بركة!

فيما بعد، يذكِّر موسى الشعب في تثنية ٥:٢٣ بهذه الحادثة باعتبارها دليلًا على محبة الله لهم:

«وَلكِنْ لَمْ يَشَإِ الرَّبُّ إِلهُكَ أَنْ يَسْمَعَ لِبَلْعَامَ، فَحَوَّلَ لأَجْلِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ اللَّعْنَةَ إِلَى بَرَكَةٍ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ أَحَبَّكَ.»

وهناك حقيقة أساسية ينبغي التأكيد عليها: لم ينظر الله إلى لعنات بلعام التي كان مزمعًا على النطق بها ضد إسرائيل - باعتبارها مجرَّد كلمات فارغة لا قوة فيها. بل اعتبرها تهديدًا خطيرًا ضد شعبه. وعلى هذا الأساس، تدخل شخصيًا لإحباط نوايا بلعام.

والزمن لا يغيِّر موقف الله، فهو لا يتجاهل أو يقلل من شأن اللعنات التي يوجِّهُها خُدّام الشيطان ضد شعبه. على العكس من ذلك، وكما قال يسوع، فإن الله يعرف قوة الشيطان، لكنه يجهز خُدّامه بقوة أعظم.

ويقدم الكتاب المقدس صورًا متعددة للأنشطة التي يمكن أن يقوم بها خُدَّام الشيطان، وذلك تحذيرًا لخُدَّام الله من تلك الأنشطة الشيطانية الموجهة ضدهم في

أغلب الأحيان. ففي حزقيال ١٣:١٧-٢٠ على سبيل المثال، يدين الله ساحراتٍ ونبيات كاذبات معينات فيقول:

«وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَاجْعَلْ وَجْهَكَ ضِدَّ بَنَاتِ شَعْبِكَ اللَّوَاتِي يَتَنَبَّأْنَ مِنْ تِلْقَاءِ ذَوَاتِهِنَّ، وَتَنَبَّأْ عَلَيْهِنَّ، وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَيْلٌ لِلَّوَاتِي يَخُطْنَ وَسَائِدَ لِكُلِّ أَوْصَالِ الأَيْدِي، وَيَصْنَعْنَ مِخَدَّاتٍ لِرَأْسِ كُلِّ قَامَةٍ لاصْطِيَادِ النُّفُوسِ. أَفَتَصْطَدْنَ نُفُوسَ شَعْبِي وَتَسْتَحْيِينَ أَنْفُسَكُنَّ، وَتُنَجِّسْنَنِي عِنْدَ شَعْبِي لأَجْلِ حَفْنَةِ شَعِيرٍ، وَلأَجْلِ فُتَاتٍ مِنَ الْخُبْزِ، لإِمَاتَةِ نُفُوسٍ لاَ يَنْبَغِي أَنْ تَمُوتَ، وَاسْتِحْيَاءِ نُفُوسٍ لاَ يَنْبَغِي أَنْ تَحْيَا، بِكَذِبِكُنَّ عَلَى شَعْبِي السَّامِعِينَ لِلْكَذِبِ؟

«لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا ضِدُّ وَسَائِدِكُنَّ الَّتِي تَصْطَدْنَ بِهَا النُّفُوسَ كَالْفِرَاخِ، وَأُمَزِّقُهَا عَنْ أَذْرُعِكُنَّ، وَأُطْلِقُ النُّفُوسَ، النُّفُوسَ الَّتِي تَصْطَدْنَهَا كَالْفِرَاخِ.»

بعض التفاصيل ليست واضحة، لكن يبدو أنهن كنَّ يقمن بدور الطبيب الساحر. فإذا تشاجر اثنان، يذهب أحدهما ويستأجر واحدة منهن لكي تستخدم فنونها السحرية ضد الشخص الآخر. ومن أساليبهن "اصطياد النفوس" بل وقتل الأبرياء. وكل ذلك مقابل حفنة شعير أو فتات خبز!

نحن لا نتحدث هنا عن اتهامات مستقاة من ماض العصور الوسطى، بل هو إعلان ضد أولئك النسوة أصدره الله نفسه. ثم أنَّ خدام الشيطان قد دأبوا على استخدام أساليب مشابهة لتحقيق أغراضٍ مشابهة عبر العصور، ومازالوا حتى يومنا هذا.

في أواخر العام ١٩٧٩ وأوائل ١٩٨٠، اكتشف المنقبون عن الآثار في مدينة باث/ غرب إنجلترا - بقايا معبد الإلهة منيرفا الذي يعود إلى أيام الحكم الروماني. وظهر أن كهنة ذلك المعبد كانوا يمارسون شيئًا مماثلًا لما كانت تمارسه الساحرات أيام حزقيال. كان الناس الذين يريدون الانتقام من شخصٍ ما، يستخدمون الكهنة ليكتبوا لهم لعنة "مناسبة" ضد ذلك الشخص. وكانت كتابة تلك اللعنات تتطلب مهارة خاصة لا يتقنها إلا الكهنة. وبعد كتابة اللعنة، تقام بعض الشعائر السحرية

لتوجيه اللعنة إلى الشخص المستهدف، ومقابل ذلك كله، كان الكهنة يتقاضون أجرًا مناسبًا. وكان العابدون بدورهم يلقون تقدماتٍ ونذورًا للآلهة في بِركةٍ تابعةٍ للمعبد.

هذه الطريقة باستخدام اللعنات والفنون السحرية، مازالت مألوفة كجزء من الحياة اليومية عند معظم سكان العالم، خاصةً في آسيا وأفريقيا ووسط وجنوب أميركا. الشهادة التالية من صديق يخدم كمرسلٍ في زامبيا/ وسط أفريقيا. ومحتواها يرتبط ارتباطًا وثيقًا باللغة والعادات المألوفة هناك.

في أحد المؤتمرات الروحية المسيحية العامة التابعة لإقليمنا الريفي في زامبيا، كلمنا الروح القدس بكلمات نبوية قوية داعيًا إلى القداسة في الكنيسة. كثيرون من المؤمنين تبكتوا على الخطية في حياتهم، وتابوا توبةً حقيقية معترفين بخطاياهم متضرعين لله من أجل غفرانها.

بعد هذه الخدمة، تقدم من الواعظ شيخٌ من شيوخ إحدى كنائسنا في إحدى القرى البعيدة، وكانت الدموع في عينيه وهو يرتجف معترفًا بخطية رهيبة: القتل عن طريق العِرافة!

قال الشيخ إنه كان على خلاف مستمر وشجار دائم مع شيخ آخر في الكنيسة نفسها، وكان الثاني متقدمًا في الرتبة عليه. وساء الأمر جدًا، حتى أنه قرر أن يعاقبه بأن يذهب إلى الطبيب الساحر في القرية وأن يدفع له لكي يلعن الشيخ الآخر. كان ذلك العرَّاف مسرورًا بأن يقوم بذلك، خاصةً وأنه علم أن هذين الشخصين مسيحيان كما يُفترض. وهكذا طلب مبلغًا كبيرًا كدفعةٍ أولى، وطلب من زبونه أن يعود في اليوم التالي.

وعندما عاد إليه الشيخ، رآه جالسًا تحت شجرة وفي يده مرآة وأمامه على الأرض طاسة خاصة بالأدوية السحرية. ثم أخذ الساحر يمسح المرآة بتلك الأدوية، وطلب من الشيخ أن ينظر بتمعن في المرآة ويقول له ماذا يرى.

ولدهشته، رأى الشيخ وجه زميله الشيخ الآخر بكل وضوح. فما كان من الطبيب الساحر إلا أن مرَّر شفرةً فوق رقبة الوجه الظاهر على المرآة التي تغطَّت بالدم حالًا!

صرخ الشيخ قائلًا: "لقد قتلته! أنا طلبت أن تلعنه فقط!" فأجاب الساحر ضاحكًا: "رأيت أن أقوم بعملي على أفضل وجه!"

أسرع الشيخ عائدًا، وارتعب إذ علم أن الشيخ الآخر قد مات بالفعل، وعلم أنه مات بطريقة غامضة بسبب نزيف مفاجئ. أصاب الرعب ذلك الشيخ من جرَّاء ما فعل، فآثر أن يسكت! والآن، بكَّته الروح القدس بقوة على خطيته.

والخبر السار هو أنَّه «**حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا.**» فبالاعتراف والتوبة والإيمان في يسوع المسيح، لم يحصل الشيخ على الغفران والسلام فحسب، بل على حقيقة الولادة الجديدة.

بعض القراء الغربيين قد يرفضون هذا الكلام باعتباره ممارسات خرافية بدائية من مجاهل أفريقيا. لكن الحقيقة هي أنه حتى في ما يسمى أممًا أكثر تحضرًا، عادت الممارسات السحرية إلى الهجوم الفعَّال بعد أن كانت قد اختفت أو كادت. ففي ألمانيا مثلًا، الكثير من رجال الأعمال الذين لا يمكن أن يطلبوا مشورة خادم مسيحي، يقومون بزيارات منتظمة للعرَّافين وقارئي الطالع لكي يستشيروهم بخصوص صفقاتهم التجارية.

وفي منتصف الثمانينات، أُجريت مقابلة تلفزيونية مع أحد قادة كنيسة شيطانية في أمريكا. وسئل إن كان صحيحًا أنَّ عبدة الشيطان يقدمون ذبائح بشرية، فأجاب: "يمكنك القول إننا نقدم ذبائح بشرية بطريقة غير مباشرة، بمعنى تدمير البشر الذين - لِنقلْ - يعملون على خلق ظروف معادية لنا، وذلك باستخدامنا "للّعنات والتعاويذ."[١٠] ليست هذه تهمة يوجهها ناقد معادي له، بل اعتراف حر أعلنه طوعًا.

(١٠) مقتبسة من كتاب "America: The Sorcerer's New Apprentice" لمؤلفيه ديف هنت (Dave Hunt) ومكماهون (T. A. McMahon) – (Harves House Publishers)

ومثل هذا الاعتراف، كان يؤدي إلى عقاب الموت تحت ناموس موسى في مملكة إسرائيل. لكن ثقافتنا المعاصرة لا تعامل الممارسات السحرية كجريمة، وليس هناك عقوبة ترتبط بها، حتى وإن استخدمت بشكل ما لقتل الناس.

وما اقتبسناه من كلام القائد الشيطاني أعلاه يؤكد أنهم يستخدمون اللعنات والتعاويذ لقتل الناس، لكن ذلك لا يجعلهم أبرياء من تهمة تقديم القرابين البشرية. بعض الأدلة الشنيعة على ذلك، نجدها في التقرير الصحفي التالي من صحيفة النيويورك تايمز في عددها الصادر بتاريخ ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٨٩، حول ما وقع في مدينة ماتاموروس/ المكسيك:

... وجدت قوات أمن (أميركية ومكسيكية) جثث اثني عشر شخصًا من بينهم شاب في الحادية والعشرين من جامعة تكساس كان قد اختفى الشهر الماضي. وقد وُجدت الجثث في ثمانية قبور (في مزرعة بعيدة قرب حدود الولايات المتحدة). وفي المؤتمرات الصحفية التي عقدت هنا وفي براونزفيل/ تكساس، قال مسؤولون إنَّ عصابة مخدرات، ترى أن القرابين البشرية "ترس سحري" يحميها من الشرطة، هي المسؤولة عن الجرائم ...

ومن المشتبه بهم مهرب مخدرات يعرف باسم أدولف دي جيزس كونستانزو، الذي يناديه الآخرون "Padrino - العرَّاب". وقالت الشرطة إن كونستانزو أمر بهذه الجرائم الطقسية، وهو يشير بطريقة عشوائية إلى شباب في الشارع لكي يخطفهم أتباعه ويقتلوهم ويشوهوا أجسادهم في تلك المزرعة.

وقد وصفت الشرطة القتلة بأنهم خليط منحرف من ممارسي القرابين البشرية والسحر الأسود من هاييتي وكوبا وجمايكا ...

وهناك تقارير كثيرة من أماكن متعددة من الولايات المتحدة حول تقديم الرضَّع والأطفال كقرابين بشرية، كجزء من طقوس عبدة الشيطان.

أما الهدف الرئيسي للعنات التي يضعها عبدة الشيطان وغيرها من أسلحة السحر والعِرافة والشعوذة، فهو خُدَّام يسوع المسيح. فأتباع الشيطان يعرفون حقًا من هم أعداؤهم الحقيقيون، ويوجهون هجومهم ضدَّهم بناءً على ذلك. هذا ما تؤكده حادثة أخبرني بها أحد الأصدقاء الخدام.

كانت سيدة، يعرفها صديقي، تأكل مع عائلتها في أحد المطاعم في مدينة نيوأورليانز - المعروف بأنها المركز الروحاني للعِرافة في الولايات المتحدة. وبينما هم هناك، اقترب منهم بعض أتباع الشيطان الذين دخلوا المطعم لكي "يشهدوا"! بالطريقة نفسها التي يمارسها بعض المؤمنين، منتقلين من مائدة إلى مائدة. وكانوا يدعون الناس بكل نشاط إلى عبادة الشيطان، وأعطوا للسيدة نشرة مطبوعة للعام ١٩٨٨. وهي عبارة عن برنامج عالمي من ست نقاط، ينبغي إنجازه بمرافقة الصلاة والصوم:

١) أن يظهر ضد المسيح قريبًا.
٢) أن يسقط الخدام والقادة والمرسلون المسيحيون.
٣) أن تتدمر خدمة الله في كل مكان.
٤) أن يصبح المؤمنون مسالمين ويسعون نحو الهدوء والسلام فوق كل شيء، ويبحثون عن تلك الكنائس التي لا تقدم الإنجيل الكامل، وعن رعاة يحافظون على السلام مهما كثرت الخطية.
٥) أن يتوقف المؤمنون المسيحيون عن الصلاة والصوم.
٦) أن يتم تجاهل مواهب الروح القدس.

هذا دليل واحد من الكثير من الأدلة على أن كنيسة يسوع المسيح تواجه اليوم هجومًا كثيفًا منظمًا من قِبَل قوات الشيطان. ماذا تفعل الكنيسة؟ لقد هزم المسيحُ الشيطانَ على الصليب. كيف نستطيع - أولًا وقبل كل شيء - أن ندافع عن أنفسنا، وثانيًا أن نجعل انتصار المسيح حقيقة يومية في حياتنا وكنائسنا؟

نجـد بعـض الأجوبـة المضيئـة في قصـة محاولـة بلعـام أن يلعـن إسرائيـل. لقـد تدخل الله لحمايـة شـعبه وحـوَّل اللعنـــة إلى بركـة. فمـا الذي رآه الله في سـلوك شـعب إسرائيـل آنـذاك، فجعلـه يقـف ضـد الشـيطان مـن أجلهـم؟

إليـك بعـض الحقائق الهامـة التي اجتمعت، فكانـت النتيجة حلول نعمة الله على شـعبه:

١) كان شعب الله القديم يتحرك بهدف تحقيق خطة الله من جهته.

٢) كانـوا ينقـادون بطريقـة فـوق طبيعيـة، ليـلًا ونهـارًا، بواسـطة السـحابة وعمـود النـار. وهـذا ينطبـق اليوم على قيـادة الروح القـدس لمؤمني العهـد الجديد. (انظر رومية ٨:١٤).

٣) كانوا - في ذلك الوقت - منضبطون، يتبعون قادةً عيَّنهم الله وشرائعَ وضعها الله.

٤) كانـت علاقاتهـم منظمـة وفـق ترتيـب إلـهي. وقـد صـور بلعـام ذلـك الانسـجام في العلاقـات بطريقـة جميلـة، إذ وصفهـم في سـفر العـدد ٢٤:٥-٦ فقـال:

«مَا أَحْسَنَ خِيَامَكَ يَا يَعْقُوبُ،
مَسَاكِنَكَ يَا إِسْرَائِيلُ!
كَأَوْدِيَةٍ مُمْتَدَّةٍ.
كَجَنَّاتٍ عَلَى نَهْرٍ،
كَشَجَرَاتِ عُودٍ غَرَسَهَا الرَّبُّ.
كَأَرْزَاتٍ عَلَى مِيَاهٍ.»

وواضـح أن هـذا لـم يكـن وصفًـا حرفيًـا للشـعب الذي كان يخيِّـم في الصحـراء في ذلـك الوقـت!

السـبب في كثيـرٍ ممـا ذكرنـا أعـلاه هـو أن الشـعب كان قـد تطهَّـر مـن جيـلٍ كامـلٍ مـن العصـاة وغـير المؤمنـين. (انظـر عـدد ٢٦:٦٣-٦٥.)

ماذا نتعلم من هذه الصورة عن شعب الله القديم؟ يمكن تلخيص الأبعاد الرئيسة هكذا: كان شعب الله منظَّمًا بطريقة إلهية، وكان منضبطًا ومنقادًا من الله، يعيش في وحدة وانسجام. بكلمات أخرى: لم يكن الشعب مجرد مجموعة من الأفراد، كل واحد منهم يعمل ما يحسن في عينيه!

ولم يتغير الله في متطلباته من نحو شعبه، ولا تغير الشيطان في أساليبه الموجَّهة ضد شعب الله. فإن لم تحقق كنيسة هذه الأيام متطلبات الله التي تضمن نعمته وحمايته، فليس هناك سوى حل واحد: على الكنيسة أن تتغير!

للأسف، فإن استراتيجية بلعام ضد إسرائيل لم تنته إلى انتصار نهائي للشعب. فعندما فشل في أن يلعن إسرائيل، لجأ بلعام إلى حيلة أُخرى، إذ أشار على بالاق أن يستخدم المؤابيات كفخٍ لإغواء رجال إسرائيل، فيقودهم أولًا إلى الزِنى ومن ثَمَّ إلى عبادة الأوثان. وبينما لم ينجح أسلوب بلعام الأول، نجح الثاني!

بعد ذلك، لم تعد هناك حاجة لأن يلعن الشعب. فبكسرهم وصية الله الأولى، جلبوا على أنفسهم لعنة الله نفسه، وهلك منهم أربعة وعشرون ألف شخص (انظر عدد ٢٥). وفي عدد ١٦:٣١، يبيِّن موسى بشكل محدد أن ذلك حدث بناءً على مشورة بلعام.

ويستخدم بولس هذه الحادثة في ١كورنثوس ٨:١٠ كتحذير لمؤمني العهد الجديد. كما يُشار إلى أساليب بلعام الخادعة في ثلاثة مواقع أخرى من العهد الجديد: ٢بطرس ١٥:٢-١٦؛ يهوذا ١١؛ رؤيا ١٤:٢. واضحٌ إذًا أن استراتيجية بلعام ضد إسرائيل، تتضمن تحذيرًا هامًا للمؤمنين تحت العهد الجديد. والدرس الأساسي بسيط: المسيحيون المؤمنون الذين يعيشون بطاعةٍ منضبطة لله وبانسجام فيما بينهم، لهم أن يتطلعوا إلى حماية الله ضد الشيطان. أمّا المؤمنون غير الطائعين غير المنضبطين غير المنسجمين، فقد خسروا حقهم في المطالبة بحماية الله.

الفصل الثالث عشر

كلمات نفسانية

مـن السـهل علـى المؤمنـين أن يفهمـوا خطـورة وضرر القـوى الروحانية الـتي يوجهها خـدَّام الشـيطان ضدهـم. لكـن الكثيريـن مـن المؤمنـين سيندهشـون، إذا علمـوا أن هنـاك حـالاتٍ يمكـن فيهـا لقـوى روحيـة آتيـة مـن إخوتهـم المؤمنـين أن تؤذيهـم! فـفي يعقـوب ٣:١٤-١٥، يكتـب الرسـول للمؤمنـين وعـن المؤمنـين عندمـا يحـذر قائـلًا:

«وَلكِـنْ إِنْ كَانَ لَكُـمْ غَـيْرَةٌ مُـرَّةٌ وَتَحَـزُّبٌ فِي قُلُوبِكُـمْ، فَـلاَ تَفْتَخِـرُوا وَتَكْذِبُـوا عَلَى الْحَـقِّ. لَيْسَـتْ هـذِهِ الْحِكْمَـةُ نَازِلَـةً مِـنْ فَـوْقُ، بَـلْ هِيَ أَرْضِيَّـةٌ نَفْسَـانِيَّةٌ شَـيْطَانِيَّةٌ.»

فلوصـف نـوعٍ معَّـين مـن الحكمـة، اسـتخدم يعقـوب ثلاثـة نعـوت على ثلاثـة مسـتويات متتاليـة: أولًا «أرضيـة» ودون ذلـك «نفسـانية» ودونهـا «شـيطانية». (والكلمـة «نفسـانية» هي ترجمـة مناسـبة تمامًـا للكلمـة اليونانيـة «psuchikos» المشـتقة مـن «psuche» وتعـني «نفـس».) وهـذا التقسـيم يتناسـب أيضًـا مـع الصـورة الـتي يقدمهـا الكتـاب المقـدس عـن شـخصية الإنسـان، إذ يصـلي بولـس في ١تسـالونيكي ٥:٢٣ قائـلًا:

«لْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ ...»

فيجمـع بولـس هنـا بـين العنـاصر الثلاث الـتي تكِّـون شـخصية الإنسـان الكاملة، وقـد أوردهـا بترتيـب تنـازلي؛ مـن الأسـمى إلى الأدنى: الـروح ثـم النفـس ثـم الجسـد.

والـروح هنـا هي ذلـك الجانـب مـن الشـخصية البشريـة الذي نفـخ بـه الله مبـاشرة في الإنسـان عنـد الخلـق. لذلـك فـإن الـروح مؤهلـة للشركـة والاتحـاد المبـاشر

مـع الخالـق. يقـول بولـس في ١كورنثـوس ٦:١٧:

«مَنِ الْتَصَقَ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ.»

أي روحٌ واحـدٌ مـع الـرب. ولا يصـحُّ أن نقـول «نفـس واحـدة» مـع الـرب، فـروح الإنسـان فقـط هي القـادرة على الاتحـاد المبـاشر مـع الله.

وفي أصـل الخليقـة، ترتبـط روح الإنسـان مـع الله إلى أعلى، وترتبـط مـع النفـس إلى أسـفل. فـالله يتصـل مبـاشرةً مـع روح الإنسـان، ومـن خلالهـا مـع نفـس الإنسـان. والنفـس والـروح معًـا يعـبران عـن مـا فيهمـا مـن خـلال الجسـد.

عندمـا سـقط الإنسـان بسـبب عصيانـه وصيـة الله، قُطِعَـت روحـه عـن الشركـة مع الله، وبـدأت النفـس تعـبر عـن ذاتهـا باسـتقلالٍ عـن الـروح. هـذه العلاقـة «المقطوعـة» هي نتيجـة تمـرد الإنسـان على الله، وهي التعبـير عـن ذلـك التمـرد أيضًـا.

في مواضـع أُخـرى مـن الكتـاب المقـدس، تشـير الكلمـة «نفسـاني» إلى نشـاط النفـس البشريـة عندمـا تخـرج عـن علاقتهـا السـليمة بالـروح البشريـة. وهي تصـف بذلـك حالـةً لا تنطبـق على إرادة الله العليـا. ويمكـن التأكيـد على ذلـك إذا نظرنـا في مقطعـين آخريـن مـن العهـد الجديـد حيـث تسـتخدم الكلمـة اليونانيـة «psuchicos» أي «نفسـاني»، وإن كانـت الترجمـات المختلفـة للكتـاب المقـدس لا تعتمـد هـذه الكلمـة دائمًا.

يقول بولس في ١ كورنثوس ١٢:١٤-١٥:

«الإِنْسَـانَ الطَّبِيـعِيَّ (النفسـاني) **لاَ يَقْبَـلُ مَـا لِـرُوحِ اللهِ ... وَلاَ يَقْـدِرُ أَنْ يَعْرِفَـهُ لأَنَّـهُ إِنَّمَـا يُحْكَـمُ فِيـهِ رُوحِيًّـا.»**

من جانب آخر:

«وَأَمَّا الرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ....»

والتناقض واضح بين «الروحي» و «النفساني». الإنسان الروحي يتصرف وفق إرادة الله، أما «النفساني» فلا انسجام بينه وبين الله. يسعى «النفساني» إلى استيعاب الحقائق الروحية في مجال نفسه فقط، أما «الروحي» فهو متحد مع الله من خلال روحه، لذلك يقدر أن يقبل الإعلان الروحي من الله مباشرةً.

في يهوذا ١٦-١٩، يصف الرسول طبقةً من الناس المرتبطين بالكنيسة، لكنهم مع ذلك «**مُدَمْدِمُونَ مُتَشَكُّونَ، سَالِكُونَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِهِمْ.**» ويختم قائلًا عنهم:

«**هؤُلاَءِ هُمُ الْمُعْتَزِلُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، نَفْسَانِيُّونَ لاَ رُوحَ لَهُمْ.**» (والإشارة هنا إلى روح الله.)

فإذا جمعنا هذين المقطعين من ١كورنثوس ورسالة يهوذا، نرى صورة متكاملة للإنسان الذي يمكن أن يوصف بأنه «نفساني». فهو كما يبدو شخص له ارتباط بالكنيسة وله مظهر الروحانية. وفي الوقت ذاته، فإن نفسه ليست مرتبطة بالله بطريقة صحيحة، أي عن طريق روحة. ورغم الإيمان الذي يعلنه، إلا أنَّهُ في الواقع متمردٌ خارجٌ عن نطاق الانسجام مع الله ومع شعب الله، ولا يستطيع استيعاب الحقائق الروحية. موقفهُ وسلوكهُ المتمرِّدان يحزنان روح الله ويسيئان لجسد المسيح.

هذا التحليل يوضِّح المستويات الثلاثة للحكمة الفاسدة التي قرأنا عنها في يعقوب ٣:١٥: أرضية ثم نفسانية ثم شيطانية. والمشكلة الأساسية هي التمرد - الذي هو شكل من أشكال عدم الطاعة بل والرفض لسلطان الله. وهذا التمرد يقطع روح الإنسان عن الله وعن أمور السماء، فيعود لينحصر في مستوى القيم والدوافع الأرضية.

أما نفسه غير المنسجمة مع الله، فتعرِّضه بعصيانها لتأثير الأرواح الشريرة التي لا يستطيع تمييزها بحواسه الروحية المتبلدة. والنتيجة هي حكمة تبدو «روحية» وهي في الحقيقة «شيطانية».

والواقع أن هذا الأصحاح الثالث من رسالة يعقوب يركِّز على مشكلة محددة: إساءة استخدام اللسان. ثم إنَّ الرسالة بأكملها موجَّهة أساسًا - وليس حصرًا - إلى

أولئك الذين يقرّون بإيمانهم في المسيح. من هنا نستنتج أنَّ هذه الحكمة الفاسدة المزيَّفة الشيطانية التي يتحدث عنها يعقوب، يتم التعبير عنها من خلال كلمات ينطق بها المؤمنون! فكيف يحدث ذلك؟

هناك ميدانان رئيسيان يُحسب فيهما المؤمن مذنبًا بسبب كلامٍ ينطِقُ به: الميدان الأول هو الكلام الذي ينطق به المؤمنون فيما بينهم، والثاني هو الكلام الذي يوجهونه إلى الله - عبر الصلاة بشكل أساسي.

يحذر العهد الجديد المؤمنين من جهة الكيفية التي ينبغي أن يتكلموا بها عن الناس وخاصةً أخوتهم في الرب. يقول بولس في تيطس ٢:٣ إن على المؤمنين بيسوع أن «**لاَ يَطْعَنُوا فِي أَحَدٍ**»، (أي أن لا يستغيبوا أحدًا بكلامٍ سيّئ.) والكلمة «أحد» تنطبق على جميع الناس مؤمنين و غير مؤمنين.

أمَّا الكلمة اليونانية المترجمة «يطعنوا» فهي «blasphemo» ومنها أُخذت الكلمة التي تعني «يجدِّف». فمن الهام هنا أن نلاحظ أن خطية «التجديف» لا تتضمن الكلام الشرير تجاه الله فقط، بل تجاه البشر أيضًا! مثل هذه اللعنة محظورة على أولاد الرب، سواءً أكان المقصود بها الله أم الناس.

في يعقوب ١١:٤ يعالج الرسول بشكل محدد مسألة الكلام الذي ينطق به المؤمنون ضد بعضهم بعضًا، فيقول:

«لاَ يَذُمَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ.»

والكلمة «**يَذُمَّ**» في اليونانية هي «katalalo»، أي «الكلام ضد...»! يفسِّر الكثيرون رسالة يعقوب على أنها تقصد أن لا نقول أشياء «خاطئة» ضد مؤمنين آخرين. إلا أن المقصود بالفعل أن لا نتكلم ضد إخوتنا المؤمنين مطلقًا - حتى وإن كان ما نقوله صحيحًا! هذه الخطية التي ينبِّه يعقوب إليها ليست هي الكلام «الخاطئ» إذًا، بل الكلام «ضد»! خاطئًا كان أم صائبًا.

من الخطايا التي يقع المؤمنون بسهولة في شراكها خطية «النميمة». في بعض الكنائس، إذا تخلَّص المؤمنون من النميمة، فلن يبقى لديهم شيء يتحدثون عنه!

ويتضمن تعريف النميمة من الناحية اللغوية أمرين على الأقل: الكلام «البطَّال» والكلام «الخبيث». لا يكفي أن يتجنب المؤمنون الخبثَ في كلامهم، فيسوع نفسه يحذرنا بوضوح في متى ١٢:٣٦ من مجرَّد التلفظ بكلام «بطَّال»، أي كلامٍ «تافه لا جدوى منه»:

«وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ.»

ومع أن العهد الجديد يمنع النميمة على الإطلاق، إلا أن مؤمنين كثيرين يعتبرونها خطيةً «غير مؤذية» نسبيًا! ولا ينظر الله إليها بهذا المنظور قطعًا. ففي رومية ١:٢٩-٣٠، يضع بولس قائمةً بالنتائج التي تظهر في الناس الذين يحولون قلوبهم عن معرفة الله. فيما يلي جزء من تلك القائمة:

«... مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ، مَشْحُونِينَ حَسَدًا وَقَتْلاً وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا، نَمَّامِينَ مُفْتَرِينَ، مُبْغِضِينَ لِلّهِ، ثَالِبِينَ مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ ...»

ولموقع النميمة هنا دلالة هامة. فمن المواقف الداخلية المرتبطة بالنميمة هنا نجد الخصام والمكر والسوء. ويُصنَّف النمَّامون مع المفترين ومبغضي الله، الجاحدي نعمته، المتغطرسين المتفاخرين بذواتهم. المؤمنون الذين ينغمسون بالنميمة، قد ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم «حالة استثنائية»، لكن الله لا ينظر إليهم هكذا.

وخطورة هذا النوع من الكلام واضحة في الصفات الثلاث المرتَّبة تصاعديًا في يعقوب ٣:١٥: «**أَرْضِيَّةٌ، نَفْسَانِيَّةٌ، شَيْطَانِيَّةٌ.**» فالمؤمنون الذين يسمحون لأنفسهم بالنميمة على الآخرين خاصة أخوتهم المؤمنين - هم في موقف عصيان مباشر لكلمة الله. وهكذا يجدون أنفسهم على منحدرٍ زَلِق. وقبل

أن يدركوا ما حدث، ينزلقون من «الأرضي» إلى «النفساني» إلى «الشيطاني».

أما الكلمات التي يستخدمونها ضد الآخرين، فهي ليست من تلك التي نعتبرها «لعنات» عادةً، لكن تأثيرها هو نفسه. بل هي قنواتٌ تصل عبرها القوات الشيطانية لتهاجم أعضاءً آخرين في جسد المسيح. والأكثر من هذا، أن الناس الذين توجهت تلك الكلمات ضدهم ليسوا وحدهم المتأثرين بها. يقول الرسول في يعقوب ٣:٦:

«هكَذَا جُعِلَ فِي أَعْضَائِنَا اللِّسَانُ، الَّذِي يُدَنِّسُ الْجِسْمَ كُلَّهُ.»

فالمؤمن المذنب بمثل هذا الكلام، يدنِّس نفسه ويدنِّس ذلك الجزء من جسد المسيح الذي ينتمي إليه.

قبل عدة سنوات، وخلال رحلة للخدمة في أوروبا، وجدت نفسي في موقف أعطاني المزيد من البصيرة حول خطورة الكلام النفساني. كنت أستعد لتقديم رسالة في اجتماع هام جدًا، عندما أعاقني ألم شديد في أسفل بطني. وخوفًا من أن أضطر لإلغاء التزامي بالتكلم في ذلك الاجتماع، دعوت الله أن يساعدني. وفي الحال، تكوَّنت في ذهني صورة لاثنين من أصدقائي المؤمنين يقطنان في الولايات المتحدة على بعد حوالي ١٠,٠٠٠كم عني، وهما يتحدثان عني. كنا نتمتع بعلاقة حميمة نحن الثلاثة، إلا أنهما اختلفا معي بسبب موقف كنت قد اتخذته مؤخرًا. وشعرت أنهما ينتقدانني في كلامهما بسبب ذلك الموقف، وأن كلماتهما السلبية هي التي تسبب لي تلك الأعراض المؤلمة التي كنت أعاني منها. والأكثر من هذا، أن ذلك كان ضمن استراتيجية شيطانية لمنعي من الخدمة ذلك المساء.

ورأيت آنذاك أنني أحتاج أن أعمل أمرين: أولًا، غفرت لصديقيَّ ما اقترفاه ضدي من كلام. ثم سلكت حسب وعد يسوع في متى ١٨:١٨:

«كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ.»

وبالسلطان الذي لي باسم يسوع، ربطتُ القوى الشيطانية التي تعمل ضدي، ثم حَلَلْتُ نفسي من تأثير كلمات صديقيَّ. وخلال خمس دقائق زال الألم من بطني تمامًا (ولم يَعُدْ مطلقًا!) وبعد بضع ساعات جاء وقت خدمتي التي أديتها بكل فعالية عالمًا أنَّ قصد الله قد تحقق.

بعد أن عدت إلى الولايات المتحدة فيما بعد، اجتمعت بصديقيَّ وأزلنا التوتر الذي نشأ بيننا. واليوم علاقتي بهما أكثر دفئًا وأوطد مما كانت عليه من قبل.

يقول يسوع في متى ٧:١-٢:

«لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ.»

وفي اللغة الأصلية، ترجع الكلمة «تدينوا» إلى فعل يوناني يتضمن معنى الانتقاد، ومنه اشتقت الكلمات الإنجليزية "critic" و"criticize" (مُنتقد، ينتقد). فعندما نسمح لأنفسنا بانتقاد الآخرين، خاصة أخوتنا المؤمنين، بطريقة نعلن فيها إدانتهم، نكون غير طائعين لكلمة الله ومتمردين بالتالي على الله. وهذا يعرِّضنا لـ«متلازمة» يعقوب ٣:١٥: «**أَرْضِيَّةٌ، نَفْسَانِيَّةٌ، شَيْطَانِيَّةٌ.**»

فإذا وجدنا أنفسنا في خلافٍ مع سلوك مؤمن آخر، يُسمح لنا - وأحيانًا يكون ضروريًا - أن نتبع مثال بولس عندما اختلف مع بطرس بخصوص الممارسات اليهودية. يقول بولس في غلاطية ٢:١١ بخصوص بطرس: «**قَاوَمْتُهُ مُوَاجَهَةً.**»

لم ينتقد بولس سلوك بطرس أمام شركائه في الخدمة تيطس وبرنابا، لكنه ذهب إلى بطرس مباشرةً وعبَّر عن موقفه تجاه سلوكه. ولو أذنب بولس بانتقاد بطرس وطعنه في غيابه، لربما انكسرت علاقتهما بشكل دائم. لكن الواقع - على أية حال - تُظهِره رسالة بطرس الثانية ٣:١٥، والتي كتبت في أواخر حياة بطرس، حيث نجده يتحدث بروح الرضى عن «**الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ**» لأخيه «**الْحَبِيبُ بُولُسُ**».

أما سليمان فيؤكد على هذا المبدأ السلوكي في أمثال ٥:٢٧ حيث يقول:

«اَلتَّوْبِيخُ الظَّاهِرُ
خَيْرٌ مِنَ الْحُبِّ الْمُسْتَتِرِ.»

وهناك حالة مختلفة، لنا فيها أن نتكلَّم عن سلوكٍ خاطئ لشخص آخر، وذلك إذا أُلزمنا قانونيًا بالشهادة. ففي هذه الحالة، من واجبنا أن نقول «الحق، كل الحق، ولا شيء غير الحق.» ولا يمكن لأحد أن يكون شاهدًا وقاضيًا في وقت واحد. ففي حالة الشهادة، نحن لسنا قضاة، بل نترك مسؤولية إعلان الحكم لشخصٍ آخر.

يحذرنا يسوع من خطية اتخاذ مركز القاضي عندما لا يكون ذلك المركز مسندًا إلينا من الله. كما يحذرنا من سماحنا لأنفسنا بانتقاد وإدانة الآخرين، فإن نوع الانتقاد نفسه، الذي تكلَّمنا به ضد الآخرين، سيعود فيوجَّه إلينا من مصدرٍ أو من آخر.

لا بدَّ أن تحليل الكتاب المقدس العميق للأذى الذي تسببه إساءَة استخدام اللسان، لا يترك مجالًا إلا لعددٍ قليلٍ منا أن يتجرأوا على القول إنهم «غير مذنبين!» فإذا أدركنا أننا بالحقيقة مذنبون بجرح أشخاص آخرين بألسنتنا، وأننا دنَّسنا بذلك أنفسنا وجسدَ المسيح، علينا أن نتوب ونطلب الغفران ممَّن أسأنا إليهم.

ثم علينا أن نتعلَّم كيف نحمي أنفسنا من الكلمات الجارحة المؤذية التي قد ينطق بها الناس ضدنا. ومسألة الحماية هذه، سنتطرق إليها في القسم الثالث من هذا الكتاب.

الفصل الرابع عشر

صلوات نفسانية

يُصاب كثير من المؤمنين بالذهول عندما يُواجَهون بمقدار الأذى الذي يسببه كلامهم فيما بينهم عن الآخرين. ويُصدمون أكثر بالمقدار الأعظم من الأذى الذي يسببونه عندما يتكلمون ضد الآخرين **في صلواتهم الموجّهة إلى الله!** إنهم يفترضون أن الصلوات مقبولة دائمًا وتأثيرها صالح دائمًا. إلا أن هذا الرأي مناقضٌ لرأي الكتاب المقدس. ففي أمثال ٩:٢٨ مثلًا، يحذرنا الكتاب قائلًا:

«مَنْ يُحَوِّلُ أُذْنَهُ عَنْ سَمَاعِ الشَّرِيعَةِ، فَصَلاَتُهُ أَيْضًا مَكْرَهَةٌ.»

لقد بيَّن الله في الكتاب المقدس مبادئ الصلاة المقبولة عنده. كل من يتجاهل هذه المبادئ مُصلِّيًا على النقيض منها، يجلب على نفسه عدم رضى الله، ويتسبب برفض صلاته. وفي وصفه للتقييم الإلهي لمثل تلك الصلاة، يستخدم سليمان إحدى الكلمات الكتابية القوية للتعبير عن عدم الموافقة، وهي الكلمة «مكرهة»!

ولأنه من الهام جدًا لنا أن نصلي الصلوات المناسبة، لا يجرؤ أحدنا على الاعتماد على حكمته الشخصية! رحيم هو الله الذي لم يتركنا لمشوراتنا الذاتية، لكنه أرسل إلينا الروح القدس: المُعين الإلهي. والروح نفسه يعيننا لكي نصلي الصلوات المقبولة عند الله. وبعيدًا عن الروح القدس، لا نقدر على رفع صلواتٍ بالطريقة التي ترضي الله وتحقق مقاصده.

يؤكد بولس على هذه المسألة بوضوح شديد في رومية ٨:٢٦-٢٧:

«وَكَذلِكَ الرُّوحُ أَيْضًا يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا، لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا. وَلكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ، لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ.»

لكلٍّ منا ضعفات بسبب طبيعتنا الجسدية. والمقصود هنا ضعفات الفهم لا ضعفات الجسد. وهي تظهر بطريقتين مترابطتين: أولًا، لسنا نعلم غالبًا ما نصلي لأجله. وثانيًا، حتى عندما نعلم ما نصلي لأجله، لا نعلم كيف نصلي لأجله. وهكذا نجد أنفسنا محتاجين تمامًا إلى الاعتماد الكلي على الروح القدس، فهو وحده يقدر أن يعيننا لنعرف ما نصلي لأجله وكيف نصلي.

وفي مقطعين من رسالته إلى مؤمني أفسس، يعود بولس فيؤكد ضرورة اتكالنا على الروح القدس الذي يعطينا الصلوات المقبولة عند الله. ففي أفسس ٢:١٨، يشدد على أن الروح القدس وحده يوفر لنا الدخول إلى محضر الله:

«لأَنَّ بِهِ (بيسوع) لَنَا كِلَيْنَا (أممًا ويهودًا) قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ (الروح القدس) إِلَى الآبِ.»

وأمامنا هنا شرطان للصلاة المقبولة التي نتقدم بها من الله: بيسوع، وبالروح القدس. وهما شرطان أساسيان.

ما من قوة طبيعية يمكن لها أن تحمل أصواتنا البشرية الضعيفة إلى أذن الله الجالس على عرشه في السماء. قوة الروح القدس فوق الطبيعية وحدها تستطيع ذلك. ومن دون الروح، لا قدوم لنا إلى محضر الله!

وفي أفسس ٦:١٨، يشدد بولس ثانيةً على حاجتنا إلى معونة الروح القدس، وخاصةً في الصلاة لأجل أخوتنا المؤمنين. فيقول إنه ينبغي علينا أن نكون:

«مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، (الروح القدس) ... لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ.»

الصلوات التي نرفعها بالروح القدس، هي فقط التي يمكن أن تكون مفيدةً لأولئك الذين نطلب لهم المعونة والتشجيع اللذين يحتاجون إليهما.

فكيف نستطيع الانتفاع بمعونة الروح القدس؟ هناك متطلبان أساسيان: التواضع ونقاء الدافع. علينا أولًا أن نتضع أمام الروح القدس ونقرُّ بحاجتنا إليه. ثم علينا أن نسمح له بتنقية قلوبنا من الدوافع الخاطئة والمواقف الأنانية، وأن نصغي له بعد ذلك وهو يقودنا بدافع المحبة المخلصة والاهتمام الصادق بأولئكَ الذين نرغب بالصلاة لأجلهم.

وليست الصلوات التي يلهمنا إياها الروح صلواتٍ طويلةً أو فصيحةً بالضرورة. لا يهتم الله بقدرتنا على الصياغة أو بمقدار ما في نبرة صوتنا من خشوع! فمن بين أكثر الصلوات فعاليةً في الكتاب المقدس، نجد تلك الصلوات البسيطة إلى حدٍّ مذهل: صلَّى موسى من أجل اخته مريم التي أصابها البرص فقال بكل بساطة: «**اللّهُمَّ اشْفِهَا**» (عدد ١٢:١٣). وعندما صلَّى العشار في الهيكل لم ينطق إلا بعبارة بسيطة مختصرة: «**اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئُ**» (لوقا ١٨:١٣). ونعلم أن الله سمع هاتين الصلاتين واستجاب لهما.

إن كنت تشعر بحاجتك إلى الصلاة ولا تعلم كيف تبدأ، اطلب معونة الله بكل بساطة. هذه كلمات بسيطة يمكنك استخدامها:

يا رب، أريد أن أصلي ولا أعرف كيف. أرجوك ساعدني بالروح القدس كي أصلي الصلاة التي تسمعها وتستجيب لها.

بعد ذلك، اقبل تجاوب الله معك بالإيمان، وصلِّ بما ينبع من قلبك. لقد أكَّد لنا يسوع أننا إذا طلبنا خبزًا من الله فهو لن يعطينا حجرًا (متى ٧:٩).

ولنفرض جدلًا أننا لم نخضع للروح القدس ولا طلبنا إرشاده، فإن صلواتنا بالتالي ستكون نابعةً من الغيرة المرَّة أو التحزُّب (يعقوب ٣:١٤)، أو من غيرها

من المواقف الجسدية كالحقد والغضب والانتقاد والبر الذاتي. ولن يصادِق الروح القدس على صلواتٍ تصدر عن مواقف كهذه، ولن يقدِّم بالتالي صلواتنا في محضر الله الآب.

وهكذا لا يمكن تجنب انحدار صلواتنا إلى الأعراض المتلازمة في يعقوب ٣:١٥: «**أَرْضِيَّةٌ، نَفْسَانِيَّةٌ، شَيْطَانِيَّةٌ**». وتأثير هذه الصلوات النفسانية هو كتأثير الكلام النفساني الذي تحدثنا عنه: فهو سلبي لا إيجابي! وهو يضع أولئك الذين نصلي لأجلهم تحت ضغوط غامضة خفية لا تخفف من أحمالهم بل تزيد عليها.

وبشكل خاص، عندما نصلي لأجل أخوتنا المؤمنين، هناك موقفان نفسانيان علينا أن نحترس منهما: علينا أن لا نتهم وأن لا نسعى إلى السيطرة.

من السهل جدًا أن نرى أخطاء غيرنا من المؤمنين. بل الحقيقة هي أن ذلك هو ما يدفعنا غالبًا للصلاة لأجلهم! الصلاة بحد ذاتها عمل صائب، لكن علينا أن ننتبه كيف نصلي. ليس لنا الحق بالدخول إلى حضرة الله حاملين تقريرًا بأخطاء الآخرين.

عندما نبدأ بأخذ دور المشتكي، فإننا نتبع مثال الشيطان لا مثال المسيح. إن لقب الشيطان الرئيسي «إبليس» وهو يعني «المشتكي». وفي رؤيا ١٢:١٠ يوصف بأنه «**الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا ... أَمَامَ إِلهِنَا نَهَارًا وَلَيْلاً.**» وهو يقوم بهذه المهمة منذ زمن قديم، فهو خبير بذلك، ولا يحتاج أية مساعدة من المؤمنين!

لقد لاحظت أن بولس في كل صلواته لأجل المؤمنين - أفرادًا أو جماعات - يبدأ صلاته دائمًا بأن يشكر الله من أجلهم. أفضل مثال على ذلك افتتاحية رسالة بولس الأولى إلى مؤمني كورنثوس. فبحسب ما نقرأ لاحقًا في الرسالة نفسها، كان في وسط كنيسة كورنثوس الكثير من الخطايا: خصام وجسدية وزنى وسكر على مائدة الرب. ومع ذلك، يفتتح بولس رسالته إليهم بتقديم كلمات شكر جميلة للرب:

«أَشْكُرُ إِلهِي فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لَكُمْ فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ،أَنَّكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ اسْتَغْنَيْتُمْ فِيهِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ وَكُلِّ عِلْمٍ، كَمَا ثُبِّتَتْ فِيكُمْ شَهَادَةُ الْمَسِيحِ ... الَّذِي سَيُثْبِتُكُمْ أَيْضًا إِلَى النِّهَايَةِ بِلاَ لَوْمٍ فِي يَوْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (١كورنثوس ١:٤-٦، ٨)

إن لتقديم الشكر في بداية الصلاة تأثير سيكولوجي هام. إذ انه يولِّد موقفًا إيجابيًا عند المُصلِّي. ومن بداية كهذه، يسهل أن نواصل الصلاة بإيمان إيجابي حتى وإن كنا على علم بعددٍ من الأخطاء أو المشاكل لدى أولئك الذين نصلِّي لأجلهم. بالنسبة لي، هناك مبدأ ثابت لا أتعداه، وهو أنني لا أصلي لأجل أخوة مؤمنين قبل أن أشكر الله من أجلهم. فإذا كنت لا أستطيع عمل ذلك، أرى أن الأفضل هو عدم الصلاة لأجلهم على الإطلاق!

كان لمرسلٍ في الهند - في جيل سابق - دور كبير في تأسيس خدمة فعَّالة تتعلق بالصلاة، حتى أنه صار معروفًا باسم «هايدي المُصلِّي». ويومًا ما، كان يصلِّي لأجل مبشِّرٍ هندي كانت خدمته تفتقر إلى الحرارة الروحية والثمر. وكان هايدي على وشك أن يقول: «يا رب، أنت تعلم كم هو فاتر ذلك الأخ!» لكنه لما نطق بالعبارة التالية: «يا رب، أنت تعلم كم ...»، أوقفه الروح القدس!

وفجأةً أدرك هايدي أن التشكي على أخيه الخادم، ليس من عمله. وعوضًا عن التركيز على أخطاء ذلك الأخ، أخذ يشكر الله من أجل كل شيء صالحٍ يستطيع أن يراه فيه. وخلال بضعة أشهر، تغيرت حياة ذلك الخادم الهندي ونجحت خدمته بشكل مذهل، وصار معروفًا في تلك المنطقة كلها باعتباره خادمًا مُكرَّسًا ورابحًا فعَّالًا للنفوس.

هذه هي قوة الصلاة المبنية على التقدير الإيجابي والشكر على كل ما هو صالح في حياة شخصٍ ما. لنفرض أن هايدي لم يكن حساسًا للروح القدس، وواصل الصلاة بروح الإدانة السلبية. ألا يمكن لصلاته تلك أن تكون فعَّالةً على أية

حال، لكن بالاتجاه المعاكس؟! ألا يمكن أنه كان سيضع صديقه الخادم تحت ثقل كبير من الإدانة قد لا يتمكن أبدًا من التخلص منه؟!

أنا شخصيًا، وكمعظم المؤمنين، أشعر أحيانًا بفتراتٍ من «الثقل» الروحي. وبطريقة غامضة، تبدأ مشاعر الذنب أو عدم الكفاءة أو عدم الاستحقاق تهاجمني، رغم أنني لا أعرف سببًا محددًا في حياتي أو سلوكًا معيَّنًا يفسر تلك المشاعر.

في مثل تلك الحالات، تعلَّمت من التجربة أن السبب ربما لا يتعلق بي إطلاقًا. ربما يكون «الثقل» الذي أشعر به هو بسبب مؤمنين آخرين يشتكون علي أمام الله بنيَّة سليمة لكن تحت تأثير قيادة خاطئة. وبشكل خاص، الشعور بالذنب يمكن اعتباره علامة تحذير. فالشعور بالذنب هو النتيجة المنطقية للاتهام والتشكي. وما أن أشخِّص حالتي بشكل صحيح، حتى ألتفت إلى رئيس الكهنة العظيم، الذي يعرف كل أخطائي، لكنه يواصل التشفع لي والدفاع عن قضيتي أمام الآب.

ليست هناك صلاة غير فعَّالة! ليست المسألة إن كانت صلواتنا فعَّالة أم لا، بل المسألة إن كانت فعاليتها إيجابية أم سلبية! وهذا يتحدد بناءً على القوة التي تعمل فيها؛ هل هي قوة الروح القدس؟ أم هي قوة نفسانية مقلِّدة؟

إن الصلاة الشفاعية الحقيقية ينبغي أن تنبني على النمط الذي أسسه يسوع، كما يصفه بولس في رومية ٨:٣٣-٣٤:

«مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اَللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ. مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ اَلْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا.»

من المؤكد أن المسيح يرى أخطاءنا كمؤمنين بطريقة أوضح مما نرى بعضنا بعضًا. مع ذلك فإن شفاعته فينا لا تؤدي إلى إدانتنا، بل إلى تبريرنا. إنه لا يسعى إلى خلق الشعور بالذنب فينا، بل يسعى إلى تحقيق البرِّ لنا.

وصلواتنا التشفعية من أجل أخوتنا المؤمنين، يجب أن تتخذ المسار نفسه.

أنجرؤ على أن نشتكي على مختاري الله؟ أو أن ندين من بررهم الله؟ حقًا إنها الوقاحة في أعلى مستوياتها!

رسالة الكتاب المقدس لا لبس فيها، وهي لا تترك لنا مجالًا لكي نشتكي على إخوتنا في صلواتنا. لكن هناك تجربة أُخرى قد نقع فيها بخصوص إساءة استخدام قوة الصلاة، وهي أكثر خفاءً وأصعب تمييزًا، وتكون على شكل استغلال الصلاة للسيطرة على أولئك الذين نصلي من أجلهم.

هناك شيء في طبيعتنا الآدمية الساقطة يجعلنا نتوق إلى السيطرة على الآخرين وفرض إرادتنا عليهم. وقد ذكرنا في الفصل السادس أن هذه الرغبة بالسيطرة على الآخرين هي الجذر الذي تنشأ منه العِرافة - أولًا كعملٍ من أعمال الجسد، ثم كممارسة من ممارسات السحر.

ومن الكلمات التي تشير إلى عمل هذه القوة: التلاعب (manipulation). وهناك ما لا يُحصى من النواحي التي يمكن للناس أن يلجأوا فيها إلى التلاعب للحصول على ما يريدونه من الآخرين. الأزواج يتلاعبون مع زوجاتهم، والزوجات مع أزواجهن، الأولاد يتلاعبون مع أهلهم، والخدام مع أعضاء كنائسهم، ووكلاء الدعاية والإعلان يتلاعبون بالناس عامةً! لقد صار ذلك ممارسة مألوفة جدًا حتى أن الناس لا يميزونها لا في أنفسهم ولا في الآخرين.

إلا أن أسلوب التلاعب ليس هو إرادة الله. الله لم يتلاعب معنا مطلقًا، ولا أعطانا سلطانًا كي نتلاعب بالآخرين. وكلما لجأنا إلى التلاعب، نكون قد انتقلنا من الميدان «الروحي» إلى الميدان «النفساني». ونكون حينها نعمل بحكمة ليست نازلة من فوق.

ولأننا نفكّر عادةً بالصلاة على أنها شيء صالح وروحي، نفترض أن كل ما نحققه من خلال الصلاة هو بالضرورة مشروع ويمثل إرادة الله. وهذا صحيح فقط عندما تكون القوة العاملة في صلواتنا هي قوة الروح القدس. أمّا إذا كانت صلواتنا مدفوعةً بتصميمنا النفساني، فإن آثارها ستكون ضارّة لا نافعة.

وخلف هذا النوع النفساني من الصلوات، يقع عادةً افتراضٌ متعجرف بأننا نملك الحق بأخذ دور الله في حياةِ الآخرين! والحق هو أن أي نفوذ أو تأثير يسعى إلى نزع سيادة الله عن حياةِ شخصٍ ما، هو مسعىً لا يمتُّ إلى الروح القدس بأية صِلة.

هناك عدة حالات قد يُجرَّب فيها المؤمنون بالصلاة بطريقة تبدو روحية، لكنها في الواقع نفسانية. وفيما يلي مثالان نموذجيان:

١) صلوات الإدانة والتشكي

من شأن الانقسام في الكنيسة أن يظهر العنصر النفساني عند كل الأطراف المعنية. في هذه الحالة، اكتشف القس جونز، راعي كنيسة الإنجيل الكامل، أن زوجته على علاقة غرامية مع الأخ ويليامز المسؤول عن الموسيقى. فطلَّق زوجته، وطرد الأخ ويليامز.

رفض الأخ ويليامز الاعتراف بتهمة الزنى، واعتبر ما حدث «ظلمًا»، فاجتذب أكثر من نصف الأعضاء إلى جانبه، وبدأ بتأسيس كنيسة جديدة. وتبع ذلك نزاع طويل بين الطرفين حول تقسيم الممتلكات.

بعد حوالي سنة، تزوج القس جونز. الأخ ويليامز وجماعته اتهموا جونز بأنه من غير الكتابي لخادم طلَّق امرأته أن يتزوج ثانية. وهكذا بدأوا اجتماع صلاة خاص طلبًا للـ «دينونة»!

خلال السنتين التاليتين، حملت زوجة القس جونز مرتين وأسقطت حملها، ولم يجد الأطباء سببًا علميًا لذلك. أما الآخ ويليامز وجماعته فعزوا ذلك إلى أنه استجابة لصلواتهم، وأن ذلك مصادقة إلهية على موقفهم البار.

وأنا أوافقهم الرأي على استنتاجهم الأول؛ صلواتهم كانت مسؤولة عن إسقاط الحملين! لكن ما هي القوة التي عملت في تلك الصلوات؟

بما أن الروح القدس يحذر عبر الكتاب المقدس من إدانة إخوتنا المؤمنين، فلا يمكن أن يكون قد وضع سلطانه في صلوات دافعها هو الإدانة. فلا يبقى إذًا سوى تشخيص صحيح واحد وهو تشخيص يعقوب ٣:١٥؛ القوة التي تعمل في مثل تلك الصلوات هي «أَرْضِيَّةٌ، نَفْسَانِيَّةٌ، شَيْطَانِيَّةٌ».

٢) صلوات التلاعب والسيطرة

القس سترونغ معروف بأنه يسيطر على الذين حوله، وهو رجل أرمل وله ولدان وبنت. كان يريد من ولديه أن يصبحا خادِمَين، لكنهما اختارا أعمالًا أخرى. أما ماري ابنته فبقيت في البيت مكرَّسةً لمساعدة أبيها وهي خادمة نشيطة في الكنيسة.

في أحد المؤتمرات الإنجيلية، تعرفَّت ماري على بوب، وهو خادم شاب في طائفة أخرى، وشعر كلٌّ منهما بالود تجاه الآخر. لكن القس سترونغ كان على خلاف مع كنيسة بوب وقد عارض العلاقة من بدايتها. ورغم حرصه على عدم خسارة مساعدة ماري له في البيت وفي الكنيسة، إلا أنها قرَّرت الخروج من بيت أبيها لتسكن مع إحدى صديقاتها. وسمى القس سترونغ ذلك «تمردًا». وعندما أخبرته ماري بأنها وبوب سيخطبان، قرر القس سترونغ أن يصلي ضد ذلك الزواج.

واصَل بوب وماري خططهما، لكن كلما تعرف أحدهما على الآخر بشكل أكبر، ازداد التوتر في علاقتهما، وفقد كل منهما راحته في التعامل مع الآخر. وتحوَّلت الخلافات التافهةُ بشكل ما إلى صدامات مؤلمة. وكل ما خطّطا له انتهى إلى إحباط لا تفسير له. وأخيرًا قالت ماري: «بوب، لا يمكن أن تكون هذه إرادة الرب لنا!» وسلَّمتْهُ خاتم الخطوبة.

ثم استنتجت ماري أن الطريقة الوحيدة للخلاص من إحباطها هي أن تكسر كل اتصال لها بالمؤمنين. وبعيدًا عن أبيها وعن الكنيسة، تبعت أخويها في العمل خارج نطاق الخدمة. ثم التقت برجل ملحد وتزوجته!

كيف نقيِّم صلوات القس سترونغ؟ لا شك أنها كانت فعَّالة، لكن فعاليتها ضارَّة! إنها تعبير عن رغبة دائمة بالسيطرة على الأشخاص القريبين منه. نعم، كانت تلك الصلوات قوية إلى حد كسر علاقة كانت سببًا لسعادة ابنته ورضاها. لكن تلك الصلوات لم تنجح بإعادة ابنته إلى الإيمان أو منعها من الزواج فيما بعد بما لا يتفق وكلمة الله. إن قوة الصلاة التي تجلب مثل هذه النتائج السلبية، لا يمكن أن تكون من الروح القدس.

تنطبق المبادئ التي وضحناها في هذين المثالين على العديد من الحالات المختلفة في كنائسنا المعاصرة. والدرس الواضح فيها هام جدًا: قوة الصلوات النفسانية حقيقية وخطيرة! والنتائج التي تصدر عنها هي لعنة لا بركة!

وينبغي التعامل مع خطية الصلاة النفسانية بالطريقة نفسها التي نتعامل فيها مع الكلمات النفسانية التي تحدثنا عنها في الفصل السابق، نحتاج إلى أن نتوب وأن نسعى إلى مغفرة الله. وقد نحتاج إلى طلب الصفح من الأشخاص الذين تأثروا بقوة صلواتنا السلبية.

أخيرًا، وللأيام القادمة، علينا أن نرفض بإصرار أي ميل فينا للتشكي على الناس أو السيطرة عليهم من خلال الكلام الذي ننطق به في صلواتنا.

الفصل الخامس عشر

ملخص القسم الثاني

في الفصـول الرابعـه عـشر الماضيـة، تناولنـا أهـم أسـباب اللعنـات كمـا يعلنهـا لنـا الكتـاب المقـدس. ومـن المناسـب أن نختـم هـذا القسـم بملخـص لهـذه الأسـباب.

- الاعتراف بآلهة زائفة و/ أو عبادتها.
- أيُّ ارتباط بالسحر.
- عدم إكرام الوالدين.
- جميع أشكال الظلم والاضطهاد، خاصة تلك الموجَّهة ضد العاجزين والضعفاء.
- جميع الممارسات الجنسية غير المشروعة أو غير الطبيعية.
- الناموسية والجسدية والارتداد.
- السرقة وشهادة الزور.
- الامتناع عن دفع مال الرب أو اغتصاب أية أشياء له.
- الكلمـات التي ينطـق بهـا ذوو السلطان كالأب والأم والزوج والمعلم والكاهن أو الراعي.
- لعنات على الذات.
- العهود والأقسام التي تربط الناس بجمعيات شريرة.
- لعنات من خدَّام الشيطان.
- كلمات نفسانية موجَّهة ضد الآخرين.
- صلوات نفسانية هدفها التشكي على الناس أو السيطرة عليهم.

هنـاك أيضـًا لعنـات مـن مصـادر أخـرى ولأسـباب أخـرى، ذكـرت في الكتـاب المقـدس، لكننـا لـم نوردهـا فـي القائمـة السـابقة. أهـم تلـك اللعنـات في القائمـة

التالية مرتبةً بحسب موقعها في الكتاب المقدس. الكثير من المواضع التي تؤكد على اللعنات المذكورة في تثنية ٢٨ ، ٢٩ لم نرَ حاجةً للإشارة إليها.

من الجدير بالملاحظة أن أكبر فئة من الناس الذين يتعرضون للعنة الله هم من الأنبياء والكهنة والمعلمين المخادعين وغير الأمناء. الحالات التي تخصهم مشار إليها بهذه العلامة (*).

- لعنة على شعب ميروز لأنهم لم يعاونوا باراق قائد جيش الرب ضد سيسرا (قضاة ٥:٢٣).
- لعنة من يوثام على الذين قتلوا أولاد جدعون (قضاة ٩:١٨-٢٠).
- لعنة على إيزابل بسبب سحرها وزناها (٢ملوك ٩:٣٤ - قارن مع ٢ملوك ٩:٢٢).
- لعنة على الرافضين وصايا الله بسبب الكبرياء (مزمور ١١٩:٢١).
- لعنة في بيت الشرير (أمثال ٣:٣٣).
- لعنة على الأرض لأن ساكنيها تعدّوا الشرائع ونكثوا العهد (إشعياء ٢٤:٦).
- لعنة على شعب أدوم بسبب عداوتهم المستمرة لشعب الرب إسرائيل وخيانتهم له (إشعياء ٢٤:٦).
- *لعنة على الأنبياء الكذبة الذين وعدوا بالسلام للشعب المتمرِّد على الله (إرميا ٢٩:١٨).
- *لعنة على الأنبياء الكذبة الذين عملوا أعمالًا قبيحة أمام الرب (إرميا ٢٩:٢٢).
- لعنة على الإسرائيليين الذين نزلوا إلى مصر رغم تحذير الرب (إرميا ٤٢:١٨ - قارن مع إرميا ٤٤:٨-١٢).
- لعنة على أي إنسان لا ينفِّذ دينونة الله على أعداء الله (إرميا ٤٨:١٠).
- *لعنة على بركات الكهنة الذين يرفضون تأديب الرب (ملاخي ٢:٢).
- لعنة على «جداء» الأمم الذين لم يظهروا الرحمة بتلاميذ يسوع (متى ٢٥:٤١).
- لعنة على الناس الذي يُعلِّمون حق الله باستمرار، لكنهم لا ينتجون ثمرًا مناسبًا (عبرانيين ٦:٨).
- *لعنة على المعلمين الكذبة المذنبين بالفسق والخداع والطمع (٢بطرس ٢:١٤).

القسم الثالث

من اللعنة إلى البركة

هل اكتشفت حتى الآن إن كانت حياتك - بطريقة أو بأخرى - تحت لعنةٍ ما؟ أتتساءَل إن كان ثمة طريق ينقلك من هذه الظلمة التي تحجب عنك شمس بركة الله؟

نعم هناك طريق! لكنه طريق واحد فقط: موت يسوع الكفَّاري على الصليب.

في هذا القسم شرح عملي بسيط للكيفية التي تجد فيها طريق الله وتسير عليه منتقلًا من الظلمة إلى النور، من اللعنة إلى البركة.

ولتشجيعك، ستقرأ في الفصل التاسع عشر قصة رجل وجد الطريق من الإحباط واليأس إلى النجاح والثمر. أنت أيضًا يمكنك ذلك.

الفصل السادس عشر

المبادلة الإلهية

تـدور رسـالة الإنجيـل حـول حـدثٍ تاريـخي واحـدٍ فريـدٍ هـو مـوت يسـوع على الصليـب فـداءً وكفَّـارةً لخطايانـا. ويقـول كاتـب الرسـالة إلى العبرانيـين بهـذا الخصـوص:

«**لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ**» (عبرانيين ١٠:١٤).

وهنـا تجتمـع عبارتـان غايـةٌ في القـوة والأهميـة: «**أَكْمَـلَ**»، «**إِلَى الأَبَـدِ**». وهمـا يشـيران إلى ذبيحـةٍ تسـتوعب احتياجـات البـشر جميعًـا، بـل يمتـد تأثيرهـا خـلال الزمـن وعـبر الأبديـة.

وعلى أساس هذه الذبيحة يكتب بولس إلى مؤمني فيلبي قائلًا:

«**فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ**» (فيلبي ٤:١٩).

والعبـارة «كل احتياجكـم» تشـمل كل جانـب مـن جوانـب حياتـك: جسـدك ونفسـك وفكـرك وعواطفـك، كمـا تشـمل احتياجاتـك الماديـة والماليـة. لا شيء صغـيرًا كان أو كبـيرًا يخـرج مـن دائـرة هـذه العطيـة الإلهيـة. فبعمـلٍ سـيادي عظيـمٍ واحـد، جمع الله كل احتياجـات ومعانـاة الإنسـان في لحظـة حاسـمة واحـدة.

لـم يوفـر الله حلـولًا كثيرة متنوعـة لمشـاكل الإنسـان الكثـيرة المتنوعـة، بل قـدَّم لنا حـلًا واحـدًا شـاملًا وكافيًـا فيـه جـواب كل مشـكلة. ربمـا ننتـمي إلى خلفيـات مختلفـة، وكلّ منّـا يعـاني مـن عـبء حاجتـه الشـخصية، لكـن لـكي نقبـل الحـل الإلـهي، علينـا جميعًـا أن نتوجّـه إلى المـكان نفسـه، إلى صليـب الـرب يسـوع.

السجل الأكثر دقة لما تمّ على الصليب نجده في سفر إشعياء المكتوب قبل ٧٠٠ عام من حادثة الصلب. ففي إشعياء ١٠:٣٥ نرى «عبدَ الرب» الذي يُقدَّم إلى الله كذبيحة خطية. ويُجمع كُتَّاب العهد الجديد على أنَّ ذلك «العبد» غير المُسمَّى هو في الحقيقة «يسوع». أمَّا الهدف الإلهي الذي حققه بذبيحته فيلخَّص في إشعياء ٦:٥٣:

«كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا.
مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ،
وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ
إِثْمَ جَمِيعِنَا.»

هذه هي المشكلة الكونية للإنسان: لقد ملنا كل واحدٍ إلى طريقه. هناك عدة خطايا لم يقترفها الكثيرون منَّا، كالقتل مثلًا وربما الزنا أو السرقة وغيرها، لكن هناك شيئًا واحدًا مشتركًا بين الجميع: **ملنا إلى طريقنا**. وبعملنا هذا، أدرنا ظهورنا لله. الكلمة العبرية التي تلخص هذا كله هي «عاوِنْ» وقد تُرجمت في النص السابق بالكلمة «إثم» وربما تكون الكلمة الأقرب إلى الأصل في لغتنا المعاصرة هي «عصيان» أو «تمرد» ليس ضد إنسان بل ضد الله نفسه.

لكن لا الكلمة «إثم» ولا «عصيان» أو «تمرد» تكفي للتعبير عن معنى «عاوِنْ». ففي الكتاب المقدس، لا تصف «عاوِنْ» الإثم بمعناه المجرد لكنها تشير أيضًا إلى معنى العقاب أو نتائج الشر التي يحملها الإثم في ثناياه.

فمثلًا في تكوين ١٣:٤ وبعد أن أعلن الله حكمه على قايين لقتله أخاه، قال قايين:

«ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ»

وترد الكلمة «ذنبي» في الترجمات الأحدث «عقوبتي» أو «عاقبتي» (انظر ترجمات أخرى للكتاب المقدس). فما هو أصل الكلمة في العبرية؟ إنه «عاوِنْ»، فهي كلمة لا تشمل ذنب قايين فحسب بل وعقاب ذلك الذنب أيضًا.

وفي لاويين ١٦:٢٢، قال الرب بخصوص التيس الذي يُطلَق في البرية:

«لِيَحْمِلَ التَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ ...»

فـفي هـذه الصـورة الرمزيـة لا يحمـل التيـس ذنـوب الإسرائيليـين فحسـب، بـل ونتائـج تلـك الذنـوب.

أمّـا في مـراثي إرميـا والأصحـاح الرابـع فتـأتي الكلمـة «عاوِنْ» مرتـين بمعـنى واحـد: فـفي العـدد ٦ « ...**عِقَـابُ بِنْـتِ شَـعْبِي**...» ثـم في العـدد ٢٢: «**سَـيُعَاقِبُ إِثْمَـكِ يَـا بِنْـتَ أَدُومَ**...» ويـأتي العـدد ٦ في الترجمـة التفسـيرية (كتـاب الحيـاة): «عقـاب إثـم ابنة شـعبي». فالكلمـة الواحـدة «عاوِنْ» تُرجمـت إلـى عبـارةٍ مـن كلمتـين هي «عقـاب الإثـم». بمعـنى آخـر، «عاوِنْ» بمعناهـا الكامـل لا تشـير إلـى «الإثـم» المجـرد بـل تتضمـن كل النتائـج الشريـرة الـتي تجلبهـا دينونـة الله على الإثـم.

وهـذا ينطبـق على ذبيحـة يسـوع على الصليـب. فلـم يكـن يسـوع مذنبًـا بأيـة خطيـة. يقـول النـبي في إشـعياء ٩:٥٣:

«... لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ.»

لكن العدد ٦ يقول:

«وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ (عاوِنْ) جَمِيعِنَا.»

فلـم يحمـل يسـوع إثمنـا فحسـب، بـل تحمَّـل كل النتائـج الشريـرة لذلـك الإثـم. ومثـل ذلـك التيـس الذي صـورهُ العهـد القديـم قبـلًا، حمـل يسـوع الإثـم ونتائجـه بعيـدًا حـتى لا يكـون لهـا إلينـا رجـوع أبـدًا.

هـذا هـو المعـنى والهـدف الحقيقيـان للصليـب، فعليـه تمـت المبادلـة العظـمى الـتي أعدهـا الله. أولًا، تحمَّـل يسـوع بـدلًا منَّـا جميـع النتائـج الشريـرة الـتي أعلنتهـا العدالـة

الإلهية على إثمنا. وبالمقابل، يقدِّم لنا الله كل صلاحٍ تستحقه طاعة يسوع المنزهة عن الخطية.

باختصار أكثر، الشر الذي نستحقه وُضِع على يسوع، وبالمقابل الخير الذي يستحقه يسوع مُقدَّمٌ لنا. ويقدر الله على تقديم ذلك لنا من دون أن يساوم على عدالته الأزلية الأبدية، لأن يسوع تحمَّل بدلًا منّا كل عقاب عادل تستحقه آثامنا.

كل هذا ينبع من نعمة الله التي لا تُفسر أعماقها، ولا تُقبَل إلا بالإيمان وحده. لا تفسير منطقيًا لذلك على أساس مبدأ السبب والنتيجة. فليس بيننا من عَمِل شيئًا يستحقُّ بسببه هذه النعمة، وليس بيننا من يستطيع أن يعمل شيئًا على الإطلاق لكي يكتسبها.

وتعلن الكلمة المكتوبة عدة جوانب مختلفة لهذه المبادلة، كما تعلن عدة مجالات مختلفة تنطبق عليها. لكن في كل الحالات هناك مبدأ واحد ثابت: **وُضِعَ الشر على يسوع، لكي يُقدِّمَ لنا الخير.**

وأول جانبين من جوانب المبادلة نجدهما في إشعياء ٥٣:٤-٥:

«لكِنَّ أَحْزَانَنَا (أو أمراضنا) **حَمَلَهَا،**
وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا.
وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا
مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً.
وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا،
مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا.
تَأْدِيبُ (عقاب) **سَلاَمِنَا عَلَيْهِ،**
وَبِحُبُرِهِ (جراحه) **شُفِينَا.»**

نحن هنا أمام نسيج مترابطٍ من الحقائق، فبينما ينطبق وعدٌ على ما هو روحي،

يشير آخر إلى ما هو طبيعي. ففي الخطة الروحية، حمل يسوع العقاب الذي تستحقه معاصينا وآثامنا، لكي يكون لنا بالمقابل غفران وسلام مع الله (انظر رومية ١:٥). وفي المخطط الطبيعي (المادي)، تحمَّل يسوع أمراضنا وأوجاعنا لكي يكون لنا شفاءٌ بجراحه.

التطبيق الطبيعي لهذه المبادلة نجده مؤكدًا في موضعين في العهد الجديد: متى ١٦:٨-١٧ يشير إلى إشعياء ٤:٥٣ ويقول عن يسوع:

«... جَمِيعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ:"هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا"».

وفي ١بطرس ٢٤:٢، يشير الرسول إلى إشعياء ٥:٥٣-٦ قائلًا إنَّ يسوع:

«... حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ (جراحه) **شُفِيتُمْ.»**

المبادلة المزدوجة الموصوفة أعلاه يمكن تلخيصها فيما يلي:

عوقب يسوع لكي يُغفَر لنا.

جُرح يسوع لكي نُشفى.

جانبٌ آخر من المبادلة نجده في إشعياء ١٠:٥٣ حيث نرى أنَّ الله جعل «نفس» يسوع «ذبيحة إثم». وينبغي فهم هذه الحقيقة في ضوء الطقوس الموسوية المتعلقة بأشكال ذبائح الإثم. فالرجل الذي يخطئ كان عليه أن يقدم للكاهن قربانًا (ذبيحة) من الخراف أو الغنم أو العجول أو غيرها من الحيوانات، ثم يعترف بخطيته فوق الذبيحة، فيقوم الكاهن - رمزيًا - بنقل الخطية المعترَف بها من الإنسان إلى الحيوان. ثم يذبح ذلك الحيوان كأنما هو يدفع أجرة الخطية التي انتقلت إليه.

وبحسب علم الله السابق، كانت كل هذه الطقوس إشارة لما ينبغي أن يتم من خلال ذبيحة يسوع النهائية الكافية الوافية. فعلى الصليب، انتقلت آثام العالم كله إلى «نفس» يسوع. والنتيجة في إشعياء ٥٣:١٢:

«سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ»

فبموته النيابي المُضحّي صنع يسوع كفَّارةً لخطايا البشر جميعًا.

وفي ٢كورنثوس ٥:٢١ يشير بولس إلى إشعياء ٥٣:١٠، وفي الوقت نفسه يقدِّم الجانب الإيجابي من المبادلة:

«لأَنَّهُ (الله) جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ.»

ولا يتحدث بولس هنا عن أي نوع من البرّ نستطيع تحقيقه بمجهودنا، بل يتحدث عن برّ الله نفسه، البر الذي لم يعرف خطية قط، وما من أحد فينا يستطيع أن يكتسب هذا البرّ بنفسه، فهو برّ يعلو عن برّنا الذاتي علوّ السماء عن الأرض، ولا يمكن قبوله إلا بالإيمان وحده.

فالجانب الثالث من جوانب المبادلة يمكن تلخيص بما يلي:

جُعل يسوع خطيةً بخطيتنا لكي نتبرّر نحن ببرّه.

الجانب التالي من المبادلة هو استكمال منطقي للجانب السابق. فالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يؤكد أنَّ النتيجة النهائية للخطية هي الموت. يقول الرب في حزقيال ١٨:٤:

«اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ.»

وفي يعقوب ١:١٥ يقول الرسول:

«الْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا.»

فعندما صار يسوع خطيةً بخطيتنا، صار من المحتم أن يذوق الموت الذي هو نتاج الخطية.

وتأييدًا لذلك، يقول كاتب العبرانيين في ٢:٩ من السفر:

«الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ.»

فموت يسوع كان نتيجةً حتميةً لخطية الإنسان التي حملها. لقد تحمَّل خطية الناس جميعًا، فمات الموت الذي يستحقونه. بالمقابل، يقدِّم يسوع عطية الحياة الأبدية لكل من يقبل ذبيحته النيابية. وفي رومية ٢٣:٦ يضع بولس طرفي هذه المبادلة جنبًا إلى جنب:

«لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ (غير المستحقة) فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.»

إذًا الجانب الرابع من المبادلة نلخصه فيما يلي:

مات يسوع موتنا لكي نقبل نحن حياته.

جانب آخر للمبادلة الإلهية العظمى نجده في ٢ كورنثوس ٩:٨:

«فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ.»

والمقايضة هنا واضحة بين الفقر والغنى، افتقر يسوع لكي نصبح نحن أغنياء.

متى صار يسوع فقيرًا؟ يحب بعض الناس أن يصوروه فقيرًا أثناء خدمته على الأرض، لكن هذه الفكرة ليست دقيقة. ربما لم يكن يحمل الكثير من النقود في جيبه، لكنه لم يكن في وقتٍ من الأوقات في عوزٍ لشيء مما يحتاج. وعندما

أرسل تلاميذه للكرازة، لم يعوزهم شيء أيضًا (انظر لوقا ٣٥:٢٢). بل على العكس من ذلك، كان من المتعارف عليه أنَّ يسوع وتلاميذه يعطون المال للفقراء (انظر يوحنا ٤:١٢-٨، ٢٩:١٣).

نعم، ربما كان يسوع يستخدم أحيانًا أساليب غير تقليدية لتوفير المال، لكن قيمة المال هي هي إن أخذته من المصرف أو التقطته من فم سمكة (انظر متى ٢٧:١٧). وربما كانت أساليبه في توفير الطعام غير تقليدية أحيانًا، لكن رجلًا يستطيع أن يقدم وجبة دسمة لـ ٥٠٠٠ رجل عدا النساء والأطفال، لا يمكن اعتباره فقيرًا بالمعايير الطبيعية (انظر متى ١٥:١٤-٢١).

والواقع أنَّ يسوع، خلال خدمته على الأرض، كان يصلح تمامًا كمثالٍ على «الفيض» الذي عرَّفناه في الفصل الخامس. فقد كان لديه دائمًا كل ما يحتاج إليه من أجل تتميم إرادة الله في حياته. فوق ذلك، كان يسوع يعطي الآخرين باستمرار، دون أن ينضبَ نبعُ عطائه.

إذًا متى افتقر يسوع من أجلنا؟ الجواب: على الصليب. لقد لخّص موسى سِمات الفقر المطلق في سفر التثنية ٤٨:٢٨، وهي «**جُوعٍ وَعَطَشٍ وَعُرْيٍ وَعَوَزِ كُلِّ شَيْءٍ**» وهو ما اختبره يسوع إلى أقصى حدود على الصليب.

كان جائعًا، لم يأكل مدةً تقارب يومًا كاملًا.

كان عطشانًا، ومن عباراته التي قالها على الصليب: «**أَنَا عَطْشَانُ**». (يوحنا ٢٨:١٩).

كان عاريًا، بعد أن نزع الجنود عنه ثيابه (يوحنا ٢٣:١٩).

كان معوزًا لكل شيء، لم يعد لديه ما يملكه، حتى أنه لمَّا مات، كُفِّن بكتانٍ ودُفِن في قبرٍ ليس له (لوقا ٥٠:٢٣-٥٣). وهكذا نجد أن يسوع اختبر الفقر إلى أقصى حدوده من أجلنا.

في ٢ كورنثوس ٨:٩ يوضح بولس الطرف الإيجابي من هذه المبادلة بطريقة أكمل:

«وَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ (يفيض عليكم) **كُلَّ نِعْمَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزْدَادُونَ** (تفيضون) **فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ.»***

ويحرص بولس على تأكيد دور **نعمة الله** باعتبارها الأساس الأوحد لهذه المبادلة. فذلك ليس شيئًا نستطيع اكتسابه مطلقًا، بل يمكن فقط قبوله بالإيمان.

وكثيرًا ما سيكون هذا «الازدياد» أو «النقص» مشابهًا لما اختبره يسوع نفسه على الأرض. ربما لن نحمل قدرًا كبيرًا من النقود في جيوبنا. وربما ليس لدينا أرصدة هائلة في المصارف، لكننا، يومًا بعد يوم، سنكون مكتفين ولدينا ما يسد احتياجاتنا، وأحيانًا أكثر من احتياجاتنا لكي نعطي الآخرين.

ومن الأسباب المؤيدة لهذا المستوى من النعمة ما تشير إليه كلمات يسوع نفسه المقتبسة في أعمال ٣٥:٢٠:

«مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ.»

فهدف الله أن يتمتع أولاده بالغبطة (أو البركة) الأعظم، لذلك هو يوفر لنا ما يغطّي احتياجاتنا ويزيد، لكي نعطي الآخرين.

فالجانب الخامس من المبادلة هو:

تحمّل يسوع فقرنا لكي نشاركه في فيض غناه.

كما تشمل المبادلة العظمى على الصليب الآلام والمعاناة العاطفية الناشئة عن إثم الإنسان. وفي هذا المجال أيضًا، تحمّل يسوع الشر لكي نتمتع نحن بالخير. ومن أكثر الجروح التي أصابتنا بسبب إثمنا: الخجل والرفض. وكلاهما وُضِعا على يسوع فوق الصليب.

ويتراوح الخجل في خطورته بين الحرج الشديد وبين الشعور المُذِّل بعدم الأهمية. ذلك الشعور الذي يقطع الإنسان عن أية شركة ذات معنى، إن كان مع الله أو مع الناس. ومن أكثر أسباب هذه الحالة شيوعًا بعض أشكال الإساءة أو التحرش الجنسي في فترة الطفولة، والتي تزداد تفشيًا في مجتمعاتنا المعاصرة. وغالبًا ما تترك هذه التجارب آثارًا غائرةً لا يمكن شفاؤها إلا بنعمة الله.

يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين مشيرًا إلى يسوع على الصليب: «... **احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ** (الخجل)» (عبرانيين ١٢:٢). فالإعدام بالصلب كان أكثر أشكال الإعدام إثارةً للخزي والخجل، وكان يُستخدم لأدنى طبقةٍ من المجرمين. كان يتم تجريد المحكوم عليه بالصلب من ثيابه كلها ويُعرض عاريًا امام عيون المارِّين التي تحدِّق به بسخريةٍ واستهزاء. هذه هي درجة الخزي التي تحمَّلها يسوع عندما كان معلَّقًا هناك على خشبة الصليب (متى ٢٧:٣٥-٤٤).

فعوضًا عن الخزي الذي تحمَّله يسوع، يريد الله أن يجعل أولئك الذين يثقون بيسوع يشاركونه في مجده الأبدي. يقول الكتاب في عبرانيين ٢:١٠:

«**لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ** (أي الله) ... **وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ** (أي يسوع) **بِالآلاَمِ.**»

فالخزي الذي تحمله يسوع على الصليب، فتح الطريق أمام كل من يؤمن به لكي يتحرر من خزيه. وليس ذلك فقط، بل سيجعلنا بعد ذلك شركاء في المجد الذي هو حقه الأزلي.

وهناك جرحٌ آخر يكون في الغالب أشد إيلامًا من الخزي والخجل هو الرفض. وعادة ما ينشأ الرفض من أحد أشكال العلاقات المحطمة. ويكون في بداياته ناتجًا عن الآباء والأمهات الذي يرفضون أطفالهم. وقد يكون الشعور بالرفض ناشطًا فيتم التعبير عنه بطرائق سلبية خشنة، أو قد يكون التعبير عنه مجرد عدم القدرة على إظهار المحبة والقبول. وإذا راعت امرأة حامل مشاعر سلبية

تجاه جنينها، فالأغلب أن يولد طفلها حاملًا لمشاعر الرفض التي تمكث فيه إلى أن يكبر، وربما إلى أن يموت!

الانفصال الزوجي سببٌ آخر شائع للرفض، وتصوِّر كلمات الرب في إشعياء ٥٤:٦ هذه الحالة بطريقةٍ معبِّرة:

«لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ دَعَاكِ الرَّبُّ،
وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا إِذَا رُذِلَتْ، قَالَ إِلهُكِ.»

أمَّا العلاج الإلهي الذي وفره الله لجرح الرفض فنجده في متى ٢٧:٤٦، ٥٠، حيث يصف ذروة ما عاناه يسوع من كَرْبٍ وألم.

«وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: "إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟"، أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ ... فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ.»

ولأول مرة في تاريخ الكون، يصرخ ابن الله إلى الآب ولا يتلقى أي جواب! لقد تطابق يسوع مع إثم البشر تمامًا، حتى أن قداسة الله التي لا تُحابي جعلته يرفض ابنه الوحيد. هكذا تحمَّل يسوع الرفض في أقسى أشكالِهِ وأشنعها، وأشنع أشكاله فقد رُفض من الله الآب نفسه. بعد ذلك مباشرةً، مات يسوع، لا من جراح الصلب بل من انكسار قلبه بسبب الرفض والخزي! وهكذا تم الصورة النبوية عن المسيا في مزمور ٦٩:٢٠:

«الْعَارُ قَدْ كَسَرَ قَلْبِي.»

ويتابع متى بعد ذلك مباشرةً فيقول:

«وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ ...»

وهذا إعلان رمزي يشير إلى أنَّ الطريق باتت مفتوحة للخطاة لكي يدخلوا إلى

شركة مباشرة مع الله القدوس. إنَّ رفض يسوع، فتح لنا الباب لنصير مقبولين عند الله كأبناء وبنات له. وهذا ما يلخصه بولس في أفسس ١:٥-٦:

«إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ.»

ويأتي القسم الأخير من هذه العبارة في الترجمة التفسيرية (كتاب الحياة) كما يلي:

«... التي بها أعطانا حُظوةً لديه في المحبوب.»

والحظوة هنا بمعنى «القبول» (عكس الرفض). وهي الكلمة التي تستخدمها أيضًا ترجمة الملك جيمس الإنجليزية:

"He has made us accepted in the Beloved (KJV)"

أي «هو جعلنا مقبولين في المحبوب». فرفضُ يسوع أدى إلى قبولنا.

ولم يكن الإنسان في يومٍ من الأيام محتاجًا إلى علاج إلهي للخجل والرفض كما هو محتاج إليه اليوم! وأُقدِّر أنَّ ما لا يقلُّ عن ربع الناس البالغين من سكان العالم اليوم يعانون من جروح الخجل أو الرفض. وفرحي لا يُقاس إذ تتاح لي فرصة توجيه مثل أولئك الناس إلى الشفاء النابع من صليب يسوع.

لقد حللنا فيما سلف الجانبين المتعلقين بالعواطف في مبادلة الصليب المعظمى. وفيما يلي ملخص لهما:

تحمل يسوع خزينا لكي نشاركه في مجده.

تحمل يسوع رفضنا لكي نحظى بالقبول عند الآب.

الجوانب التي حللناها حتى الآن بخصوص المبادلة التي تمت على الصليب،

تغطي بعض أهم الاحتياجات الإنسانية المُلحة، لكننا لا نستطيع أن نحيط بالتحليل كل الجوانب بلا استثناء. والواقع أنَّ كل احتياج ناشئ من تمرّد الإنسان وعصيانه، مشمول في مبدأ المبادلة الذي أكّدناه: وُضِع الشر على يسوع، لكي يُقدِّم لنا الخير. فإذا تعلمنا كيفية تطبيق هذا المبدأ في حياتنا، وصلت نعمة الله إلى كل احتياجاتنا.

والآن عليك أن تتمسك بهذا المبدأ نفسه لسدِّ احتياج هام في حياتك: التحرير من اللعنة. ويصف بولس المبادلة المتعلقة بهذا في غلاطية ٣:١٣-١٤:

«اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: "مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ". لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ».

يطبِّق بولس على يسوع المصلوب تشريعًا مقررًا في تثنية ٢١:٢٣، حيث يصبح الإنسان الذي يعدم مُعلَّقًا على خشبة (شجرة) تحت لعنة الله. ثم يشير بولس إلى النتيجة المعاكسة: البركة.

ولا يحتاج الأمر إلى لاهوتي لتحليل هذا الجانب من المبادلة:

صار يسوع لعنة لكي ندخل نحن إلى البركة.

وتُوصَف اللعنة التي حملها يسوع بأنها «لعنة الناموس». وهي تشمل جميع اللعنات التي ذكرها موسى في تثنية ٢٨، والتي أشرنا إليها في الفصل الرابع. جميع هذه اللعنات حلَّت على يسوع بأعظم مقياس ممكن. وهكذا فتح يسوع لنا الباب لكي نحصل على التحرير الكامل وندخل إلى ملء البركة بأعظم مقياس.

حاول للحظات أن تتخيل يسوع معلقًا هناك على الصليب، عندها فقط تستطيع أن تدرك أيَّ رعبٍ يتضمنه الصليب.

لقد رفضه أقرباؤه وخانه أحد تلاميذه بينما تركه الآخرون (مع أنَّ بعضهم عاد

يراقب نزعاته الأخيرة!) لقد تمَّ تعليقه عاريًا بين الأرض والسماء، محطَّمَ الجسد بفعل جراح بلا عدد، مذلولَ النفس تحت وطأة آثام العالم أجمع. رفضته الأرض، ولم تستجبْ لصراخه السماء. وما أن سحبت الشمس ضياءها وغطَّته الظلمة، حتى انسكبت دماء حياته مختلطةً بالحصى والتراب. وللحظة، وقبل أن يلفظ النفس الآخير، خرجت صرخة انتصار عظيمة من وسط الظلام: «قد أُكمِل!»

في النص اليوناني، أصل هذه العبارة «قد أكمل» هو كلمة واحدة في صيغة الفعل التام لفعلٍ يعني «أن تجعل شيئًا كاملًا أو تامًا» وهكذا يمكن ترجمتها إلى الصيغة «قد تمَّ تمامًا».

لقد قبل يسوع على نفسه كل النتائج الشريرة التي يستحقها الإنسان بسبب عصيانه. لقد تحمَّل كل لعنةٍ من لعنات الناموس المكسور. وكل ذلك لكي يكون لنا بالمقابل إمكانية قبول كل البركات التي تستحقها طاعة يسوع. إنها تضحية مذهلة عجيبة في مداها، مدهشة رائعة في بساطتها.

هل قبلت بالإيمان كل ما تتضمنه ذبيحة يسوع وكل ما وفره من أجلك؟ وبشكل خاص، إن كنت تعيش تحت لعنة، هل بدأت ترى أن يسوع قد وفَّر لك كل نعمةٍ للتحرير، إذ دفع تكلفة ذلك كله بنفسه؟

إن كان كذلك، هناك تجاوب بسيط واحد عليك أن تعلنه، وهو أبسط وأنقى تعبير عن الإيمان الحقيقي، قل: «شكرًا يا رب!» افعل ذلك حالًا! قل: «شكرًا، شكرًا لك يا رب يسوع من أجل كل ما فعلته لي. أنا لا أفهم تمامًا، لكنني مؤمن به وشاكر.»

استمر بالشكر بكلماتك الخاصة. فكلما شكرت الرب أكثر، ازداد إيمانك بما عمله من أجلك. وكلما ازداد إيمانك، ازدادت رغبتك بتقديم المزيد من الشكر.

الشكر هو أول خطوات التحرير.

* المزيد عن هذا العدد الكتابي في الفصل الخامس ص(٣٩).

الفصل السابع عشر

سبع خطوات نحو التحرير

هنـاك أسـاس واحـد - وواحـد فقـط - فيـه كل الكفايـة، وبنـاءً عليـه ننـال كل مراحـم الـرب وإحسـاناته. وهـذا الأسـاس هـو المبادلـة الـتي تمـت على الصليـب. في الفصـل السـابق، تطرقنـا إلى ثمانيـة جوانـب مـن هـذه المبادلـة وهي:

١) **عوقب** يسوع لكي **يُغفر لنا.**

٢) **جُرح** يسوع لكي **نُشفى.**

٣) جُعِل يسوع **خطية بخطيتنا** لكي **نتبرر** نحن **ببره.**

٤) مات يسوع **موتنا** لكي نقبل نحن **حياته.**

٥) تحمَّل يسوع **فقرنا** لكي نشاركه في **فيض غناه.**

٦) تحمَّل يسوع **حزننا** لكي نشاركه في **مجده.**

٧) تحمَّل يسوع **رفضنا** لكي **نحظى بالقبول** عند الآب.

٨) صار يسوع **لعنةً** لكي ندخل نحن إلى **البركة.**

وهي قائمـة غـير كاملـة، فهنـاك جوانـب أخـرى للمبادلة يمكـن إضافتهـا. لكنها جميعًـا مظاهـر مختلفـة للنعمـة التي أجزلهـا لنـا الله من خلال ذبيحة يسوع. ويلخص الكتـاب المقـدس كـل هـذه المظاهـر بكلمـة واحـدة شـاملة: «**الخـلاص**». كثيـرًا مـا يحصـر المؤمنـون الخـلاص في اختبـار غفـران الخطايـا والـولادة الجديدة. ورغـم روعـة هـذا الاختبـار، إلا أنـه الجـزء الأول فقـط مـن الخـلاص الكامـل المعلـن في العهـد الجديـد.

المجـال الكامـل لمفهوم «الخلاص» مبهمٌ - جزئيًا على الأقل - بسبب مشاكل الترجمة. ففي النص اليوناني الأصلي للعهد الجديد، الفعل «sozo» (يترجم عادة إلى «يُخلِّص») في عدة مواقع مختلفة يعبر عن أكثر من مجرَّد اختبار غفران الخطايا. فهو مستخدم - مثلًا- في حالات كثيرة لوصف الشفاء الجسدي لبعض الناس[١١]. وكذلك في تحرير شخصٍ من الأرواح الشريرة[١٢]. وفي معجزة عودة ميت إلى الحياة[١٣]. وفي قصة لعازر، يستخدم الفعل «sozo» لوصف الشفاء من مرضٍ مميت[١٤]. وفي ٢تيموثاوس ١٨:٤ يستخدم بولس الفعل نفسه لوصف حفظ الله لنا وحمايته إيانا من الشر، الأمر الذي يمتد طوال الحياة.

فعمل الخلاص الكامل يشمل كل جوانب كيان الإنسان. ويجمل بولس ذلك بطريقة بارعة في صلاته في ١تسالونيكي ٢٣:٥:

«وَإِلهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ. وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.»

فالخلاص يشمل شخصية الإنسان كلها - الروح والنفس والجسد. ولا يتمُّ ذلك إلا بقيامة الجسد عند مجيء المسيح. ولا أحد يختبر جميع جوانب الخلاص لحظيًا أو من خلال مرحلة انتقالية حاسمة، بل الطبيعي أن يتقدم الإنسان من مرحلة إلى أخرى. كثيرون هم المؤمنون الذين لا يتقدمون ولا حتى خطوةً واحدة بعد اختبار غفران خطاياهم، فهم غير مدركين للإحسانات الأخرى الكثيرة المتوفرة لهم مجانًا.

أما الترتيب الذي يحصل الإنسان وفقه على جوانب الخلاص المختلفة، فمتروك لسيادة الله الذي يتعامل مع كل واحد منا على انفراد. وغالبًا ما تكون نقطة البداية هي غفران الخطايا، لكن ليس دائمًا. فأثناء خدمة يسوع على الأرض، كان الأغلب أن يختبر الناس الشفاء الجسدي أولًا وبعد ذلك مغفرة الخطايا.

---

(١١) متى ٢١:٩-٢٢؛ ٣٦:١٤؛ مرقس ٢٣:٥، ٢٨، ٣٤؛ ٥٦:٦؛ ٥٢:١٠ لوقا ٤٨:٨؛ أعمال ٩:٤؛ ٩:١٤؛ يعقوب ١٥:٥

(١٢) لوقا ٣٦:٨

(١٣) لوقا ٥٠:٨

(١٤) يوحنا ١٢:١١

ويمكن أن يحدث هذا اليوم. في عام ١٩٦٨، كانت زوجتي روث ما تزال عزباء، وكانت يهودية ملتزمة. مرضت ذلك العام ورقدت في السرير عدة أسابيع. ثم زارها يسوع زيارةً معجزية في غرفتها، شفيت على إثرها تمامًا. لكنها لم ترَ حاجتها إلى غفران خطاياها إلا بعد سنتين من تلك الحادثة، وعندئذٍ فقط وُلِدت من الله واختبرت خلاص المسيح.

عندما نتقدم من الله على أساس ذبيحة المسيح لأجلنا، علينا أن نكون حساسين لقيادة الروح القدس. لا نستطيع فرض أولوياتنا على الله، لكن علينا أن نترك له المجال لكي يعمل بحسب الترتيب الذي يحسن في عينيه. يصمم شخص ما مثلًا على السعي إلى الغنى المادي، بينما أولوية الله بالنسبة له هي البر. فإذا أصرَّ على طلب المال قبل البر، قد يَحرم نفسه من كليهما.

أو قد يسعى أحدهم إلى الشفاء الجسدي غير عالمٍ أن أصل مرضه هو مشكلة داخلية في عواطفه - كالرفض أو الحزن أو الشعور بعدم الأمان. وهكذا يتحرك الله فيه من أجل الشفاء الداخلي الذي يحتاج إليه. فإن لم يفتح ذلك الشخص نفسه لعمل الرب، بل واصل تضرعه من أجل الشفاء الجسدي فحسب، فقد لا يحصل في نهاية الأمر على أي شفاء لا جسديًا ولا عاطفيًا.

يريد الله أحيانًا أن يعلن لنا مرحلةً من مراحل الخلاص تكون هي الحاجة الأكثر إلحاحًا، لكننا لا ندرك ذلك. وهذا ينطبق بشكل خاص على نعمة الله لتحريرنا من اللعنة. كثيرًا ما تكون اللعنة في حياة أحدهم هي الحاجز الخفي الذي يحرم ذلك الشخص من التمتع بالمزيد من نِعَمِ الخلاص. والطبيعي أنه يجب التعامل أولًا مع ذلك الحاجز قبل السعي إلى سدِّ الحاجات الأخرى.

وهذا ما سنركز عليه الآن: المبادلة الإلهية من اللعنة إلى البركة. ونجد أنفسنا هنا أمام حالة مشابهة لتلك التي أعلنها موسى أمام الإسرائيليين وهم يتأهبون لدخول أرض كنعان:

«أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا ...» (تثنية ٣٠:١٩).

كان الأمر غايةً في الهيبة والجلال، وكانت نتائجه بعيدة المدى إلى أبعد الحدود، مما جعل موسى يدعو السماء والأرض لتشهدا على تجاوب إسرائيل.

كانت الخيارات واضحة: الحياة والبركة، أو الموت واللعنة. وقد طلب الله من الشعب أن يختاروا لأنفسهم، داعيًا إياهم إلى اختيار الأفضل: الحياة والبركة. لكن الله لن يختار لهم، بل إنه يذكرهم أيضًا بأن خيارهم لن يؤثر على حياتهم فقط، لكن على حياة نسلهم أيضًا. وهذا ما بيّنا سابقًا أنه ميزة من ميزات البركات واللعنات، فهي تمتد وتنتقل من جيل إلى آخر.

ما اختبره الشعب ذلك اليوم، حدد مصيرهم. وهذا صحيح اليوم أيضًا. فالله يضع أمامنا الخيارات نفسها تمامًا: الحياة والبركة أو الموت واللعنة، ثم يترك لنا الخيار. وكالشعب القديم، فإننا نحدد مصيرنا بحسب الخيار الذي نريد. بل وقد يؤثر اختيارنا اليوم على مصير أولادنا غدًا.

أتذكر المرة الأولى التي وجدت نفسي فيها أمام كلمات موسى هذه. وإذ أدركت أن الله يطلب مني استجابة شخصية، شعرت برهبةٍ وخشوع شديدين! الله ينتظر مني أن أختار! لم يكن بإمكاني أن أتهرب من ذلك الموقف. والواقع أن عدم الاختيار، يعادل الاختيار الخاطئ تمامًا.

وأنا أشكر إلهي الذي أعطاني نعمةً لكي أختار الخيار الصحيح. وطوال السنوات التي مضت منذ ذلك الحين، لم أندم يومًا على اختياري. وبدأ الله بعد ذلك يعلن لي الأبعاد العملية لاختياري ذاك. لقد دخلت بابًا يقود إلى مسيرة إيمانٍ وطاعةٍ، تتواصل مدى الحياة وبلا رجوع!

وكل من يرغب بالعبور من اللعنة إلى البركة، عليه أن يدخل هذا الباب نفسه. أولًا، ينبغي أن تدرك بوضوح ماهية الخيارات التي يضعها الله أمامك. ثم عليك أن تعلن تجاوبًا إيجابيًا بسيطًا: «يا رب، بناءً على كلمتك، أنا أرفض الموت واللعنة وأختار الحياة والبركة.»

فإن اتخذنا هذا القرار، لنا أن نستمر في سعينا إلى التحرر من أية لعنات على حياتنا. فما هي الخطوات التي تقودنا إلى التحرير؟ ليس هناك نمطٌ ثابت ينبغي أن يطبقه الجميع. لكن

بشكل عام، وجدت أن المراحل السبع التالية مفيدة جدًا في قيادة الناس إلى نقطة التحرير.

قد يهمك هذا الموضوع من منظور اهتمامك بمساعدة الآخرين أو تقديم المشورة لهم. لكن لكي تحصل على الفائدة الكاملة، أنصحك بأن تتخيل نفسك في مكان الشخص الذي يحتاج إلى تحرير. فإذا فعلت ذلك، ربما تكتشف أنه مكانك المناسب!

١) أعلن اعترافك بالإيمان في المسيح وبذبيحته الكفّارية لأجلك:

في رومية ١٠:٩-١٠، يعلن بولس شرطين أساسيين للانتفاع بذبيحة المسيح: **الإيمان** بالقلب بأن الله أقام يسوع من الأموات، و**الاعتراف** بالفم بأنه هو الرب. ولا يكون الإيمان القلبي فعّالًا تمامًا إلى أن يُكمَّل بالاعتراف بالفم.

والكلمة «يعترف» تعني في الأصل «أن يقول الشيء نفسه.» وفي سياق الإيمان الكتابي، يعني الاعتراف أن تقول بفمك الشيء نفسه الذي يقوله الله في كلمته. ويُدعى يسوع في عبرانيين ٣:١ «رئيس كهنة اعترافنا.» فعندما نعلن الاعتراف الروحي الصحيح من جهة المسيح، فإن ذلك يُفعِّل خدمته الكهنوتية لأجلنا.

ولكي نقبل العطايا التي توفرها لنا ذبيحة المسيح، علينا أن نجعل اعترافنا شخصيًا ومحددًا، كأن نقول:

"يا رب يسوع، أنا أؤمن أنك أنت ابن الله والطريق الوحيد إلى الله، وأنك متَّ على الصليب من أجل خطاياي ثم قمت ثانية من الأموات."

٢) تُبْ عن كل عصيان وعن كل خطية:

ربما تكون عوامل خارجية كثيرة - ربما تعود إلى أجيال سابقة - ساهمت بجلب اللعنة على حياتك. مع ذلك، فإن جذر جميع مشاكلك يكمن فيك أنت. ويمكن اختصار ذلك بكلمة واحدة «عاون» والتي ذكر أنَّ معناها «عقاب الإثم». إنه موقفك المتمرد على الله والخطايا الناتجة عن ذلك. وعليه، ينبغي أن تقبل المسؤولية الشخصية عن حالتك مهما كانت.

وقبل أن تنال رحمته، يطالبك الله بالتوبة. وهذا قرار طوعي تتخذه أنت، حيث تتراجع عن عصيانك وتسلِّم نفسك لما يريده الله دون تحفظ. الشخص الذي يتوب حقًا، لا يعود يتجادل مع الله!

وليس في العهد الجديد ما يفتح المجال لإيمانٍ يهمل التوبة. عندما جاء يوحنا المعمدان ليمهد الطريق أمام يسوع، كانت الكلمة الأولى في رسالته «**تُوبُوا**»! (متى ٣:٢). وعندما بدأ يسوع خدمته العلنية فيما بعد، بدأ من حيث انتهى يوحنا:

«**... فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ.**» (مرقس ١:١٥)

الإيمان الفعَّال غير ممكن من دون التوبة الحقيقية. كثيرون ممن يعلنون أنهم مسيحيون مؤمنون، ما زالوا يصارعون من أجل الإيمان، لأنهم لم يتمموا الشرط المسبق الذي هو التوبة. والنتيجة انهم لا يتمتعون بجميع الهبات التي لهم في ذبيحة المسيح.

فيما يلي اعتراف مقترح يعبِّر عن التوبة التي يطلبها الله:

"**أنا أتخلى وأتراجع عن كل عصيان وعناد وتمرد وعن كل خطية، وأسلِّم نفسي لك لتكون ربًا على حياتي.**"

٣) اعترف بجميع خطاياك واقبل غفران الله:

الخطية التي لم تغفر بعد هي الحاجز الأعظم الذي يمنع بركة الله عن حياتنا. لقد وفَّر لنا الله نعمة غفران الخطايا، لكنه لن يفعل ذلك قبل أن نعترف بها!

«**إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ.**» (١يوحنا ١:٩)

الله **أمين** لكي يفعل ذلك لأنه وعدنا شخصيًا، وهو يفي بوعوده دائمًا. وهو أيضًا **عادل** في ذلك لأن يسوع قد دفع أجرة الخطية كلها.

ربما أعلن الله لك خطية معيَّنة جعلتك عُرضة للعنةٍ ما. إن كان كذلك،

اعـترف بتلـك الخطيـة (أو الخطايـا) بشـكل محـدد.

مـن المحتمـل أيضًـا أن يكـون مصـدر اللعنـة الـتي في حياتـك هـو خطيـة اقترفهـا آبـاؤك وأجـدادك (خاصـة عبـادة الأوثـان أو التعامـل بالسـحر). أنـت لا تحمـل ذنـب خطاياهـم، لكنـك ربمـا تقـع تحـت تأثـير نتائـج تلـك الخطايـا بشـكل أو بآخـر. إن كنـت على علـمٍ بـشيء مـن هـذا القبيـل، اطلـب مـن الله أن يحـررك مـن تلـك النتائـج.

وإليك صلاة مناسبة:

"أنا أعترف بخطاياي أمامك وأطلب أن تغفر لي - خاصة تلك الخطايا التي جعلتني أتعرض للعنة. حررني أيضًا من نتائج خطايا آبائي وأجدادي."

٤) اغفر لكل من أساء إليك:

مـن الحواجـز الهائلـة أيضًـا الـتي تحرمـك مـن بركـة الله **عـدم الغفـران** الذي قـد تراعيـه في قلبـك تجـاه أشـخاص آخريـن. في مرقـس ١١:٢٥، يضـع يسـوع أصبعـه على هذه المسـألة باعتبارهـا ضروريـة جـدًا إن كنـا نريـد أن يسـتجيب الله صلواتنـا:

«وَمَـتَى وَقَفْتُـمْ تُصَلُّـونَ، فَاغْفِـرُوا إِنْ كَانَ لَكُـمْ عَلَى أَحَـدٍ شَيْءٌ، لِـكَيْ يَغْفِـرَ لَكُـمْ أَيْضًـا أَبُوكُـمُ الَّذِي فِي السَّـمَاوَاتِ زَلاَتِكُـمْ.»

هـذا مبـدأ يتكـرر التأكيـد عليـه في العهـد الجديـد: إن أردنـا التمتـع بمغفـرة الله فعلينـا أن نكـون مسـتعدين دائمًـا لمغفـرة إسـاءات الآخريـن.

إن المغفـرة لشـخصٍ آخـر ليسـت شـعورًا أو عاطفةً في الأسـاس، بـل هي **قـرار**. وأوضّح هـذا أحيانًـا بمثـال بسـيط: افـرض أن في يـدك صـك ديـنٍ على شـخصٍ مـا بمبلـغ عـشرة آلاف دولار. لكـن فـي يـد الله صـك ديـنٍ عليـك بمبلـغ عـشرة ملايـين دولار. ويقدم لـك الله عرضًـا قائـلًا: «مـزِّق أنـت الصـك الذي معـك وأنـا سـأمزق الصـك الذي مـعي. أو تمسَّـك بالصـك الذي معـك، وأنـا سأتمسَّـك بـالذي مـعي!»

إذا فهمنا الغفران بهذا المعنى، لا تعود مسألة المغفرة للآخرين تضحيةً كبيرةً من جانبنا، بل هي من قبيل الفائدة الشخصية المجرَّدة. كل من يرفض إلغاء دينٍ على شخصٍ آخر بمبلغ عشرة آلاف دولار مقابل إلغاء دينه الخاص البالغ عشرة ملايين دولار، هو عديم الخبرة في أصول التجارة!

قد يذكرك الله الآن بشخصٍ أو أشخاصٍ يحتاجون إلى أن تسامحهم. إن كان كذلك، اطلب معونة الروح القدس، وهو سيقودك لاتخاذ القرار المناسب، لكنه لن يتخذ القرار عنك! تجاوب مع قيادة الروح. اتخذ قرارًا قاطعًا بأن تغفر. عبِّر عن قرارك بكلمات منطوقة. قل بصوتٍ مسموع: "**يا رب أنا أغفر لـ .....**" مُسمّيًا الشخص أو الأشخاص المعنيين. أما الشخص أو الأشخاص الذين تجد صعوبة في ذكر أسمائهم، فإنهم يمثلون الحالات الأكثر إلحاحًا التي تحتاج لاتخاذ قرار الغفران بصددها!

هذه كلمات بسيطة يمكنك استخدامها:

"**بقرار أتخذه بكامل إرادتي، أنا أغفر لكل من أساء إليَّ، كما أن الله يغفر لي خطاياي. بشكل خاص أعلن غفراني لـ .....** " (اسم الشخص أو الأشخاص).

٥) ارفض وتخلَّ عن كل اتصال بالسحر أو بالشيطان:

قبل أن نصل إلى الصلاة الخاصة بالتحرير من اللعنات، هناك جانب آخر هام عليك أن تعمل شيئًا بصدده: كل اتصال لك بأي شكل من أشكال السحر أو الممارسات الشيطانية. وهذا يتضمن مجالًا واسعًا من الأنشطة والأشياء. راجع الفصل السادس، حيث ذكرنا قائمةً تغطي بعض - وليس جميع - الأشكال التي لها صلة بذلك. إن لم تكن متأكدًا من جهة موضوع ما غير مذكور في الفصل السادس، اطلب من الله أن يوضح لك ذلك.

إن كنت قد اشتركت في أي وقتٍ من الأوقات في مثل هذه الممارسات، فقد عبرت حدودًا خفيةً نقلتك إلى مملكة الشيطان. ومنذ ذلك الوقت، سواء علمت أم لم تعلم، اعتبرك الشيطان واحدًا من أتباعه! إنه يعتبر أن له حقًا قانونيًا بالمطالبة

بـك! وبمـا أن ملكـوت الله ومملكـة الشـيطان متناقضتـان تمامًـا، فـلا يمكنـك أن تتمتع بكامـل حقوقـك وامتيازاتـك كمواطـنٍ في ملكـوت الله، حـتى تقطـع نفسـك كليًـا وإلى الأبـد عـن كل ارتبـاط بالشـيطان، لاغيًـا بذلـك جميـع حقوقـه عليـك.

في ٢كورنثـوس ٦:١٤-١٥ يشـدد بولـس على ضرورة الانفصـال التـام عـن مملكـة الشـيطان فيقـول:

«**..... أَيَّـةُ شَرِكَـةٍ لِلنُّـورِ مَـعَ الظُّلْمَـةِ؟ وَأَيُّ اتِّفَـاق لِلْمَسِـيحِ مَـعَ بَلِيعَـالَ؟**» (بليعـال اسـم مـن أسـماء الشـيطان.)

ويختم بولس في العدد ١٧ بأمر يصدره الرب نفسه:

«**.... اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزِلُوا، يَقُولُ الرَّبُّ. وَلاَ تَمَسُّوا نَجِسًا فَأَقْبَلَكُمْ.**»

ويتطلب هـذا الاعتـزال أن تتخلـص مـن أيـة أدوات أو كتب أو صور أو أشرطة .... إلـخ، تربطـك بالشـيطان بـأي شـكل مـن الأشـكال. في اختبـاري الخـاص الذي ذكرتـه في الفصـل الثـاني، كانـت تلـك التنانـين الصينيـة الـتي ورثتهـا هي التي تربطـني باللعنـة. إن راودتـك شـكوك حـول كيفيـة انطبـاق ذلـك على حالتـك الشـخصية، اطلب مـن الله أن يرشـدك إلى أي شيء يجـده مُسـيئًا له، ثـم تخلـص مـن ذلـك الـشيء بطريقـة مـا: أحرقـه، حطمـه، ألقـه في ميـاه عميقـة - أو أيـة طريقـة أخـرى.

إن كنـت جاهـزًا لهـذا الانفصـال عـن الشـيطان ومملكتـه، إليـك هـذه العبـارات المقترحـة للتأكيـد على هـذا القـرار:

أنـا أرفض وأتخلى عن كل اتصال لي بالسـحر أو بالممارسـات الشـيطانية. وإن كان عندي أيـة أشـياء تربطـني بذلـك، أتعهد بـأن أتخلـص منها. أنـا ألغي كل حـق للشـيطان في حياتي.

٦) أنت الآن مستعد لرفع صلاة التحرير من أية لعنة:

إن قـررت الالتـزام بالنقـاط الخمـس السـابقة، فأنـت الآن في موقف يمكنـك فيه أن

تصلي من أجل التحرير التام من أية لعنة على حياتك. لكن تذكر أن هناك أساسًا واحدًا فقط لنوال رحمة الله: المبادلة التي تمت عندما مات يسوع على الصليب. ضمن تلك المبادلة، هناك نعمة التحرير من أية لعنة. فإذ عُلِّق يسوع على خشبة الصليب صار لعنةً، لكي نتحرر نحن من اللعنة ونقبل ملء البركات الإلهية عوضًا عن ذلك.

من الهام جدًا أن يكون إيمانك محصورًا في ما حققه لك المسيح من خلال ذبيحته على الصليب. لا تحتاج إلى كسب تحريرك بقوتك. لا تحتاج أن تكون مستحقًا للتحرير. إن جئت إلى الله بأفكار كهذه، فليس لديك قاعدة ثابتة للإيمان. يتجاوب الله معنا، فقط على أساس ما صنعه يسوع لأجلنا، لا بسبب أية استحقاقات نتباهى بوجودها فينا.

إن صليت بانيًا إيمانك على هذا الأساس، فستختم صلاتك، لا طالبًا فيما بعد، بل متلقيًا لاستجابة الله. لقد أسس يسوع هذا كمبدأ ثابت في مرقس ١١:٢٤:

«لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ، فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ، فَيَكُونَ لَكُمْ.»

في مثل هذه الصلاة، هناك مرحلتان مميزتان ترتبطان ارتباط السبب بالنتيجة: القبول والامتلاك. القبول هو السبب، ويتبعه الامتلاك كنتيجة. القبول يصبح ماضيًا أما الامتلاك فهو للمستقبل. القبول يتم بينما نصلي، ثم يتم الامتلاك في الوقت والطريقة التي تحددها سيادة الله. لكن المبدأ الذي أسسه يسوع هو هذا: إن لم تقبل وقت صلاتك، فلا شيء يؤكد أنك ستمتلك في المستقبل.

هذه صلاة قد تكون ملائمة. يمكنك أن تقرأ الصلاة بسرعة أولًا ثم تتابع للمزيد من التعليمات.

"يا رب يسوع، أؤمن أنك على الصليب حملت كل لعنة يمكن أن تأتي عليَّ في أي يومٍ من الأيام. لذلك أنا أطلب أن تحررني من كل لعنةٍ على حياتي. باسمك أيها الرب يسوع المسيح أطلب هذا."

"والآن أنا أقبلُ بالإيمان تحريري وأشكرك من أجله."

لكن انتظر قليلًا! قبل أن تصلي هذه الصلاة من أجل التحرير، من الحكمة أن تعود فتؤكد على الاعترافات الخمسة السابقة التي سبق لك وأعلنتها. ولتسهيل الأمر، نعيد كتابة تلك الإعلانات هنا دونما أية تعليقات أو شرح.

اقرأها بصوت مرتفع، بهدوء وتَمهُّل وانتباه غير مشتت، وأنت تعني كل كلمة. إن شعرت بشيء من الشك يتعلق بأي مقطع منها، اقرأه مرةً أخرى. اجعل هذه الكلمات خاصةً بك أنت. فإذا انتهيت من هذه الإعلانات، ينبغي أن تدرك أنك قد سلَّمت نفسك لله بهذه الكلمات التي نطقت بها. بعد ذلك، انتقل فورًا إلى صلاة التحرير التي كررناها في النهاية.

هذه الصلاة المتكاملة للتحرير:

"يا ربّ يسوع، أنا أؤمن أنك أنت ابن الله والطريق الوحيد إلى الله، وأنك متَّ على الصليب من أجل خطاياي ثم قمت ثانيةً من الأموات."

"أنا أتخلى وأتراجع عن كل عصيان وعناد وتمرد وعن كل خطية، وأسلم نفسي لك لتكون ربًا على حياتي."

"أنا أعترف بخطاياي أمامك وأطلب أن تغفر لي - خاصةً تلك الخطايا التي جعلتني أتعرض للعنة. حررني أيضًا من نتائج خطايا آبائي وأجدادي."

"بقرار أتخذه بكامل إرادتي، أنا أغفر لكل من أساء إليَّ، كما أن الله يغفر لي خطاياي. وبشكل خاص أعلن غفراني لـ....."

"أنا ارفض وأتخلى عن كل اتصال لي بالسحر أو بالممارسات الشيطانية. وإن كان عندي أية أشياء تربطني بذلك، أتعهد بأن أتخلص منها. أنا ألغي كل حق للشيطان في حياتي."

"يا ربّ يسوع، أؤمن أنك على الصليب حملت كل لعنة يمكن أن تأتي عليَّ في أي يومٍ من الأيام. لذلك أنا أطلب أن تحررني من كل لعنة على حياتي. باسمك أيها الربّ يسوع المسيح أطلب هذا."

"والآن أنا أُقبل بالإيمان تحريري وأشكرك من أجله."

لا تكتفي بالشكر مرةً أو مرتين. إن ذهنك لا يستوعب جزءًا صغيرًا مما طلبته من الله للتو! تجاوب مع الله من أعماق قلبك. قد يكون هذا الوقت مناسبًا للتخلص من الجروح أو الضغوط أو العوائق التي تراكمت في داخلك عبر السنوات. إن انكسر سدٌّ في داخلك، لا تحاول أن تمنع الدموع التي تفيض من قلبك.

لا تتراجع الآن بسبب منطقٍ أو إحراج! الله يعلم منذ البداية كل ما كنت تكبته في أعماقك - لكنه لا يشعر بالحرج أبدًا عند التعامل معها. فلماذا تشعر أنت بذلك؟! قل للرب إنك تحبه كثيرًا. كلما عبرت عن حبك أكثر، كلما ازددت إدراكًا له.

ليس هناك نمط محدد ثابت للتجاوب مع الله. مفتاح التحرير ليس نوعًا محددًا من التجاوب، فيمكن التعبير عن الإيمان بطرق كثيرة. كن على طبيعتك أمام الله. افتح كيانك لمحبته كما تفتح الزهرة أوراقها لأشعة الشمس.

٧) والآن آمن - صدِّق - أنك قَبِلت، ثم ادخل في بركة اللّه:

لا تحاول في هذه المرحلة أن تحلل الشكل الذي ستكون عليه بركة الله أو الكيفية التي سيمنحك الله البركة فيها. اترك ذلك بين يدي الله، وليفعل هو ما يشاء متى يشاء وكيفما شاء؛ لا تتعب نفسك. المطلوب منك ببساطة أن تفتح نفسك بلا تحفظ لكل ما سيعمله الله فيك ولأجلك من خلال فيض بركته.

تذكر أن الله هو «**الْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ**» (أفسس ٣:٢٠). فلا تحدَّ الله بعمل ما تفتكره فقط.

هذه كلمات بسيطة يمكنك استخدامها:

"يا رب، أنا الآن أفتح نفسي لقبول بركتك بأية طريقة تختار أن تمنحني إياها."

سيكون من المثير أن تراقب وترى كيف يتجاوب الله معك!

الفصل الثامن عشر

من الظلمات إلى النور

إن اتّبعت التعليمات الواردة في الفصل السابق، فقد اجتزت الحدود الخفية خارجًا من مملكة الشيطان. خلفك الآن منطقةٌ تخيم عليها ظلال لعناتٍ متنوعة الأنواع والمصادر. وأمامك منطقةٌ يشع فيها نور بركات الله. قبل التقدم خطوة أخرى، عد بذاكرتك إلى الملخص الذي اقترحناه لقائمة موسى في تثنية ٢٨:٢-١٣:

- ♦ الرفعة
- ♦ الفيض المادي
- ♦ الصحة
- ♦ الانتصار
- ♦ الإثمار
- ♦ رضى الله

هذه جميعها جوانب من ميراثك في المسيح تنتظر أن تكتشفها وأن تمتلكها. قد يساعدك أن تكرر هذه الكلمات الرئيسية في القائمة عدة مرات - ويفضَّل بصوت مرتفع. أن يعيش إنسان تحت لعنة، يؤدي غالبًا إلى أن يجد ذلك الإنسان صعوبة في تخيل كيفية التمتع بالبركة. صلِّ أن يجعل الله ميراثك الجديد حيًّا وحقيقيًا بالنسبة لك. ربما تحتاج إلى الاستمرار بتكرار هذه الكلمات - عدة مرات في اليوم - حتى تدرك تمامًا أنها لك.

وبينما تكررها، توقف عند كل واحدة واشكر الله على أنها صارت جزءًا من ميراثك. تذكر أن تقديم الشكر هو أنقى وأبسط تعبير عن الإيمان. إن كنت قد عانيت طويلًا من لعنةٍ ما على حياتِكَ، فربما تكون هناك زوايا في ذهنك لم تفارقها الظلمة فورًا. لذلك، فإن تكرار هذه الكلمات الإيجابية التي تصف البركات، ستبدو كرؤية الخيوط الأولى للشمس التي تسبق إشراقها على وادٍ مظلم. ثم تنتشر تلك الخيوط المشعة حتى يملأ النور المكان كله.

إن العبور من الظلمة إلى النور قد يتخذ أشكالًا مختلفة، فليس هناك معيار ينبغي أن ينطبق على الجميع. بعض الناس يختبرون تحريرًا شبه لحظي، ويبدو أنهم يدخلون فورًا إلى البركات التي يعد بها الكتاب المقدس. آخرون، لا يقلون إخلاصًا عن غيرهم، قد يختبرون صراعًا طويلًا صعبًا. فمثلًا، كلما كان تورُّط الناس في السحر أعمق كان كفاحهم من أجل الهروب أصعب. فالشيطان يعتبرهم غنيمةً شرعيةً له! وهو مصمم على الاحتفاظ بهم. من جانب آخر، عليهم هم أيضًا بدورهم أن يكونوا أكثر إصرارًا على تأكيد حقهم بالحرية التي اشتراها لهم يسوع بذبيحته الكفَّارية.

ويمتلك الشيطان بعض المعرفة المسبقة لما أعده الله لأولئك الذين يهربون من اضطهاده. فكلما كانت البركات المعدَّة للمؤمن أعظم، ازداد تصميم الشيطان على دفعه إلى الخلف. فإذا نظرنا إلى الأمور بهذا المنظور، يمكن لكفاحنا أن يكون مصدر تشجيع، لأننا ننظر إلى غمرٍ من البركات الآتية.

وفوق هذه العوامل كلها، علينا أن نتذكر أننا هنا في لقاء مع سيادة الله المطلقة. يرى الله الأشياء بطريقة تختلف عنا، وهو يضع في اعتباراته ظروفًا لا نعرف نحن عنها شيئًا. يحافظ الله دائمًا على وعوده، لكنه في معظم الحالات يخفي عنا أمرين: الطريقة المحددة التي سيعمل فيها في حياة كل واحد؛ والوقت المحدد الذي سيستغرقه ذلك. لا أحد يستطيع أن يملي على الله كيف يفي بوعوده! المطلوب منا أن نحافظ على موقف ثابت لا يتزعزع من الثقة بأن الله سيتحرك في الكيفية المناسبة وفي الوقت المناسب.

ربما نحتاج هنا إلى معاودة النظر في الجانب الإيجابي من المبادلة التي يصفها بولس في غلاطية ٣:١٣-١٤:

«اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: "مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ". لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ.»

يشير بولس هنا إلى ثلاث حقائق هامة تتعلق بالبركة الموعودة:

أولًا، البركة ليست أمرًا غامضًا غير محدد، بل هي محددة بأنها «بركة إبراهيم». وفي تكوين ١:٢٤ يحدد مجالها: «**وَبَارَكَ الرَّبُّ إِبْرَاهِيمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.**» فقد شملت البركة كل جوانب حياة إبراهيم. وعند الله بركة مماثلة مُعدَّة لكل من يحقق شروطه.

ثانيًا، تأتي البركة «في المسيح يسوع» فقط. لا يمكن الحصول عليها باستحقاقاتنا الشخصية، لكنها تُقدَّم لنا على أساس واحد هو علاقتنا بالله من خلال الرب يسوع المسيح. وما من طريق آخر يمكن لبركة الله أن تفيض من خلاله إلى حياتنا. فإذا انقطعت علاقتنا بالمسيح بسبب العصيان أو عدم الإيمان، انقطع وصول البركة. لكن شكرًا لله لأننا نستطيع استرداد البركة المقطوعة فورًا من خلال التوبة الصادقة!

ثالثًا، للبركة تحديدٌ أكثر وضوحًا باعتبارها «موعد الروح القدس». ويقول يسوع في يوحنا ١٣:١٦-١٥ بهذا الخصوص:

«**وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ .... ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ.**»

يا لها من كلمات تشجيع عظيمة! أقانيم الثالوث الأقدس - الآب والابن والروح القدس - متحدون في هدف أزلي واحد هو مشاركتنا بكل ما اشتراه لنا يسوع بذبيحته الكفَّارية. ولأن ذلك أعظم جدًا من أن يستوعبه العقل الطبيعي، علينا أن نتكل على الروح القدس لكي يقودنا إلى ملء ميراثنا، ويرينا كيف نمتلك ما وفَّره لنا الله.

وفي رومية ١٤:٨ يؤكد بولس ثانيةً على الدور الفريد الذي يقوم به الروح القدس:

«**لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ.**»

ويحرص بولس على استخدام صيغة المضارع المستمر: «**لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ** (باستمرار) **بِرُوحِ اللهِ ...**» فالانقياد بروح الله ليس اختبارًا لحظيًا منفردًا؛ إنه أمر علينا أن نتكل عليه لحظةً بلحظة. إنه المعبر الوحيد نحو النضوج الروحي. فبالانقياد بروح الله، ننمو من أطفال إلى أبناء ناضجين.

كثيرون من المؤمنين لا يتمتعون، للأسف، بقيادة ورفقة الروح القدس لسبب أساسي واحد: إنهم لا يدركون أنه «شخص»! «**وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ**» (٢كورنثوس ١٧:٣). فكما أن الله الآب هو الرب، والله الابن هو الرب، كذلك الله الروح القدس هو الرب. ليس الروح القدس مجرَّد فكرة لاهوتية مجرَّدة أو مجموعة من القوانين والتعليمات، ولا هو كلمات مختصرة في نهاية «قانون الإيمان الرسولي»! إنه شخص، ويريدنا أن ننمي علاقة شخصية حميمة به.

للروح القدس ميزاته المحددة الخاصة. ليس هو عدواني ولا يدفع أحدًا لعمل شيء رغمًا عنه، ولا يصرخ علينا! غالبًا ما يتكلَّم بلطف ويقودنا بتحفيز رقيق. ولكي نقبل قيادته، علينا أن نكون حساسين لصوته وتوجيهاته.

الروح القدس يتعامل معنا كأفراد. فلكي ندخل بركات الله، ليست هناك مجموعة من القوانين والتعليمات التي ينبغي على الجميع الالتزام بها. لكل منا شخصية مستقلة لها احتياجات وطموحات فريدة ومواطن ضعف ومواطن قوة خاصة. الروح القدس يحترم فرادتنا. قال أحدهم إن الله لا يجعل مؤمنًا نسخةً كربونية عن آخر! ولا هو يُصنِّع المؤمنين كما تُصنَّع البضائع على خطوط الإنتاج في المصانع!

الروح القدس وحده يعرف الأخطار الخاصة التي يمكن أن تهددنا في أي موقف، كما يعرف البركات المحددة التي تَسُدُّ احتياجاتنا الشخصية كأفراد. إنه يقودنا بأمانة عبر المخاطر ويفتح أمامنا أبواب البركة. أمَّا إن كنا نسعى لاتّباع نظام ديني معيّن، أو لقولبة أنفسنا على مثال مؤمن آخر، فإننا سنخسر بعض البركات المنتقاة التي حددها الله ليخصَّنا بها شخصيًا.

فمن الحكمة إذًا أن تتمهل قليلًا وتقدم صلاة بسيطة:

"يا روح الله القدوس، أنا أفتح قلبي وعقلي لك. أعلن لي البركات التي وفَّرها يسوع لي، وكيف أقبلها."

في عبرانيين ١٤:١٠ - اقتبسناها في الفصل السادس عشر - يستخدم الكاتب صيغتين لوصف جانبي المبادلة التي تمت على الصليب. ففي وصفه لما أنجزه يسوع، يستخدم

صيغة الماضي التام: «**لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ ....**» فما عمله يسوع قد تحقق تمامًا إلى الأبد؛ لا حاجة لأن يُضاف عليه شيء ولا يمكن أن يُنتَقَص منه شيء أبدًا.

وفي الجانب الآخر، يستخدم الكاتب صيغةً مختلفةً لوصف عمل الذبيحة في أولئك الذين يقبلونها شخصيًا: «**.... قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ.**» والواقع أن هذه الكلمة تأتي في الأصل بصيغة الفعل المضارع المستمر: أي «الذين يُقَدَّسون.»[١٥] إن انتفاعنا بذبيحة المسيح على الصليب لا يتم في لحظة واحدة، بل هو عملية تصاعدية، مستمرة توصف هنا باستخدام كلمة «يُقدَّسون» التي تعني يُفرزون ويُخصصون لله بالقداسة. وبينما نضع حياتنا يومًا بعد يوم على الطريق الذي ينسجم مع متطلبات القداسة، ندخل إلى بركة الله أكثر فأكثر.

بعض المؤمنين الذين يواجَهون بهذا التحدي، يقولون: «لكنني أعتقد أنني أخذت كل شيء عند الولادة الثانية!» والجواب على ذلك: نعم ولا! فلهذه المسألة جانبان: شرعي واختباري. وتختلف الإجابة وفق الجانب الذي تنظر إليه.

شرعًا (قانونيًا) أنت حصلت بالفعل على كل شيء عندما ولدت الولادة الجديدة. فبحسب رومية ٧:٨، عندما نصبح أولادًا لله، فإننا «**وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ.**» فمنذ تلك اللحظة، يصير لك حق شرعي بمشاركة المسيح في كل ميراثه.

أما **اختباريًا**، فأنت في بداية عملية تستغرق الحياة كلها. ويمكن وصف الحياة المسيحية باعتبارها تقدمًا تصاعديًا من الشرعي إلى الاختباري. فبالإيمان، وخطوةً بعد خطوة، علينا أن نمتلك بطريقة اختبارية كل ما هو أصلًا حقٌّ شرعي لنا من خلال إيماننا في المسيح. وهذا ما يسميه كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «**يُقدَّسون**».

وفي يوحنا ١:١٢-١٣ يقول الرسول بخصوص أولئك الذين ولدوا ثانيةً بقبول يسوع المسيح إن الله «**أَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ.**» هذا ما يناله المولود من الله: «**سُلْطَانًا**» أن يصير ابنًا لله.

وللسلطان فعاليةٌ بالقدر الذي نستخدمه فيه. إن ما يتضمنه اختبار الولادة

(١٥) هذا غير واضح في الترجمات العربية المعروفة.

الجديدة من امتيازات ليس له حدود، لكن النتائج الحقيقية الملموسة تعتمد على ممارسة السلطان الذي يُعطى عند الولادة الجديدة. فما سيكون عليه أحدهم من خلال الولادة الجديدة، يتحدد بحسب المدى الذي يمارس فيه سلطانه الذي أعطاه إياه الله.

وهناك تشابه بين اختبار دخول المؤمنين إلى بركة الله في العهد الجديد، وبين دخول الإسرائيليين إلى كنعان في العهد القديم. ففي العهد القديم، أدخل الله شعبه إلى الأرض الموعودة تحت قيادة يشوع، وفي العهد الجديد، يُدخل الله شعبه إلى أرض الموعد تحت قيادة يسوع (صيغة أخرى للاسم «يشوع»). فكما أن أرض كنعان كانت الميراث المادي الذي أعطاه الله للشعب القديم، كذلك فإن وعود الله التي لنا في المسيح هي الميراث الروحي المُعيَّن للمؤمنين في هذا الدهر. وما انطبق من مبادئ على الإسرائيليين قديمًا، ينطبق على المؤمنين اليوم.

وكان الله قد أعطى يشوع تعليمات حول الكيفية التي ينبغي على شعب إسرائيل أن يمتلكوا ميراثهم بحسبها:

«مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمِ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى.» (يشوع ١:٢-٣)

وأمامنا هنا تشابه في الصيغ اللغوية مع ما رأيناه في عبرانيين ١٠:١٤. ففي العدد ٢، يستخدم الرب صيغةً تتضمن الاستمرار: «**أَنَا مُعْطِيهَا**». أما العدد ٣، فيستخدم فعلًا ماضيًا تامًا: «**لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ**». فابتداءً من العدد الثالث فصاعدًا، كانت مسألة الملكيةُ الشرعية قد حُسِمتْ، أما من الناحية الاختبارية، فالأرض كانت ما تزال للكنعانيين.

وكان التحدي أمام يشوع وشعبه هو أن ينتقلوا من الشرعي إلى الاختباري. وهذا يعني أنهم سيتقدمون خطوةً خطوة، وكلما داست بطون أقدامهم أرضًا، صارت لهم، لا شرعًا فقط، بل واقعًا اختباريًا أيضًا.

ولو تجاوب الشعب مع الله بالطريقة نفسها التي يميل إليها بعض المؤمنين

اليـوم، لـكان للتاريـخ مجـرىً آخـر تمامًـا، ولـكان الشـعب القديـم سـيكتفي بالاصطفـاف على الضفـة الشرقيـة للنهـر، ينظـر تجـاه الغـرب ويقـول: «هـذه الأرض لنـا!» بينمـا يضحك الكنعانيـون عليهـم، إذ يعلمـون مـن هـو المالـك الفعـلي لـلأرض.

لكـن ما حدث هو أن يشـوع والشـعب القديم تصرفـوا بطريقة مغايـرة تمامًا: **أولًا**، اجتازوا الأردن بمعجـزة إلهية تجاوبًا لطاعتهـم؛ **ثانيًا**، حاصروا أريحًا واقتحموها - بمعجزة أيضًا. لكـن تقدمهم بعد ذلك كان يعتمد أساسًا على المعارك التي خاضوها لا على المعجزات. لقـد تحركـوا عبر كنعـان وحاربـوا حروبًا كثـيرة ضد شـعوبٍ كثيرة كانت تقطـن الأرض. وحتـى بعـد كل تلك المعـارك الضارية، لم تكن مهمتهم قد انتهت بعـد. فبعد فترة طويلة مـن الزمـن، عاد الله فقال ليشـوع: «**بَقِيَـتْ أَرْضٌ كَثِـيرَةٌ جِـدًّا لِلامْتِلاَكِ!**» (يشـوع ١:١٣).

هـذا التحـدي نفسـه يواجهُنـا اليـوم كمؤمنـين في العهـد الجديـد: أن ننتقـل مـن الـشرعي إلى الاختبـاري. وكمـا فعـل الشـعب القديـم، علينـا أن نتقـدم خطـوةً خطـوة. وكالشـعب القديـم، سـنواجه مقاومـة. سـيكون تقدمنـا مُعرَّضًـا دائمًـا لهجمـات قـوى الشـيطان، وعلينـا أن نتعلـم كيـف ننتـصر عليهـا بالأسـلحة الروحيـة الـتي وفَّرهـا لنـا الله. فـفي نهايـة الأمـر، وعـود المسـيح في العهـد الجديـد هي فقـط لنـوعٍ واحدٍمـن الناس: «**مَـنْ يَغْلِـبُ**»! (انظـر رؤيـا يوحنـا ٢، ٣.) أمـا حـق المـيراث فتوجـزه لنـا كلمات رؤيـا ٧:٢١:

«مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ.»

ولكي نتشدد ونتشجع، ترك لنا الله مثال إبراهيم الذي يُدعى «أبينا إبراهيم». فلم يؤسس الله من خـلال إبراهيم معيار البركة التي أعدها لكل منا فحسب (وهي البركة في كل شيء)، لكنـه حـدّد معالم الطريق التي تصل بنـا إلى هذه البركة. إن حياة إبراهيم هي مثال لنا وتحدٍّ أمامنـا على ثلاثـة أوجه: طاعته الفوريـة، ثقته الكاملة بكلام الله، وأناتـه وانتظاره المثابر.

في عبرانيين ٨:١١ يؤكد الكاتب على طاعة إبراهيم الفورية التي لا شكَّ فيها:

«بِالإِيمَـانِ إِبْرَاهِيـمُ لَمَّـا دُعِيَ أَطَـاعَ أَنْ يَخْـرُجَ إِلَى الْمَـكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيـدًا أَنْ يَأْخُـذَهُ مِيرَاثًـا، فَخَـرَجَ وَهُـوَ لاَ يَعْلَـمُ إِلَى أَيْـنَ يَـأْتِي.»

لم يطالب إبراهيم بتفسير للسبب الذي ينبغي أن يخرج من أرضه لأجله، ولا طالب بوصفٍ للمكان الذي أُمر أن يذهب إليه. لكنه بكل بساطة، عمل ما طلبه الله، فورًا، وبلا جدال. هذا النوع من الطاعة كان ميزةً تحلى بها إبراهيم طوال حياته، مثلما فعل عندما أمره الله وجميع الذكور في بيته أن يختتنوا (تكوين ١٧:٩-١٤، ٢٣-٢٧)، وحتى عندما طلب منه الله أن يقدم ابنه إسحق ذبيحةً (تكون ٢٢:١-١٤). لم يتردد إبراهيم يومًا في طاعته أو يجادل الله فيما كان يطلبه منه.

وفي رومية ٤:١٦-٢١، يبين بولس أنه عندما دعا الله إبراهيم «أبًا أممٍ كثيرة،» لم يكن لديه سوى ولدٍ واحد من هاجر جاريته، أمّا زوجته سارة فكانت عاقرًا لسنواتٍ طويلة. لكن إبراهيم اعتبر وصف الله له حقيقيًا منذ اللحظة الأولى. ولأنه قبل كلمة الله دون جدال، حتى وهي لا تنسجم مع الواقع الذي تدركه حواسه الطبيعية، نجد أن النتيجة هي تحقيق ملموس لوعد الله أيدته حواسه الطبيعية فيما بعد!

والواقع أن خمسة وعشرين عامًا مضت منذ أن وعد الله إبراهيم بنسلٍ كنجوم السماء في الكثرة، وحتى وُلد ابن الموعد. خلال تلك السنوات لم يكن لدى إبراهيم ما يتمسك به سوى وعد الله. لا بدَّ أنه واجه تجارب بلا عدد لتفشيله، لكنه لم يستسلم أبدًا ولم يتخلَّ عن إيمانه. وأخيرًا، نال جزاء ثباته وتأنيه:

«... إِذْ تَأَنَّى نَالَ الْمَوْعِدَ.» (عبرانيين ٦:١٥)

يخبرنا بولس في رومية ٤:١١-١٢ إننا نكون حقًا أولاد إبراهيم إن كنا نسلك **«فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ.»** وهذا هو الشرط الذي يضعه الكتاب المقدس للدخول في «بركة إبراهيم» الموعود بها في غلاطية ٣:١٤. فعلينا كإبراهيم أن نقبل كلمة الله باعتبارها العنصر الثابت الأكيد في اختبارنا. أما آراء البشر المختلفة، وجميع انطباعات الحواس المتقلبة، فهي لا تزيد على كونها عشبًا يابسًا أو زهرًا ذابلًا **«أَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ.»** (إشعياء ٤٠:٨).

وينبغي أن لا يكون قبولنا لكلمة الله قبولًا عقليًا أو نظريًا مجرَّدًا، بل علينا أن نظهر الكلمة عمليًا كما فعل إبراهيم تمامًا، وذلك من خلال الطاعة الفورية

غير المشوبة بالجدال أو الشك، ومن خلال الثبات والتأني في وجه كل المُفشِّلات. وهكذا نجد في النهاية أن كلمة الله صادقة في الاختبار الملموس أيضًا. نعم، علينا أن نعرف بركة الله - كما عرفها إبراهيم - «في كل شيء»!

أما الشيطان فسيقاومنا دائمًا باستخدام الضغوط الفكرية والعاطفية: الخوف، الشك، الشعور بالذنب، الارتباك، وغيرها. وربما يهاجم أجسادنا أيضًا بأشكال متعددة من الضعفات أو الأمراض. وأمام هذا كله، وفَّر لنا الله سلامًا عظيم الفعالية هو كلمته. يحثنا بولس في أفسس ٦:١٧ قائلًا:

«وَخُذُوا.....، سَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ.....»

وهذا يتطلب تفاعلًا بين الله والإنسان. السيف هو سيف الروح القدس، لكنها مسؤوليتنا نحن أن «نأخذه»، أي أن نحمله. فإذا حملناه، يستخدمه الروح القدس بكل براعة. وإذا لم نحمله، فإننا نترك الروح بلا سيف!

والكلمة اليونانية التي يستخدمها بولس هنا لوصف كلمة الله هي «rhema»، وهي تعنى بشكل خاص «الكلمة المنطوقة.» فكلمة الله تكون فعَّالة فقط عندما تنطق بها شفاه المؤمنين. لا يتحدث بولس هنا عن ذلك الكتاب الموضوع بعناية على أحد الرفوف أو حتى على منبر الكنيسة! بل يتحدث عن الكتاب المقدس الذي نحمله فينا، وتنطق به ألسنتنا بإيمان جريء.

ومثالنا الأعظم في استخدام هذا السيف هو الرب يسوع نفسه الذي علَّمنا ذلك من خلال التجربة التي جرَّبه بها إبليس في البرية. (انظر متى ٤:١-١١). تجارب الشيطان الثلاث كانت تبدأ أو تتضمن الكلمة «إنْ»، أي أنها كانت تهدف لتوليد الشك.

في المرتين الأولى والثانية، كان كلام الشيطان يبدأ بالعبارة: **«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ ...»** وكان يسوع قبل ذلك بفترة قصيرة قد اعتمد على يد يوحنا المعمدان في نهر الأردن، حين أعلن الله الآب للجميع:

«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ.» (متى ٣:١٧)

فكان الشيطان يحاول تشكيك يسوع بما قاله عنه الآب.

التجربة الثالثة تضمنت الكلمة «إن»، لكن لم يكن التشكيك هو هدفها الوحيد بل العصيان! «... **إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي.**» فالشيطان يحاول هنا أن يخدع يسوع لكي يرتكب أعظم خطية.

والتجارب التي يهاجمنا بها الشيطان، كتلاميذ يسوع، لها في العادة نمطٌ مشابه. أولًا، يحاول إبليس أن يدفعنا إلى الشك بما قاله الله عنا: الشك بأن خطايانا غفرت، أو أن الله يحبنا، أو أننا مقبولون في عائلة الله كأبناءٍ له، أو أننا تحررنا من اللعنة ودخلنا إلى البركة. لكن الهجوم الأخير للشيطان يهدف إلى أن نعصي الله ونتراجع عن طاعته.

وقد استخدم يسوع سلاحًا واحدًا فقط لهزيمة الشيطان: كلمة الله المنطوقة (rhema). لقد واجه كل تجربة مستهلًا كلامه بكلمة واحدة: «مكتوب.» وكانت جميعها اقتباسات مباشرة من أسفار العهد القديم المقدَّسة. لا يملك الشيطان أي دافع ضد كلمة الله التي تُقتَبسُ مباشرةً ضده، ولا مجال له إلا أن ينسحب مهزومًا.

في ذلك كله، يسوع هو مثالنا الكامل. لم يعتمد على منطقٍ أو جدال، بل استخدم ذلك السلاح نفسه الذي أعطانا إياه الله: كلمة الله. إن أماننا يعتمد على السير على خطى يسوع. من الحمق أن نتكل على حكمتنا أو قوتنا أو برنا الذاتي، فالشيطان أحذق منا وأقوى ألف مرة. وربما يستطيع أن يشير بأصبعه إلى ألف عيب في تقوانا الشخصية. لكن هناك سلاح واحد لا يملك أمامه أي دفاع: كلمة الله المنطوقة بالإيمان.

هذه هي الطريق التي تقودنا من الأرض التي تخيم عليها اللعنات إلى الأرض التي ننعم فيها بنور بركات الرب. أول متطلبات هذه الطريق هو الإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع، والمبني على المبادلة الإلهية التي تمت على الصليب. الإيمان الذي يعتبر وعود الله صادقةً وفعَّالة منذ لحظة الحصول عليها. نحن لا ننتظر تأييدًا من الحواس، بل نراقب بتأنٍ واحتمال، ونتحرك بطاعةٍ بلا جدال، منطلقين من حقوقنا الشرعية في المسيح، إلى التمتع الاختباري الكامل بتلك الحقوق، مقاومين كل قوة العدو بسيف الروح الذي هو كلمة الله المنطوقة بالإيمان.

الفصل التاسع عشر

الغاصبون يختطفونه

عندما كُلِّف يشوع كقائدٍ بمهمةِ الوصول بالشعب القديم - إسرائيل إلى كنعان، تلقى التشجيع التالي ثلاث مرات:

«تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ.» (يشوع ١:٦، ٩، ١٨)

في المرتين الأولى والثانية، كان التشجيع من الرب نفسه، أما التشجيع الثالث فمن إخوته الذين حوله. وبعد أن تلقى التشجيع الثالث، لا بدَّ أن يشوع أدرك حقيقةً هامة: دخول الأرض الموعودة ليس بالأمر السهل!

وينطبق هذا اليوم على المؤمنين الذين صمموا على امتلاك بركات العهد الجديد الموعودة. يؤكد لنا الله أنه سيكون معنا ويفي بكل وعوده لنا. لكنه يحذرنا - في الوقت نفسه - بأننا سنواجه أشكالًا متعددة من المقاومات التي تمتحن إيماننا والتزامنا.

يتحدث يسوع في متى ١١:١٢ عن عصر الإنجيل الذي جاء هو لكي يفتح أبوابه، فيقول:

«وَمِنْ أَيَّامِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى الآنَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ.»

وكذلك في لوقا ١٦:١٦:

«كَانَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ إِلَى يُوحَنَّا. وَمِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ يُبَشَّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَغْتَصِبُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ.»

واضحٌ أن وعد الملكوت ليس لأولئك الذين ينغمسون بالتفكير المتفائل والمصطلحات الدينية. يحتاج الأمر إلى «اغتصاب»! وهو موقف التصميم الثابت الذي ينطلق إلى الأمام رغم كل الصعوبات والمُفشِّلات.

وقد قدَّم بولس وبرنابا تنبيهًا مشابهًا لمجموعةٍ من المؤمنين الجدد في أعمال ٢٢:١٤:

«... بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ.»

كل طريق يحاول التهرب من مواجهة الضيقات، لا يمكن أن يصل بنا إلى الملكوت. وإذا ما ترسخت هذه الحقيقة في أذهاننا، لا تعود الضيقات تعيق تقدمنا فيما بعد.

أوتو أغوير (Otto Aguiar) رجلٌ صمم على أن يختطف وعود الله اغتصابًا. هو رجلٌ برازيلي وُلِد وعلى حياته لعنات تعود إلى أجيال كثيرة سابقة، وقد أضاف هو إليها بسبب تصرفاته الحمقاء. لكنه في النهاية عَبَرَ من أرض اللعنات المظلمة إلى نور أرض البركات الإلهية حيث يعيش الآن.

أوتو أغوير يقصُّ علينا حكايته:

ولدت في ريودي جانيرو/ البرازيل قبل خمسين سنة. كان أبي جنرالًا معروفًا من أصل أوروبي هندي، وأمي انحدرت من عائلة سياسيين ورجال دولة. وكانت عائلتي طوال عدة أجيال (من جهة أمي وأبي على حدٍّ سواء)، تتعاطى الممارسات «الروحانية».

كنت السابع من بين عشرة أبناء. كان وزني أكثر من ستة كيلو غرامات

عندما ولدت، وكانت ولادةً قاسيةً جدًا. لعدة سنوات وأنا أتَّهم بأنني كدت أقتل أمي عند ولادتي؛ حيت تم تعديل وضعيتي المعكوسة ومن ثمَّ سحبي باستخدام أدوات طبية. كنت أجلس ورأسي بين ذراعيَّ متفكرًا بتلك التجربة القاسية على أمي، وهم يحاولون سحبي من بطنها دون أن أبدي أي تعاون! أعدت الصف الأول في المدرسة أربع مرات، وما أن ترفعت إلى الصف الثاني، حتى كان حجمي يعادل حجم أستاذي!

بدأت اللعنات المتوارثة تؤثر على الأشخاص الأكبر سنًا في عائلتي وكنت أنا ما زلت طفلًا. أختي الكبرى أُخِذت إلى مركز للممارسات الروحانية، خلال فترة تواجدها في مدرسة كاثوليكية متشددة. وهناك، بدأت بـ«قبول أرواح القديسين» كما يقولون في البرازيل! بعد ذلك، أمضت معظم حياتها في مصحة عقلية.

أخي الأكبر مني، وكان طالبًا ذكيًا جدًا، سقط على رأسه وهو في العاشرة وأصيب بالصرع. وفي ذلك الوقت، كان شائعًا في البرازيل أن الصرع مرض معدي. وهكذا تم نقله، هو وكل ما لَهُ، من البيت الرئيسي إلى سكن الخُدَّام. وعندما كان يُصاب بنوبة، كان عقل أمي يضطربُ وهي تصرخ: «ليس هناك إله!» والآن مضت خمسة عشر عامًا وهو يقيم في مؤسسة صحية خاصة بتلك الحالات.

عندما بلغت أنا السادسة عشرة، بدأت تظهر عليَّ جميع أعراض الصرع - الزبد والإغماء والتقيؤ مع تلعثم شديد. لكن تقارير تخطيط الدماغ لم تكن تظهر شيئًا!

أبي الذي كان ذا شخصية قيادية بين الرجال، لم يكن يملك من أمره شيئًا بين أولاده السبعة؛ لم يكن يمارس أية سلطة حقيقية. لا أذكر حتى أنه كلمني مرةً إلى أن بلغت سن الرجولة - لكنني كنت أحبه حبًّا شديدًا. وكان هو أيضًا يتردد بانتظام على مركز روحاني. لم أشعر يومًا بشعورٍ طيب تجاه الروحانية، إلا أنني كنت أذهب أيضًا دون وعي.

لا أعرف كيف حدث هذا، إلا أنه تم قبولي للدراسة في كلية للفنون الجميلة، حيث حصلت على شهادة ماجستير مع مرتبة الشرف في فنون الرسم! إلا أنني

لـم أعمـل في ذلـك المجـال مفضِّـلًا أن أعمـل عارض أزيـاء وأن أسـافر مـن البرازيـل إلى باريـس لهـذا الغـرض.

وهنـاك تورطـت في المخـدرات وفي حياة اللهـو والفـوضى. وكنت أحيانًا أقضي بعـض الوقـت وحيـدًا في مـنزل العائلـة عنـد البحـر. كنـت أنظـر إلى السـماء وأفكـر بمـن أبـدع النجـوم وجعـل الشـمس تـشرق في كل صبـاح. ازداد جـوعي لأعـرف مـن هـو! لكنـني لـم أعـرف أيـن أبحـث عـن الجـواب.

ثـم قابلـت إيلـين، يهوديـة مـن الولايـات المتحـدة، وهي عارضـة أزيـاء أيضًـا. عندمـا قابلتهـا، قـرّرتُ أن أغـير أسـلوب حيـاتي، لكنـني لـم أتمكـن مـن ذلـك. فحالمـا ذهبـت هي في عمـل لمـدة ٥ أيـام، ذهبـت أنـا وأصدقـائي إلى البحـر. كنـا في نشـوة المخـدرات عندمـا دخلـت إلى المـاء الهائـج، فسـحبتني موجـةٌ عاتيـة. صرت أتخبـط بـين الأمـواج الغاضبـة، ولـم أعـد قـادرًا على التنفـس. فكـرت في داخـلي «آه يـا إلـهي، الآن بعـد أن تعرفـت على إيلـين وقـررت أن أتغـير، تتركـني لأمـوت؟!» كانـت هـذه هي المـرة الأولى طـوال ٣٧ عامًـا الـتي دعـوت فيهـا الله! لكنـه سـمعني - وفجـأة وجـدت نفـسي على الرمـال مرتجفًـا شـديد الفـزع ومُرضَّـض الجسـم. مـع ذلـك، كنـت مندهشًـا مـن أنـني مـا زلـت حيًـا!

خـلال أحـد عـشر شـهرًا تلـت ذلـك، كنـت قـد تزوجـت وصـار لنـا طفـلٌ صغـير - لكـن الأمـور لـم تـسر على مـا يـرام. وعوضًـا عـن أن أضـع رأسي بـين ذراعيَّ كمـا كنـت أفعـل طفـلًا، صرت (أبحلـق) في السـقف وأنـا في شـبه غيبوبـة .... كنـت مـا زلـت عارض أزيـاء. كل شيء آخـر جرَّبتـه، فَشِـل .... وهكـذا قـررت أن آخـذ زوجتي وابـني ونسـافر إلى فـورت لـودردل في ولايـة فلوريـدا.

كان عمـلي الأول عمـلًا جزئيًـا في معـرضٍ للأزيـاء «لاس أولاس بوليفـار.» كنـت أشـعر بالرعـب - إذ أننـي لـم أسـتطع أن أتحـدث الإنجليزيـة بشـكل صحيـح - وهكـذا عملـت في حفـر القنـوات وترميـم الجـدران وتنظيـف الحمامـات وغسـيل السـيارات. كنـت أواجـه مشـكلة خطـيرة مـع الصـور الخلاعيـة. وكنـت في حالةٍ من الكآبـة الشـديدة. لـم أتمكـن مـن التكيّـف مـع الثقافـة الأميركيـة، ومعظـم الذين

عملت معهم غشوني أو انتقصوا من أجري.

دُعينا بعد ذلك إلى كنيسة الأخبار السارة، حيث جثت إيلين على ركبتيها وقبلت الرب يسوع المسيح دونما فهمٍ عقلي كامل - كانت ترتجف خائفة! تقدمت أنا لقبول الخلاص في الأسبوع التالي، لكن لم ألاحظ أي تغيير. نوبات غياب الوعي صارت أسوأ، ولم أكن أتمكن من الاحتفاظ بأي عمل أكثر من أسبوع، مما زاد في كآبتي. وبدأنا أنا وإيلين نتشاجر دائمًا لأننا لا نملك أية نقود.

كانت إيلين قد تورطت بالسحر، ومنذ ذلك الحين وهي تعرف أنها تحتاج إلى تحرير - وقد تحررت عندما تخلت ورفضت كل علاقة لها بالسحر. أمّا أنا فلم أكن أعتقد أنني أحتاج إلى تحرير من أرواحٍ شريرة، ولم أكن أعتقد بأن الله يريد أن يباركني بالطريقة التي رأيته يبارك الآخرين فيها.

حتى ذلك الوقت، كنت قد عملت في كل المهن التي لا يليق بابن جنرال أن يعمل فيها! كان الناس يقولون لي: «لماذا لا تستخدم قدراتك الإبداعية؟» لكنني كنت خائفًا ، فكلّ شيء صالح كان يبدو بعيدًا عن متناول يدي.

ذهبت إلى إحدى محاضرات ديريك برنس، وكان موضوعها «اللعنات: السبب والعلاج،» لكن لم يحدث معي شيء. أخذتُ أشرطة مُسجَّلة وسمعتها مرةً بعد مرةٍ بعد مرة. كنت أرى احتياجي، وأتوق بشغف إلى أن أتحرر - لكن بدا لي أن جميع الطرق لا تنجح معي.

لكنني تحررت تدريجيًا. فبعد سنتين ونصف من الإيمان، دونما تقدم، قررت أن أصوم وأطلب من الله أن يحررني. صمت عشرة أيام، وعندما صلَّى معي بعض الأصدقاء المؤمنين، حصلت على تحرير جزئي.

ولأول مرة في حياتي شعرت بشيء من الفرح، إلا أنه لم يدم طويلًا. تعرَّضنا لعدد هائل من حوادث السير؛ ولم يكن بإمكاني أن أعيل أسرتي؛ كما كنت قلقًا على أبي الذي كان يحتضر في البرازيل ولم يكن لدي ما يكفي من المال من أجل زيارته.

جميع الذين حاولوا مساعدتي، رأوا أن حالتي مستحيلة - فقد كنت جامدًا وسلبيًا إلى أبعد الحدود. ولم أكن أشعر بالراحة وسط الرجال المؤمنين ....

إيلين وصديقتان من صديقاتها، بدأن يجتمعن للصلاة من أجل أزواجهن في السادسة من كل صباح في الكنيسة. كانت إيلين تقول لي: "سأصلي أن تكون ناجحًا في كل شيء تعمله، وأن يعطيك الرب عملًا تحبه وأن يستخدم المواهب التي أعطاك إياها." لم أكن أصدق أن الله يمكن أن يستجيب لصلواتٍ كهذه؛ وكنت أستغرب أنها تفعل ذلك! (لقد استجاب الرب لهنَّ جميعًا. أحد الأزواج الآن خادم متفرِّغ لخدمة الرب، وآخر تحرر من الإدمان وأنا حصلت على ما صلَّت زوجتي من أجله تمامًا.)

أخيرًا، وبعد ست سنوات من الإيمان، ذهبت إلى الراعي طالبًا الصلاة من أجل التحرير من الأرواح الشريرة (وذلك بعد سنوات من الكبرياء التي منعتني من الاعتراف بالحاجة إلى ذلك.) ثم ذهبت إلى مؤتمر روحي تدريبي، حيث اكتشفت ما عمله المسيح حقًا من أجلي، حتى أنني اندهشت تمامًا! شعرت بفرح عظيم - دخلت في علاقة حب مع الله - حتى أن شركائي وزبائني في معرض الأزياء أخذوا يترددون على الكنيسة لكي يعرفوا ما حدث معي!

لكن بعد فترة قصيرة، ذبل فرحي - عملي، وضعي المادي، قلقي على أبي .... كنت ما زلت سلبيًا ومُحبطًا. بدأت أشعر بدافع للرسم لكنني كنت خائفًا جدًا من الفشل. وفي النهاية، حاولت - ورسمت رسمًا بدائيًا ظنَّ الناس أن ابني ذا الثماني سنوات هو الذي رسمه! لكن الله كان يثير الأفكار الجديدة في رأسي وبدأت أبدع داخل دماغي ....

قررت أن أباشر أربعين يومًا من الصوم. شعرت أن الله يريد مني أن أترك عملي في معرض الأزياء، لكنني أردت أن أتأكد من ذلك. قلت ... لن آكل شيئًا حتى يكلمني! وبعد أربعين يومًا من الصوم، لم أسمع شيئًا. فصرت آكل أسبوعين وأصوم أسبوعين طوال الصيف. كان أقسى صيف في حياتي. كان صعبًا جدًا حتى أنني تعلمت كيف أصرخ إلى الرب طالبًا رحمته.

توسلت إليه أن يكلمني. كنت أحتاج لمعرفة إرادته. كانت زوجتي وأولادي يضعون أياديهم عليَّ ويصلون أن يصنع الله معجزةً في حياتي ...

وفي يومٍ من الأيام، أعطاني أحد أصدقائي الفنانين بعض القماش المشدود على إطارات خشبية ... وفي أحد أيام الأحد، أرسلت عائلتي إلى الكنيسة، وأخذت أرسم لوحتي الأولى.

بعد يومين، وأنا جالس في معرض الأزياء، كلَّمني الرب قائلًا: "أوتو، أتؤمن حقًا أنني أستطيع أن أباركك؟"

قلت: "نعم يا رب ..."

فقال: "فلماذا أنت جالس هنا؟ ألست هنا لأنك لا تريد أن تتبارك؟ أنت تختار. لم تثق بي حقًا طوال عمرك لأكون السيد على حياتك."

قلت: "خذها ... حياتي لك!"

قال: "خذ حقيبتك وامضِ إلى بيتك." (كان ذلك بالنسبة لي كأنه قال: «احمل سريرك وامشِ!»)

فقمت وتوجهت إلى البيت ولم أنظر إلى الخلف أبدًا.

بعت لوحتي الأولى خلال أسبوع بمبلغ ٨٠ دولارًا، وخلال أسبوعين حصلت على ٩٠٠ دولار مقابل ست لوحات. بعد شهرين كان ثمن لوحتي الواحدة ٦٠٠ دولار، ثم ١٨٠٠ دولار خلال سنة واحدة ثمنًا للوحة الواحدة. ثم وصل ثمنها إلى ٦٥٠٠ دولار قبل أن تمر سنتان!

بعت كل لوحاتي، ولا أستطيع اليوم أن أجد الوقت الكافي لتنفيذ كل الأعمال التي تُطلَب مني، وفوق كل شيء أحبُّ علمي!

بعد ٩ شهور من الرسم، كنت قادرًا على إعالة أسرتي. وليس هذا فقط، بل كان معي ما يكفي لرحلة البرازيل. لم يكن أبي قد سمع رسالة الإنجيل من قبل، لكنه لمَّا سمع آمن! لقد تمتعت بفرح رؤية أبي البالغ من العمر ٨٩ عامًا وهو يستجمع كل قواه لكي يصلي طالبًا غفران الرب ورحمته. ثم قدت

بعد ذلك عددًا من أخوتي وأخواتي، والكثير من الممرضات والغرباء لكي يقبلوا الرب. بعد أسبوعين من عودتنا إلى الولايات المتحدة، مات أبي والفرح يغمر وجهه! يا له من امتياز منحني إياه الرب!

التغيير الرئيسي الظاهر في حياتي كان ماديًا، لكن الواقع أن الأهم من ذلك هو أن الله كمَّل لي الإعلان حول ما فعله يسوع من أجلي على الصليب. والآن أنا أومن تمامًا أن الرب حررنا من اللعنة، وأن مشيئته هي أن يباركنا، وأنه يريد منا أن نضع كل اهتماماتنا تحت تصرفه. من دون نعمته وقوته، لا أستطيع أن أعمل أي شيء مهما كان، فكيف إذا كان ما أفعله أعمالًا فنية! إنني أعتمد كليًا على مسحته. أعلم أنه يحبني!

يكلمني الله الآن عن طريق الأحلام بكل وضوح ... وأنا أثق أنه إن أراد لي أن أتوقف عن الرسم، فذلك لأن هناك شيئًا أفضل. وسأسبحه دائمًا وأثق به.

لدي الآن ثلاثة أطفال أصحاء رائعين، حياة زوجيه سعيدة، أصدقاء رائعون، وأعتبر نفسي مباركًا في الرجال. لقد رأيت العدو ينهزم تمامًا في حياتي، وأعطاني الرب شهادةً شجَّعت جموعًا من المؤمنين وأدهشت غير المؤمنين!

في قصة أوتو هذه، هناك الكثير من الجوانب التي تعتبر مألوفة جدًا في حياة أشخاصٍ تخيم اللعنات على حياتهم. وفي القصة أيضًا تشجيع لأولئك الساعين إلى مساعدة أحبائهم على التخلص من حالات مشابهة. فيما يلي بعض أهم الدروس التي نتعلمها:

كان السبب الأساسي للعنات على حياة أوتو يعود إلى الارتباط العميق لعائلته (عبر الأجيال) بالممارسات الروحانية. وأنا بِتُّ متأكدًا أن اللعنات تتبع مثل تلك الممارسات كما يتبع الليل النهار.

لم ينحصر تأثير اللعنات الناتجة عن ذلك على أوتو كفرد، بل أثَّرت على معظم أخوته وأخواته بدرجات وطرق متفاوتة. لقد حدَّثنا أوتو عن اثنين منهم صرفا وقتًا طويلًا في مصحات نفسيه.

كانت أول خطوات تحرير أوتو تشخيصَهُ الصحيح لحالته. فبعد أن فهم تمامًا أن حياته كانت تحت لعنة، استطاع أن يتحرك ساعيًا إلى التحرير الذي اشتراه له يسوع من خلال المبادلة الإلهية على الصليب.

لكن أوتو، ككثيرين، عاش فترة طويلة تحت اللعنة، حتى أنه لم يكن يتخيل بركة الله كواقع في حياته. ولو تُرِك وحده فربما كان من المستحيل أن يدخل إلى البركة. كان أوتو خَوَّافًا وانطوائيًا. كان يفتقر إلى التصميم الذي يدفعه إلى أن «يغصب» بركة ملكوت الله. لكن الصلاة التشجيعية المثابرة التي داومت عليها زوجته وأولاده والآخرون حررته تدريجيًا من خوفه، وبنت فيه إيمانًا ملؤه الإصرار والتصميم، الأمر الذي مكَّنه من العبور من اللعنة إلى البركة.

وهذا من شأنه أن يشجع المؤمنين الآخرين القلقين بشأن أفراد عائلاتهم أو أحبائهم ممن يعانون من اللعنات. فالصبر والصلاة التشفعية المثابرة المدفوعة بالمحبة، يمكن أن تعمل على تحرير أولئك العاجزين عن ممارسة الإيمان من أجل أنفسهم.

ربما يقرأ هذا الكلام بعض الآباء أو الأمهات الذين أدركوا أن دخولهم في عالم السحر أو ما يرتبط به من شعوذة وتنجيم وغيرها قد وضع لعنةً على أولادهم جعلتهم أسرى للشيطان! لأولئك الآباء والأمهات، الذين تابوا وطلبوا الله من كل قلوبهم، يقدِّمُ الله وعدًا خاصًا في إشعياء ٤٩:٢٤-٢٥:

«هَلْ تُسْلَبُ مِنَ الْجَبَّارِ غَنِيمَةٌ؟
وَهَلْ يُفْلِتُ سَبْيُ الْمَنْصُورِ؟
فَإِنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ:
"حَتَّى سَبْيُ الْجَبَّارِ يُسْلَبُ،
وَغَنِيمَةُ الْعَاتِي تُفْلِتُ.
وَأَنَا أُخَاصِمُ مُخَاصِمَكِ
وَأُخَلِّصُ أَوْلاَدَكِ."»

وأخيرًا، من المشجع أن ننظر إلى المدى الذي يتمتع فيه أوتو بالبركة. لقد باركه الله، كما بارك إبراهيم تمامًا: باركه «في كل شي».

الفصل العشرون

بعد الاعتراف: الإعلان، الحمد، التسبيح

في الصلاة لأجل التحرير التي أوردناها في الفصل السابع عشر، كان التركيز الرئيسي على الحق المعلن في عبرانيين ٣:١، بأن يسوع هو «رئيس كهنة اعترافنا.» وينبغي لهذا المبدأ أيضًا أن يحكم علاقتنا المستمرة بالرب. ففي كل موقف نواجهه، علينا أن نتجاوب باستخدام الاعتراف الكتابي المناسب لكي نفعِّل خدمة يسوع المتواصلة كرئيس كهنتنا.

في معظم الحالات، هناك ثلاثة احتمالات: إما أن نعلن اعترافًا كتابيًا إيجابيًا، أو اعترافًا سلبيًا، أو أن لا نعلن أي اعتراف مطلقًا. فإذا أعلنا اعترافًا كتابيًا إيجابيًا، نطلق بذلك خدمة يسوع الذي يعيننا ويسدُّ احتياجنا. وإذا لم نعلن أي اعتراف، نكون متروكين لرحمة الظروف. أما إذا أعلنا اعترافًا سلبيًا، فإننا نعرِّض أنفسنا لقوات شيطانية شريرة. وكنا في الفصل الحادي عشر قد أعطينا أمثلة متنوعة في إطار الحديث عن اللعنات التي يجلبها الناس على أنفسهم، ورأينا كيف تؤدي الكلمات السلبية إلى إطلاق قوى سلبية شريرة في حياة الناس.

ومن الهام هنا أن نميز بين الاعتراف الكتابي المستند على الإيمان الحقيقي وبين أشياء أخرى كالتفكير الإيجابي أو الحدس الفائق أو فلسفة «تطويع المادة للعقل». فهناك ثلاثة فروق رئيسية: **أولًا**، «الاعتراف» بالمعنى الكتابي محصور بوعود وإعلانات الكتاب المقدس. ويتضمن ذلك أن نقول بأفواهنا ما قاله الله بالفعل في كلمته. ولا يتجاوز الاعتراف الحقيقي هذا المفهوم.

ثانيًا، الاعتراف محدود أيضًا بالشروط المقرونة بأي وعد كتابي. الغالبية العظمى

مـن وعـود الكتـاب المقـدس مشروطـة. يقـول الله مثـلًا: «إن فعلـت كـذا وكذا، أفعـل أنا كـذا وكـذا ....» فـإن لـم نفعل المطلـوب، ليس لنا الحـق بالمطالبة بمـا يفعلـه الله. فالاعتراف فعَّـال بالقـدر الذي نحقـق فيه الـشروط الملائمة. ولـم يكن الاعـتراف يومًا بديـلًا للطاعة.

ثالثًـا، لا يمكـن الحـط مـن قـدر الاعـتراف ليصبـح مجـرَّد «نظـام» تقليـدي يعمـل وفـق الإرادة البشريـة. فبحسـب رومية ١٠:١٠، يكـون الاعـتراف فعَّـالًا فقـط عندمـا يصـدر عـن الإيمـان بالقلـب. وهنـاك فـرق جـذري بـين الإيمـان بالقلـب والإيمـان بالذهـن. الإيمـان بالذهـن هـو نتـاج أنشـطتنا العقليـة الخاصـة، وكل مـا ينتـج عـن ذلـك هـو كلمـات تفتقـر إلى القـوة. أمّـا الإيمـان بالقلـب فـلا ينتـج إلا بقـوة الـروح القـدس، وهـذا ينتـج كلمـاتٍ مشـحونةً بالقـوة لإنجـاز مـا تـمَّ الاعـتراف بـه. فمـا وعـد بـه الله مقابـل الإيمـان القلـبي، لا يمكـن الوصـول إليـه بالإيمـان العقـلي المجـرَّد.

وإذ يمنـح الـروح القـدس الإيمـان للقلـب، فإنـه يحـرس أيضًـا سـيادته بغـيرةٍ إلهيـة. الـروح القـدس لا يسـتجيب للعِرافـة، ولا أحـد يسـتطيع أن يتلاعـب بـه أو أن يُفزعـه أو يجـبره على عمـل شيء لا يريـده. ويقـول بولـس بخصـوص هـذا الإيمـان أنـه «**لَيْـسَ مِنْكُـمْ. هُـوَ عَطِيَّـةُ اللهِ. لَيْـسَ مِـنْ أَعْمَـال كَيْـلاَ يَفْتَخِـرَ أَحَـدٌ**» (أفسـس ٢:٨-٩). فبينمـا يميـل الإيمـان الذهـني إلى التفاخـر والتأكيـد على الذات، فـإن الإيمـان الحقيـقي بالقلـب يعلـن بتواضـع اتـكاله الـكلي على الله.

والاعـتراف بحسـب هـذه الصفـات - إن فهمناهـا وطبقناهـا - يمكـن أن يكـون عامـلًا حاسـمًا في حيـاة المؤمـن. في يعقـوب ٣:٤-٥ يشـبِّه الرسـول اللسـان بدفـة السـفينة، فمـع أنهـا صغـيرة جـدًا بالنسـبة لحجـم السـفينة كلهـا، إلا أنهـا تحـدِّد اتجـاه السـفينة! فـإذا اسـتُخدمت الدفـة بشـكل صحيـح، انقـادت السـفينة إلى الميناء المطلـوب. أمـا إذا أُسيء اسـتخدامها، فالنتيجـة سـفينة محطمـة!

وهـذا ينطبـق على الطريقـة الـتي نعـبر فيهـا عـن الإيمـان. الاعـتراف الصحيـح يمكـن أن يقودنـا إلى كل البركـات الـتي وعدنـا بهـا الله. أمـا الاعـتراف الخاطـئ فيمكن أن يجـرف حياتنـا بعيـدًا إلى بحـار خطـرة مجهولـة، تتحطـم فيهـا سـفينتنا.

كثيرًا ما يتهرب الناس من مسؤولية ما يقولون. لكن يسوع يؤكد أنه ما من مهرب لأحد من ذلك:

«لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ.» (متى ١٢:٣٧)

فإما أن تؤكد كلماتنا على برِّنا في نظر الله، أو تضعنا تحت دينونة. وما من حلٍّ متوسط بين هذا وذاك.

وفق رومية ١٠:١٠، يصير الإيمان بالقلب فعَّالًا عندما يُعترف به بالفم. وينطبق هذا أيضًا على عدم الإيمان. فعندما نعبِّر عن عدم إيماننا بالكلام، فإننا نطلق قوة سلبية للعمل ضدنا، ولمنع البركات التي وعد الله بها كل من يؤمن.

أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فيقدم تحذيرين آخرين بخصوص أهمية الاعتراف الصحيح:

«فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللهِ، فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ (أي الاعتراف).» (عبرانيين ٤:١٤)

ثم في عبرانيين ١٠:١٩، ٢١، ٢٣:

«فَإِذْ لَنَا .... كَاهِنٌ عَظِيمٌ عَلَى بَيْتِ اللهِ .... لِنَتَمَسَّكْ بِإِقْرَارِ (أي باعتراف) **الرَّجَاءِ رَاسِخًا، لأَنَّ الَّذِي وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ.»**

في هذه الفقرات، هناك ربطٌ مباشر بين إقرارنا (اعترافنا) وخدمة يسوع كرئيس كهنتنا. والمبدأ نفسه يتوافق مع تعليم العهد الجديد كله، حيث أن اعترافنا هو الذي يربطنا بيسوع باعتباره رئيس كهنة أعظم يستخدم خدمته الكهنوتية لأجلنا.

التأكيد الآخر في هذين المقطعين على كلمة «لنتمسك». نعم، من الضروري أن نقدم الاعتراف أولًا، لكن هذا لا يكفي! ففي كل موقف بعد ذلك، علينا أن نجدد التأكيد على اعترافنا الأصلي.

ولا يحثنا الكاتب في عبرانيين ١٠:٢٣ على التمسك بالاعتراف فقط، بل أن نتمسك به «**رَاسِخًا**». ولا بدَّ أنه يتصور تنوع وكثرة الظروف التي قد تؤدي إلى تهديد رسوخ ذلك الاعتراف. وقد يكون عدم الرسوخ بعدم المحافظة على الاعتراف الأصلي، أو ربما تغيير اعتراف إيجابي إلى اعتراف سلبي. مهما كان الحال، فإن هذا التحذير ضد عدم الرسوخ يشير إلى أن كل الضغوط الموجهة ضدنا لها هدف واحد: أن نتراجع أو أن ننكر اعترافنا الصحيح الذي سبق لنا وأعلناه.

قد يبدو مفهوم الاعتراف الصحيح بسيطًا جدًا، وربما بالغ البساطة. كل ما هنالك هو أن نقول ما يقوله الكتاب المقدس تمامًا بخصوصِ كل مشكلة أو امتحان، ثم أن نواصل قول ذلك باستمرار. والحق يقال إنه بسيط بالفعل، لكنه ليس سهلًا! والواقع أنني استنتجت من خبرتي الخاصة ومن ملاحظة حياة الآخرين، أن الاعتراف هو من أدق الاختبارات لفحص شخصية المؤمن المسيحي وتكريسه.

إنه الاختبار الذي واجهه كل شهيد من أجل المسيح. أمام الاتهام والتهديد والتعذيب، يظل التزامه هو هو: أن يحافظ على اعترافه بالحق إلى النهاية.

وعندما تأتي الاتهامات من البشر المرئيين، تكون الأمور واضحةً على الأقل. لكن هناك نوعًا آخر من الامتحانات لا يسهل تمييزها، إذ يكون الاتهام داخليًا موجهًا ضد الذهن من قبل قوات شيطانية شريرة. لكن المطلوب في الحالتين واحد: التمسك بالاعتراف بالحق بتصميم راسخ إلى أن تُخرسَ تلك القوى الخفية وتُستأصل.

كل مؤمن يجتاز هذا الامتحان له أن يتيقن من أنه مؤمن غالب، وأنه سيرث البركة التي وعد بها الله لمن يغلب.

وللتعبير المنتصر الكامل عن الإيمان، هناك أسلوب كتابي أكثر تقدمًا من مجرَّد الاعتراف؛ إنه «الإعلان». والإعلان هو التعبير الجهوري الصارخ الذي يتضمن تأكيد الإيمان بكل قوة وثقة لا يسكتها عائق أو يحبطها تفشيل. ويتضمَّن الإعلان انتقالًا من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم.

في المزمور ١١٨:١١-١٧، يصف المرنم اختبار الإعلان هذا. لقد أحاط به الأعداء من كل جانب وكانوا على وشك تدميره، لكن الرب تدخل وأعطاه الغلبة. أمّا انتقاله من موقف الدفاع إلى الهجوم فيصفه في العددين ١٥، ١٧:

«صَوْتُ تَرَنُّمٍ وَخَلاَصٍ
فِي خِيَامِ الصِّدِّيقِينَ:
"يَمِينُ الرَّبِّ صَانِعَةٌ بِبَأْسٍ ...."
لاَ أَمُوتُ بَلْ أَحْيَا
وَأُحَدِّثُ بِأَعْمَالِ الرَّبِّ.»

هذا هو إعلان الثقة والفرح بما صنع الرب للمرنم، ويأتي هذا الإعلان ختمًا على انتصاره. الممارسة السليمة لمثل هذا الإعلان، تمتعنا نحن أيضًا بالنتيجة نفسها.

فبينما نمارس الإعلان الواثق بكل ما قدمه لنا الله في ذبيحة يسوع، يقودنا ذلك بشكل طبيعي إلى شكلين آخرين من أشكال التعبير هما الحمد (الشكر) والتسبيح. إن كنا حقًا نؤمن بما أعلنَّاه، فما من تجاوب آخر عدا الحمد والتسبيح يمكن أن يناسب موقفنا! فحيثما وُجِد الإيمان الحقيقي، لا بدَّ أن يُتبَع اعتراف الإيمان بالحمد والتسبيح.

ورغم الصلة الوثيقة بين الحمد والتسبيح إلا أنَّ هناك فارقًا بينهما. ببساطة شديدة، نحن نحمد الله ونشكره على أعماله، بينما نسبِّحه من أجل شخصه هو. وبالحمد والتسبيح معًا نستطيع الدخول إلى حضرة الله.

هذا ما يصوره لنا مزمور ١٠٠:٤ من خلال هذه الكلمات الجميلة:

«ادْخُلُوا أَبْوَابَهُ بِحَمْدٍ، دِيَارَهُ بِالتَّسْبِيحِ. احْمَدُوهُ، بَارِكُوا اسْمَهُ»

يصور لنا المرنم هنا مرحلتين نتقدَّم فيهما إلى الله: أولًا، ندخل **أبوابه بحمد**، ثم نصل إلى **دياره بالتسبيح**، وهكذا نكون في محضره على الفور. فإن لم نحقق هذين

المطلبين للدخول إلى محضر الله، نستطيع - على أية حال - أن نصرخ إليه، ولكن عن بُعد! وهو سيستجيب لنا برحمته، لكننا لن نتمتع بالدخول المباشر إلى حضرته!

الحمد والتسبيح هما الطريقان الفوريان لتجاوب إيماننا مع الله. فكلما أعطانا الله وعدًا أو بركة، أو أعلن لنا إحسانًا من إحسانات نعمته فعلينا أن نتجاوب كإبراهيم، فنقبلَ كلمة الله باعتبارها الحق منذ اللحظة الأولى التي نسمعها فيها. ويتبع ذلك منطقيًا أن نبدأ بحمد الله وتسبيحه فورًا، فلا ننتظرُ إلى أن نختبر بالفعل تحقيق وعود الرب وانسكاب بركته!

وهناك توضيح لهذا المبدأ في ٢أخبار الأيام ٢٠، في حادثةٍ وقعت أيام حكم يهوشافاط، ملك يهوذا. علم يهوشافاط أن جيشًا كبيرًا كان آتيًا من الجنوب لغزو مملكته، وإذ كان يهوشافاط يعلم أنه لا يملك قواتٍ عسكريةً كافيةً لصد ذلك الغزو، جمع شعبه كله لطلب معونة الله من خلال الصلاة والصوم بنفس واحدة.

وقد استجاب لهم الله من خلال نبوة على فم أحد اللاويين، فيها إرشادات للملك حول المسار الذي عليه أن يقود شعبه فيه. كما تضمنت النبوّة كلمات تشجيع وتأكيد: «**لاَ تَخَافُوا وَلاَ تَرْتَاعُوا بِسَبَبِ هذَا الْجُمْهُورِ الْكَثِيرِ، لأَنَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ لَكُمْ بَلْ للهِ .... لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحَارِبُوا فِي هذِهِ. قِفُوا اثْبُتُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ .... الرَّبُّ مَعَكُمْ**» (الأعداد ١٥-١٧).

حتى ذلك الحين، لم يكن شيء ملموس قد تغيَّر في الحالة العسكرية ليهوذا، لكن يهوشافاط قبل وعد الله بالإيمان دون أن يطالب بأية أدلةٍ إضافية. وفي اليوم التالي ...

«**.... أَقَامَ مُغَنِّينَ لِلرَّبِّ وَمُسَبِّحِينَ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ أَمَامَ الْمُتَجَرِّدِينَ وَقَائِلِينَ: "احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ"**». (العدد ٢١)

بالتأكيد ليست هذه هي الطريقة التقليدية التي يخرج بها جيشٌ إلى الحرب .... لكنها نجحت! وما أن سمع الرب تسبيح شعبه، حتى تدخل بسيادته الكلية وقوته الفائقة للطبيعة، فأرسل روح انقسام بين الشعوب المعادية التي كان الجيش الغازي

مكوَّنًا منها. وفجأةً، ودونما سبب ظاهر، أخذوا يتقاتلون فيما بينهم إلى أن هلك الجميع. لم يقاتل شعب يهوذا، لكنه جمع الغنائم من أعدائه المقتولين! لقد تدخل الله بهذه الطريقة، لأن شعبه تجاوب مع وعده بالإيمان دون السعي وراء أدلة ملموسة.

نجد في هذه القصة مبدأين هامين: الأول أن الله يتوقع منا أن نقدم له الحمد والتسبيح عند قبول وعوده، وذلك قبل أن تتحقق بالفعل على أرض الواقع. والمبدأ الثاني هو أن الحمد والتسبيح اللذين يقدَّمان بالإيمان يؤديان إلى تدخل إلهي معجزي في حياتنا. ونقول باختصار: الإيمان يبدأ بتسبيح الرب قبل تحقيق النصر الموعود لا بعده.

في العهد الجديد تأييد واضح جدًا لهذين المبدأين، وذلك في اختبار بولس وسيلا في فيلبي (أعمال ١٦). فبسبب أنهما طردا روحًا شريرًا من جارية بها روح عِرافة تم القبض عليهما ظلمًا، وضُربا بوحشية وأُلقيا في السجن تحت حراسة مشددة، حتى أن أرجلهما قُيِّدت في المقطرة.[١٦] لم يكن في زنزانتهما المظلمة شعاع واحد من ضياء، ولا في جسديهما راحة، أو في مصيرهما المجهول ما يوحي بأي أمل!

لكن في أعماق روحيهما، كان بولس وسيلا يعلمان أن لا شيء يمكن أن يغير أمانة الله الأزلية، أو أن يسلب منهما انتصار المسيح الذي حققه لهما. لقد تفوَّق منطق الإيمان على منطق الظروف. وفي منتصف الليل، حيث الظلمة في أوجها، كان بولس وسيلًا يصليان ويسبحان الله!

وقد حقق التسبيح لهما ما كان قد حققه لجيش يهوشافاط، إذ تدخل الله تدخلًا معجزيًا من أجلهما.

«فَحَدَثَ بَغْتَةً زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَتَّى تَزَعْزَعَتْ أَسَاسَاتُ السِّجْنِ، فَانْفَتَحَتْ فِي الْحَالِ الأَبْوَابُ كُلُّهَا، وَانْفَكَّتْ قُيُودُ الْجَمِيعِ.» (أعمال ١٦:٢٦)

ويوجز لنا الرب نفسه هذا الدرس الذي نتعلمه من جيش يهوشافاط ومن بولس وسيلا في سجن فيلبي:

(١٦) لوحان خشبيان مثقلان بالحديد بينهما فتحتان ضيقتان لتثبيت أرجل السجناء.

«ذَابِحُ الْحَمْدِ يُمَجِّدُنِي، وَالْمُقَوِّمُ طَرِيقَهُ أُرِيهِ خَلاَصَ اللهِ.» (مزمور ٥٠:٢٣)

إن خلاص الله كامل وقد تمَّ بالفعل من خلال ذبيحة يسوع على الصليب. ما من شيء نقوله أو نفعله يمكن أن يغير هذه الحقيقة. لكن عندما نتجاوب بتقديم ذبائح الحمد والتسبيح، فإننا نفتح الباب لإظهار بركات الخلاص في حياتنا. فكيهوشافاط وبولس وسيلا، علينا أن نتعلم كيف نقدم هذه الذبائح بالإيمان، حتى قبل أن نختبر تلك البركات عمليًا.

يقول داود في مزمور ٢٠:٥:

«بِاسْمِ إِلهِنَا نَرْفَعُ رَايَتَنَا.»

وثم في نشيد الأنشاد ٦:١٠، تُصوَّر لنا عروس المسيح على أنها **«مُرْهِبَةٌ كَجَيْشٍ بِأَلْوِيَةٍ.»** والألوية هي الرايات. لقد أعطانا الله ثلاث راياتٍ فعَّالةٍ إلى أقصى الحدود لكي نرفعها: الإعلان، الحمد، التسبيح.

أولًا نرفع راية الإعلان. نتكلَّم بكل جرأة معلنين بالإيمان وعد كلمة الله الذي ينطبق على حالتنا أو يتلاءم مع احتياجٍ محدد في حياتنا. وأخيرًا، ننتقل من الحمد إلى التسبيح بكل ابتهاج. هذا كله، نعمله بإيمان خالص، دون أن نتريث حتى نرى تغييرًا ملموسًا في حالتنا مهما كانت.

ويتجاوب الله مع إيماننا بطريقته هو وفي وقته هو، تمامًا كما فعل مع إبراهيم. وعندها نرى الحقيقة التي كنا قد أعلنَّاها وحمدنا الله عليها وسبحناه - وقد أصبحت واقعًا ملموسًا في اختبارنا.

وإذ نرفع هذه الرايات - الإعلان والحمد والتسبيح - نحقق هدفين معًا في وقت واحد. **أولًا**، نحافظ لأنفسنا على البركة التي وعدنا بها لله. **ثانيًا**، نصد القوات الشيطانية التي ستقاومنا وستسعى إلى منع البركة عنا. وهكذا، إذ نتقدم نحو ميراثنا نحقق الصورة النبوية التي رسمها سليمان عن الكنيسة: **«مُرْهِبَةٌ كَجَيْشٍ بِأَلْوِيَةٍ.»**

الفصل الحادي والعشرون

إعلانات من أجل انتصار متواصل

هـذه الحقائـق الـتي أشـاركها معكـم في هـذا الكتـاب، هي أكـثر مـن أبحـاث نتجـت عـن سـعي عقلانـي إلـي المعرفـة المجـردة. علي العكـس مـن ذلـك، فقـد اسـتخرجتها مـن مناجـم الصـلاة المكثفـة المتواصلـة و المصارعـة الروحيـة الـتي تشـاركنا بهـا أنـا وزوجـتي روث أكـثر مـن ثـلاث سـنوات. كل فكـرة رئيسـة وردت في هـذا الكتـاب كانت قـد خضعـت أولاً للامتحـان في اختبارنـا الخـاص. لـم أشـعر بالحريـة في أن أمـررّ لكـم أيـه نظريـات لـم تبرهـن عمليـاً في حياتنـا.

فـي الفصـل السـابق، شرحـت كيـف أن الإعـلان و الحمد و التسـبيح تعمـل جميعها على تحقـيق بـركات الله الموعـودة في حياتنـا. في هـذا الفصـل، سـأشرح باختصـار كيـف تعلمنـا أنـا وروث أن نطـبق هـذا المبـدأ في حياتنـا العمليـة. إن الممارسـة المنتظمـة لإعلان كلمـة الله ومـن ثـمَّ حمـده مـن أجلهـا وتسـبيحه، صـارت جـزءاً لا يتجـزأ مـن انضباطنـا الـروحي. ونحـن نعتـبر هـذه الممارسـة، مـن أغـني و أثمـن الحقائـق الـتي علمنـا الله إياهـا مـن خـلال كلمتـه المقدسـة.

لقـد قادنـا الله إلى تأسـيس «بنـك» مـن المقاطـع الكتابيـة الـتي حفظناهـا عـن ظهـر قلـب، و «نسـحب» منهـا في أوقـات الصـلاة أو حينمـا ندخـل في حـرب روحيـة. وإعـلان هـذه المقاطـع بالايمـان، كان ينقلنـا دايمـاً إلي التعبـير المناسـب بالحمـد والتسـبيح.

وقـد تعودنـا أن ننطـق بهـذا الإعلانـات الكتابية معـاً بصوت واحـد. ونحـن لا يكلّم أحدنـا الآخـر أو نخاطـب سـقف الغرفة وجدرانهـا، بـل نخاطب عالمـاً روحياً خفيـاً. أولاً

نحن نخاطب الله الآب، الابن، الروح القدس، ثم جميع الكائنات السماوية التي تعبد الله تخدمه، تلك التي جعلها الله «**أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ**» (عبرانيين ١: ١٤). كما أننا نعي أننا محاطون بـ «**سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ**» مكونة من قديسي كل العصور الذين أكملوا سعيهم على الأرض بانتصار (عبرانيين ١٢:١)

ونؤمن أن مثل هذه الممارسة تتضمن بالتالي تطبيقاً مشروعاً لعبرانيين ١٢:٢٢- ٢٤

«**... بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ. أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَإِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ**».

و من بين جمهور السامعين، هناك الشيطان أيضاً وجميع الملا ئكة الساقطة و الأرواح الشريرة التي يسيطر عليها الشيطان. وهذه تتجاوب بطريقة معاكسة تماماً لتجاوب ملائكة الله الخادمة . فهدفها أن تصيب الناس جميعاً بكل أشكال الأذي و الشر، ولا سيما أولئك الذين يخدمون الله الحقيقي. وعليه، فإن للإعلان تأثيرين أساسيين : أولاً، أن الله يتحرك ويحرك ملائكته لمعونتنا . وثانياً، أن هذه الإعلانات تحمينا من مخططات و هجومات الشيطان وقواته الشريرة.

وهذا النمط من الإعلان يعمل باستمرار على بناء إيماننا وتنميته. فبحسب رومية ١٠:٧

«**الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ.**»

و الخبر بالطبع يكون بالسماع. إن سماع الآخرين يعلنون كلمة الله مفيدٌ جداً، إلا أن سماع كلمة الله ونحن أنفسنا ننطق بها، أكثر فعاليةٍ وفائدة. وبينما اعتدنا أنا وروث أن نتكلم ونسمع، فإن حدي سيف كلمة الله كانا يعملان فينا في وقت واحد. (انظر عبرانيين ٤:١٢)

و أخيراً، عندما نعلن الإعلان نفسه معاً، وبانسجام ونفسٍ واحدة، فإن قوة الله المعجزية تتدخل. يقول يسوع: «**إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبَانِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.**» (متى ١٩:١٨)

هناك قوة هائلة في الإعلان الذي ينطق به مؤمن واحد، إلا أنّ القوة تتضاعف بما لايُقاس عندما ينطق بالإعلان شخصان أو أكثر بنفس واحدة.

لكن هناك حالات وأوقات لايكون من الملائم فيها أن تنطق بالإعلان بصوت مرتفع! والبديل هو أن تعلنه في ذهنك بطريقة غير مسموعة. فالكلمات غير المسموعة يمكن أن يكون لها تأثير جبار في العالم الروحي.

وربما هذه الطريقة هي الأكثر فعاليةً في مقاومة الأكاذيب والا تهامات التي يبثُّها الشيطان في أذهاننا. الذهن هو الميدان الرئيسي لكل هذه الصراعات. وعندما تتجاوب أذهاننا بفعالية مع الكلمة التي تُعلَن داخلياً، لا يعود هناك مكان لأفكار العدو ووساوسه.

في هذا كله، علينا أن نحرص على الاتكال المستمر على الروح القدس. و إلا فإنَّ الذهن الجسدي سيحول هذه المبادئ إلي مجردَّ «نظام» فارغ نجعل فيه الله مجردَّ «آلة بيع سماوية»، نضع فيها الإعلان المناسب لكي نحصل على سلعةٍ نختارها لشبعنا الجسدي! وواضح أن هذه صورة هزلية لعلاقة مؤمن بالرب!

ربما تكون هناك فجوة كبيرة بين الكيفية التي نرى أنفسنا عليها وبين تلك التي يرانا عليها الروح القدس. ربما ندرك ما الذي نريده، لكن الروح القدس يرى ما نحتاجه. هو وحده الذي نستطيع أن نثق به لكي يقود كل واحد منا إلى الإعلان المناسب الذي ينطبق على حالتنا ومستوى إيماننا. بهذه الطريقة، يستطيع الله أن يحقق مقاصده في حياتنا.

ومع هذا التنبيه، أشعر أنه من المناسب أن أقدم لكم فيما يلي بعض

الأنماط فقط لبعض الإعلانات التي اعتدنا أنا وروث أن نعلنها معاً في الأحوال التي نجد أنها مناسبة لها. وبالقدر الممكن، نحاول أن نجعل كلمات الإعلان شخصية، وذلك بأن نحوّل صيغة الخطاب الموجودة في النص باستخدام ضمير المتكلم « أنا، نحن، لنا، ... وهكذا»، بالاضافة إلى ما يتبع ذلك من تعديلات لغوية.

القائمة أدناه تبدأ بمقاطع كتابية تتعلق مباشرةً بموضوع هذا الكتاب، ثم تنتقل إلى موضوعات عامة. وهناك بعض الملاحظات التوضيحية بعد كل إعلان.

١) كنتيجة لرفع صلاة التحرير من اللعنة. (انظر الفصل السابع عشر)

المسيح افتدانا من اللعنة من خلال ذبيحته الكفارية على الصليب. أنا انتقلت من اللعنة إلى بركة إبراهيم، الذي باركه الله في كل شئ. (انظر غلاطية ٣:١٣-١٤)

تحررت زوجتي روث من عدة لعنات كانت علي حياتها، لكنها خاضت معركة طويلة حتى رأت ذلك التحرير بطريقة ملموسة. لذلك، صار لهذا الإعلان بالذات أهمية خاصة بالنسبة لنا. كنا نردده عدة مرات كل يوم. وخلال السنوات الثلاث التي سبقت تأليف هذا الكتاب، رددناه مئات المرات. في كل مرة، كنا نبتعد خطوةً أخرى عن تأثيرات اللعنات وندخل إلي ميراثنا من البركة.

٢) عندما نكتشف وجود قوى سلبية موجهة ضدنا، سواء من خدام الشيطان أو بسبب كلمات نفسانية ينطق بها مؤمنون. (انظر الفصول ١٢، ١٣، ١٤)

كل آلةٍ صوّرت ضدي لا تنجح، وكل لسانٍ يقوم عليَّ في القضاء (الدينونة) أحكم عليه الآن. هذا هو ميراثي أنا عبد الرب، وبرّي من عنده. (انظر إشعياء ٥٤:١٧)

هناك نقطتان هامتان بخصوص هذا الإعلان. **أولاً** لسنا مطالبين هنا بأن نسأل الله أن يدين و يحكم على كل لسانٍ يتكلم ضدنا. لقد أعطانا الله السلطان لنعمل ذلك بأنفسنا، وهو يتوقع منا أن نمارس السلطان.

ثانياً، حقنا باستخدام هذا السلطان يعتمد على أننا لا نتصرف بناءً على برنا الذاتي، بل لأن برَّ الله قد أُعطي لنا بناءً على إيماننا. وواضح أن هذا ناتج عن المبادلة التي صار فيها يسوع خطية بخطيتنا لكي نتبرر ببره. ففوائد المبادلة مترابطة، وعلينا أن لا نفككها.

لكن الله يطلب منا أكثر من رفض و إدانة الكلمات الشريرة الموجهة ضدنا. فبعد ذلك، يطلب الله منا أن نغفر لأولئك الذي يسيئون إلينا. ثم يتوقع منا أن ننتقل من السلبي إلى الإيجابي، حيث نقابل اللعنة بالبركة.

مباركة الذين يلعنوننا لا تختلف عن الغفران للذين يسيئون إلينا، فكلاهما قرار يعتمد على طاعة كلمة الله، لا على المشاعر. وهذه عبارة مناسبة تصلح لإعلان قرار الغفران والمباركة على حدٍّ سواء:

"يارب، أنا أسامح كل من تكلم بالشر ضدي، وأباركهم باسمك".

إذاً هناك ثلاث خطوات متتالية للتجاوب مع أولئك الذين يلعنوننا: **أولا**، نحكم على اللسان الذي نطق باللعنة. **ثانياً**، نغفر للشخص الذي نطق بها. **ثالثًا**، نطلب من الله أن يباركه. وبهذه الخطوات الثلاث، نستطيع أن نبدد أيه ظلمة روحية أو ثقل شيطاني تجلبه اللعنة علينا.

٣) عندما تلاحقنا من الماضي ضغوط الخطية والشعور بالذنب وعدم القيمة.

أنا في المسيح، لذلك أنا خليقة جديدة. جميع الأشياء العتيقة مضت، وكل شيْ في حياتي صار جديداً. وكل شيء هو من الله. (انظر ٢ كورنثوس٥: ١٧- ١٨)

لقد قبل الله المسؤولية الكاملة عن خليقته الجديدة. فالكل من الله. لم ينتقل إلينا شئ في الخليقة العتيقة التي فسدت وتشوَّهت.

وعندما يحاول الماضي أن يطالب بحقوقه القديمة علينا، نحتاج إلى التأمل

بالصورة التي يقدمها لنا يوحنا في رؤيا ٥:٢١

«وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ:«هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!». وَقَالَ لِيَ: «اكْتُبْ: فَإِنَّ هذِهِ الأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَأَمِينَةٌ.»

هذه كلمات الجالس على العرش ، الذي يخضع له الكون كله وما فيه. هذا يشمل كل تفاصيل حياتنا. إنه يؤكد أنه يصنع كل شئ جديداً.

ويبدو أن يوحنا تساءل في داخله، إن كان هذا الكلام مبالغاً فيه، حتى مع أن الله هو قائله! لكن الرب يؤكد له: «**اكْتُبْ: فَإِنَّ هذِهِ الأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَأَمِينَةٌ.**» وكأنه يقول :«نعم يا يوحنا، تستطيع أن تؤكد لشعبي أنني أفعل ما أقوله تمامً.»

٤) عندما تهاجمنا ظلمات اليأس وهواجس الموت.

«لاَ أَمُوتُ بَلْ أَحْيَا وَأُحَدِّثُ بِأَعْمَالِ الرَّبِّ.» (مزمور ١٧:١١٨)

وبالطبع، لا يعني ذلك» أنا لن أموت!» بل يعني «لن أموت قبل الوقت الذي يختاره لي الله؛ لن أسمح للشيطان بأن يقتلني.» إن إعلان هذه الكلمات بإيمان و إدراك، يمكن أن يحرر أولئك الذين يهاجمهم روح الموت وأن يحميهم. كما يمكن استخدامها لإبطال كل كلام سلبي يعرّض الناس أنفسهم بواسطته إلى روح الموت. (انظر الفصل الحادي عشر للتعرف على أمثلة ذلك.)

٥) عندما تهاجم أجسامنا الضعفات والأمراض

يسوع نفسه حمل خطاياي في جسده على خشبة الصليب لكي أموت عن الخطايا و أحيا للبر. أنا شفيت بسبب جراح يسوع. (انظر ١بطرس٢:٢٤)

وقد صغتُ الإعلان الخاص التالي أيضاً من مجموعة من الحقائق بنيتها على عدة مقاطع كتابية مختلفة. وقد كان عوناً لكثير من المؤمنين في أماكن كثيرة من العالم.

جسدي هو هيكل للروح القدس؛ افتُدي و تطهَّر وتقدَّس بدم يسوع. أعضاء جسدي أدوات للبر قدمتها لله ولخدمته. لا مكان لإبليس في حياتي، ولا قوة له ضدي، ولاحقوق له عليَّ. كل شئ حُسِمَ وتمَّ بدم يسوع.

أنا أغلب الشيطان بدم الحمل وبكلمة شهادتي، ولا أحب حياتي حتى الموت جسدي للرب والرب لجسدي.

(مبنية على ١كورنثوس٦:١٩؛ أفسس١:٧؛ ١يوحنا ١:٧؛ عبرانيين١٣:١٢؛ رومية ٦:١٣؛ ٨:٣٣-٣٤؛ رؤيا ١٢:١١ ؛ ١كورنثوس ٦:١٣.)

ويتساءل أحدهم، هل من الأمانة و الصدق أن أعلن إعلاناتٍ كهذه، وأنا أرى في جسدي أدلة ملموسة علي وجود المرض، أو عندما أشعر في نفسي بضغوطات الخطية؟ وتعتمد الإجابة على الكيفية التي تنظر بها إلى الأمر. فإنْ كنت تنظر إلى نفسك من خلال حالتك الطبيعية، فليس من الصدق أن تعلن ذلك الإعلان. أمّا إن كنت تنظر إلى نفسك كما يراك الله في المسيح، فلك الحق بأن تعلن ذلك.

عندما نتوب عن خطايانا ونسلّم حياتنا للمسيح لا يعود الله ينظر إلينا كما نحن في حالتنا الطبيعية، لكنه ينظر إلينا من خلال المبادلة التي تمت على الصليب. إنه يرانا مبرَّرين من الناحية الروحية، و كاملين أصحاء من الناحية الجسدية .

وفي كلمة الله المكتوبة، هناك ملاحظة هامة تتعلق بالشفاء، وهي أن الشفاء الذي صار لنا بذبيحة المسيح لم يأت الحديث عنه ولا مرةً واحدةً بصيغة المستقبل. في إشعياء ٥٣:٥، المكتوب قبل أكثر من ٧٠٠عام قبل موت المسيح، تأتي الإشارة إلى الشفاء باعتباره حقيقة واقعة: «**وَبِحُبُرِهِ** (جراحه) **شُفِينَا.**» وكذلك في العهد الجديد، في ١بطرس ٢:٢٤ التي ذُكرت أعلاه، يقتبس الرسول من إشعياء ٥٣:٥ مغيّراً صيغة الخطاب، لكنه يؤكد على صيغة الماضي بقوله «**بِجَلْدَتِهِ** (الجراح الناتجة عن الجلد) **شُفِيتُمْ.**»

عندما يتوافق ما نقوله عن أنفسنا مع ما يقوله الله عنا في المسيح، فإننا

نفتح الباب أمامه ليجعل حياتنا تنطبق، بالاختبار العملي، على كلامه. لكن إن لم نقدم الإعلان المناسب عن أنفسنا فإننا نكون محصورين في سجن حالتنا الطبيعية، ونكون بذلك قد أغلقنا على أنفسنا بعيداً عن نعمة الله الفائقة المغيّرة، التي لا تعمل إلا بالإيمان.

ثم قد يسأل أحدهم: ماذا عن شخصٍ يقول ويعمل كل الأشياء الصحيحة، لكن النتائج الموعودة لا تأتي؟! والجواب في كلمات موسى في تثنية ٢٩:٢٩.

«السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا، وَالْمُعْلَنَاتُ لَنَا وَلِبَنِينَا إِلَى الأَبَدِ، لِنَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ.»

السبب في أن بعض المؤمنين لا يحصلون على جزء من البركات الموعودة يعود غالباً إلى فئة «السرائر» لا طائل من محاولة انتزاع الأسرار الإلهية التي رأى الله أن لايعلنها! كما لايليق بنا أن نحاول ذلك. فإن مَنَعَ الله بعض الأجابات، يبقَ الأهم دائماً أن نثق لا أن نفهم.

ثم إن كلمات موسى هنا تذكرنا بمسؤوليتنا كشعب الله، وهي أن نؤمن وأن نعلن وأن نعمل بجميع تلك الأشياء التي أعلنها لنا في كلمته. وعلي رأس هذ الأشياء ما وفره لنا الله من خلال ذبيحة يسوع الكفارية على الصليب. علينا أن لا نسمح لاهتمامنا بسرائر الله أن تطغى على إيماننا وطاعتنا لمعلناته.

٦) عندما يهاجم الشيطان ميداناً من ميادين المسؤولية التي أوكلنا الله عليها: البيت، العائلة، العمل، الدراسة، الخدمة، إلخ ...

أبوابي محصَّنة بأقفال من حديد ونحاس، وراحتي أنني منتصر بالرب كل أيام حياتي.

ليس مثل الله، يركب السماء في معونتي و الغمام في عظمته. الإله القديم الأزلي ملجأي وأذرعه الأبدية تحملني.

يطرد العدو من أمامي ويقول لي: "أَهلِكْهُ"! (انظر تثنية ٣٣:٢٥-٢٧)

بهذا الإعلان، ننتقل من الدفاع إلى الهجوم. فأبوابنا تمثل نظامنا الدفاعي، وقد وعد الله أنها ستكون قوية لتصدَّ هجوم العدو. ثم هناك صورة رائعة لإله السموات وهو يتدخل بصورة معجزية لأجلنا: «يركب السماء في معونتي.» الإعلان الذي ننطق به هو إحدى الطرق التي نستحثُّ فيها تدخل الله.

وأخيراً هناك تأكيد على هزيمة العدو: «يطرد العدو من أمامي.» لكن الله يطالبنا بأن نقوم بدورنا في هذه المرحلة الأخيرة، لذلك يقول لكل واحد منا: «أَهلك العدوَّ»! وقد أعدَّ الله لنا الأسلحة الروحية اللازمة لذلك.

٧) عندما ندرك أن الذهن هو ميدان المعركة الذي تتصارع فيه أكاذيب الشيطان مع حق كلمة الله.

أسلحة محاربتي ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم الحصون التي بناها الشيطان في ذهني. أنا أُخضع كل أفكاري لطاعة المسيح. من أعظم أسلحتي الجبارة: الإعلان و الحمد والتسبيح. (انظر ٢كورنثوس ١٠:٣-٥)

من المهم أن نتذكر أنَّ أعداءنا في حياة الإيمان ليسوا من البشر، بل هم القوات الروحية الشريرة القادمة إلينا من مملكة الشيطان. يوضح بولس ذلك في أفسس ٦:١٢

«فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ.»

وفي هذه الحرب الغربية التي دعانا إليها الله، تختلف المعايير و المفاييس عن تلك التي نستخدمها في عالم الحواس. فبالمقاييس الروحية، الغفران أقوى من الامتعاض و الغيظ؛ الشكر أقوي من التذمر؛ المدح أقوي من الاتهام؛ المحبة أقوي من الكره.

وبناءً على هذه المفارقة، إليك عزيزي القارئ إعلانين من شأنهما أن يطلقا

قـوة الله وإمكانياتـه، عندمـا تفشـل كل محاولاتنـا.

٨) عندما نواجه مهمةً أكبر جداً مما نستطيع

«أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي.» (فيلبي ٤:١٣)

٩) عندما تخور قواي أو أشعر أنها لا تكفي.

تكفينـي نعمـة الله، لأن قـوة الله تظهـر بكمالهـا في ضعـفي. لذلـك عندمـا أكـون ضعيفـاً، حينئـذٍ أنـا قـوي. (انظـر ٢كورنثـوس ١٢:٩-١٠)

وأخـيراً هـذان إعلانـان يغطـي كل منهمـا احتياجـاتٍ هامـةٍ تنشـأ بـين وقـتٍ وآخـر في حيـاة كل واحـد منـا.

١٠) عند ممارسة الإيمان بخصوص الاحتياجات المادية.

والله قـادر أن يزيـدني ويفيـض في حيـاتي بـكل نعمـة، فأكـون مكتفيـاً كل حـين في كل شـئ، لأفيـض في كل عمـل صالـح. (انظـر ٢كورنثـوس ٩:٨)

مسـتوى نعمـة الله لشـعبه يُعلَـن هنـا باعتبـاره ازديـاداً وفيضـاً لا مجـرَّد اكتفـاء. اعتدنـا أنـا وروث أن نعلـن هـذا باسـتمرار باعتبـاره أساسـاً لسـدّ الاحتياجـات الماديـة لمؤسسـة «خدمـات ديريـك برنـس.»

١١) عندما يهاجمنا الخوف.

الله لـم يعطـني روح الخـوف أو روح الفشـل، بـل روح القـوة و المحبـة والفطنـة وضبـط النفـس. (انظـر ٢تيموثـاوس ١:٧)

باسـم الـرب يسـوع أعلـن خضـوعي للـرب وأقـاوم روح الخـوف والفشـل فيهـرب مـني. (انظـر يعقـوب ٤:٧)

هـذه أمثلـة قليلـة فقـط، فـلا حـدَّ لعـدد الإعلانـات الكتابيـة الـتي يمكـن اللجوء إليهـا. على كل واحـد منـا أن يعتمـد على الـروح القـدس لـكي يقـوده إلى تلـك الإعلانـات الـتي تناسـب ظروفـه الخاصـة.

ولعمليـة اختيـار الإعلانـات المناسـبة المبنيـة على كلمـة الله، هنـاك نتيجـة مهمـة، هي أن نقـبل ونطـبّق كلمـة الله عمليـاً، غـير مكتفـين بالقـراءة العابـرة المجـرَّدة. لكننـا نطبـق ذلـك بثـلاث مراحـل مهمـة جـداً: **أولاً** نطلـب مـن الـروح القـدس أن يقودنـا إلى المقاطـع الكتابيـة الملائمـة لنـا. **ثانيـاً**، نثبـت هـذه المقاطـع بشـكل راسـخ في أذهاننـا. **ثالثـاً**، عندمـا نعلنهـا، فإننـا نطلـق قوتهـا في نـواحي حياتنـا المختلفـة الـتي تحتـاج إلى تلـك القـوة.

ربمـا تكـون أنـت واحـداً مـن مؤمنـين كثيريـن يشـعرون اليـوم بحاجتهـم إلى أخـذ «سـيف الـروح» - وقد أشرنـا إليه في الفصـل الثامن عشر- لكنـك لا تعرف طريقةً بسـيطة عمليـة لتنفيـذ ذلـك. إن كنت كذلـك، فأقترح عليـك أن تبدأ باسـتخدام هـذه الإعلانات الكتابيـة المختـارة. لقـد مارسـناها في حياتنـا الشـخصية، ونقـول لـك: لقـد نجحـت!

لكـن اسـمح لي أن أضيـف كلمـة تحذيـر أخـيرة! لا تضـع إيمانـك في إعلانـك أو في أيـة وسـيلة أو إجـراء! إيماننـا هـو في الله وحـده - لا في شـخص آخـر ولا في شـئ دون الله.

إن إعلاننا لايتعدي كونه طريقة فعَّالة للتعبير عن الإيمان الذي لنا في الله.

والآن، وقـد ثبَّـتَّ وجهـك نحـو أرض مواعيـد الله، اقبـل هـذا التشـجيع الذي قبله يشـوع ثلاث مـرَّات:

«تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ.»

تعليقاتٌ لا بدَّ منها

إن موضـــوع الـبركات واللعنـات موضـوعٌ مركـزي في كل تعامـلات الله مـع البـشر ويمكـــن مقارنتـــــه بجـذع شـجرة كبـيرة تتفـرَّع أغصانهـا في كل اتجـاه. الدراسـة النظاميـة لهـذا الموضوع، تثـير أسـئلة عمليـة هامـة حـول مسـائل أخـري تتعلـق بحـق كلمـة الله.

في هذا القسم سنعالج سؤالين من تلك الأسئلة:

١) هـل مـــن الممكـن في هـذا الدهـر الحـاضر أن يتحقـق التحريـر - بالإيمـان - مـن كل اللعنـات التـــي جلبتهـا الخطيـة على الجنـس البـشري؟ وإن لـم يكـن ذلـك ممكنـاً، فمـتي وكيـف يتحقـق ذلـك؟

٢) فـــي العهـد القديـم عـدة أمثلـة عـن خـدامٍ لله أعلنـوا لعنـاتٍ على أعـداء الله. فكيـف علينـا كمؤمنـين أن نتجـاوب عندمـا نُقـاوَم وتُسـاء معاملتنـا؟

الفصل الثاني والعشرون

لعناتٌ لم تُبطَلْ بعد

حمل يسوع على الصليب كل النتائج الشريرة التي جلبتها الخطية على الجنس البشري. وهذه النتائج تنقسم إلى فئتين رئيسيتين: لعنات أتت على الإنسان بسبب خطيته الأولى في جنة عدن؛ ولعنات أُعلِنت فيما بعد، تتعلق بالناموس المُعطى لموسى.

ويشير بولس في غلاطية ٣:١٣ إلى الفئة الأخيرة، فهو يقول بشكل محدد: «**اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ.**» وقد ربط ذلك بحقيقة يعلنها الناموس، وهي أن كل من يُعلَّق على خشبة يصير ملعونًا بسبب ذلك. وهكذا فإن الناموس نفسه الذي أعلن اللعنة، فتح الباب للتحرير من اللعنة من خلال ذبيحة المسيح النيابية.

في الفصل الرابع كنا قد لخَّصنا أبعاد «**لَعْنَةِ النَّامُوسِ**» كما يلي: الذل، العقم وعدم الإثمار، الأمراض النفسية والجسدية، الانهيار العائلي، الفقر، الهزيمة، الغم وضيق الصدر، الفشل، عدم رضى الله.

وبحسب العبارة المحددة في غلاطية ٣:١٣، فإن موت المسيح على الصليب قد وفَّر لنا التحرير من كل هذه النتائج التي تسبب بها كسر الناموس. ولا يشمل كلام بولس هنا تلك اللعنة الأصلية التي أعلنها الله على آدم وحواء بعد عصيانهما وصيته في الجنة. هذه اللعنة - بحسب تكوين ٣:١٦-١٩- تنقسم إلى قسمين أساسيين، الأول تم توجيهه إلى حواء والثاني إلى آدم.

اللعنة الموجهة إلى حواء ترتبط بعملها الفريد كامرأة وهي بدورها تنقسم إلى قسمين:

١) ولادة الأطفال ستكون عملية شاقة وقاسية.

٢) ستخضع المرأة لسلطان زوجها وتعتمد عليه في تأمين رغبتها الأنثوية الأساسية لإنجاب الأطفال.

أمَّا اللعنة الموجهة إلى آدم فترتبط مباشرةً بالمهمة الأساسية التي أوكله الله بها في تكوين ٢:١٥، وهي أن يعمل الجنة (أي يعتني بها) ويحفظها، ويتضمن ذلك فِلاحة الأرض. وتنقسم هذه اللعنة إلى ثلاثة أقسام:

١) سيطرأ تغيير على طبيعة التربة، فيكون أن الأرض لا تنتج إلا من خلال العرق والعمل الشاق.

٢) يُرى هذا التغيير في التربة في شكل النباتات التي تنتجها الأرض - وخاصةً في نمو أنواع النباتات غير المنتجة كالشوك والحسك.

٣) الإنسان نفسه سيكون معرضًا للفساد والموت، ومصيره أن يعود إلى التراب الذي أُخذ منه. ومع أن هذه اللعنة كانت موجهة لآدم، إلا أنها أثَّرت على حواء ونسلها كله.

واضح إذًا أن اللعنات التي أعلنها الله آنذاك أثّرت على الأرض نفسها. وهذا يتعلق أيضًا بالارتباط الوثيق بين آدم والأرض، حيث أن الكلمة العبرية التي تعني تراب هي "أدما"[١٧]. آدم نفسه خُلِق من تراب، وأعطي مسؤولية الحفاظ على الأرض.

ثم هناك لعنة أُعلنت على الحية، مما جعلها تختلف عن بقية أعضاء مملكة الحيوان.

في جامعة ١:٤ وفي رومية ٨:٢٠، حالة الأرض وسكانها، بعد هذه اللعنات، موصوفة باستخدام كلمة "باطل" و"بُطْل"، والبُطْل هو التفاهة والعبثية.

(١٧) والأديم في اللغة العربية هو التراب.

الفداء من «**لَعْنَةِ النَّامُوسِ**»، الذي يتحدث عنه بولس في غلاطية ٣:١٣، لا يشمل اللعنات المذكورة أعلاه، فتلك نشأت من العصيان الأصلي الذي ارتكبه آدم وحواء في الجنة. وفي تلك المرحلة، لم يكن هناك نظام ناموسي مُعطىً من الله، وبالتالي لم تكن هناك لعنة بسبب كسر الناموس.

يقول بولس في رومية ٥:١٣-١٤:

«**فَإِنَّهُ حَتَّى النَّامُوسِ كَانَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْعَالَمِ. عَلَى أَنَّ الْخَطِيَّةَ لاَ تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ. لكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ**».

خلال الفترة ما بين آدم وموسى، لم يكن هناك ناموس من الله. لكن الناس كانوا يعانون - على أية حال - من آثار اللعنة الأصلية على آدم وحواء، وكل واحد كان يدفع أجرة خطيته الشخصية، وهي الموت.

أما بداية مرحلة الناموس فيشار إليها في يوحنا ١:١٧: «**النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ.**» وبإعطاء الناموس بموسى، أعلنت سلسلة طويلة من اللعنات على كل من يكون تحت الناموس ويفشل في حفظه. وهذه اللعنات هي المذكورة أساسًا في تثنية ٢٨:١٥-٦٨، وهي تسمى جميعًا «**لَعْنَةِ النَّامُوسِ**». فعندما يقول بولس في غلاطية ٣:١٣ «**اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ**» فهو يقصد هذه اللعنات.

فماذا عن اللعنات الأصلية التي أُعلنت على آدم وحواء؟ هل وفَّر الله فداءً لهذه أيضًا؟ وإن كان كذلك، فعلى أي أساس؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، نحتاج أن نفهم طريقتين مختلفتين توحَّد فيهما يسوع مع أولئك الذي جاء لفدائهم. ويصور العهد الجديد هذين الجانبين من خلال سلسلتي نسب يسوع المختلفتين.

في إنجيل متى يعود نسب المسيح إلى إبراهيم، باعتبار يسوع هو "نسل إبراهيم"

الموعود. وهكذا يتوحد المسيح مع نسل إبراهيم؛ الشعب القديم - إسرائيل- الذي كان تحت الناموس. يقول بولس في غلاطية ٤:٤-٥ إن يسوع ولد «**تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ.**»

أما في إنجيل لوقا، فإن نسب يسوع يعود إلى آدم، وهو بهذا متوحد مع الجنس البشري كله الذي هو نسل آدم. وخلال خدمته على الأرض، كان يستخدم لقب "ابن الإنسان" للإشارة إلى نفسه، أكثر من أي لقبٍ آخر. وفي اللغة العبرية، الاسم "آدم" يعني "إنسان" أيضًا. وعليه فإن "ابن الإنسان" هو "ابن آدم." وباستخدامه هذا اللقب، كان يسوع يؤكد توحده مع نسل آدم - الجنس البشري كله.

وهكذا فإن ذبيحة يسوع النيابية على الصليب، لم تقدم الفداء من اللعنة الناشئة عن الناموس المكسور فحسب، لكنها وفَّرت أيضًا التحرير من كل النتائج الشريرة التي جلبتها خطية آدم على جميع نسله - سواء كانوا تحت الناموس أم لم يكونوا.

ويظهر ذلك أيضًا من خلال لقبين يطلقهما بولس على يسوع في ١كورنثوس ١٥. ففي العدد ٤٥ يدعوه «**آدَمُ الأَخِيرُ**»، وفي العدد ٤٧ «**الإِنْسَانُ الثَّانِي**». وهما لقبان يرتبطان على التوالي بموت يسوع وقيامته.

مات يسوع على الصليب باعتباره «**آدَمُ الأَخِيرُ**». فقد حمل على نفسه كل النتائج الشريرة التي جلبتها معصية آدم على البشرية كلها. فعندما مات قُضي على تلك النتائج، وعندما دُفن أُبعِدتْ إلى الأبد.

ثم في اليوم الثالث، قام يسوع ثانيةً من الأموات باعتباره «**الإِنْسَانُ الثَّانِي**». وهكذا صار رأس الشعب الجديد كله؛ شعب عمانوئيل؛ شعب الله - الإنسان؛ شعبٌ تندمج فيه الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية خليقةً جديدةً!

كل الذي يتوحدون مع يسوع في موته ودفنه وقيامته، يصبحون أعضاء في هذا

الشعب. يقول الرسول في ١بطرس ١:٣-٤:

«.... اللهِ .... ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى ....»

إذًا، هناك جانبان متكاملان للفداء من اللعنة من خلال موت يسوع. فباعتباره من نسل إبراهيم المولود تحت الناموس، حمل يسوع على نفسه جميع لعنات الناموس المكسور الملخَّصة في تثنية ٢٨:١٥-٥٦. وباعتباره آدم الأخير، حمل أيضًا على نفسه اللعنات التي أُعلنت على آدم وحواء بسبب عصيانهما الأصلي. وقد ذكرنا أن تلك اللعنات شملت تراب الأرض ونباتها، إذ ظهر ذلك في أشكال غير مثمرة من النبات كالشوك والحسك.

ويستخدم العهد الجديد لغة رمزية جميلة ليكشف لنا كيف أن يسوع لم يقتصر على حمل اللعنات المجلوبة على آدم وحواء، بل حمل أيضًا لعنة الأرض. في يوحنا ١٩:٥، يسجل لنا الرسول المشهد الذي أخرج فيه بيلاطس يسوع أمام المشتكين عليه.

«فَخَرَجَ يَسُوعُ خَارِجًا وَهُوَ حَامِلٌ إِكْلِيلَ الشَّوْكِ وَثَوْبَ الأُرْجُوانِ. فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: "هُوَذَا الإِنْسَانُ!"».

وكلمة «**الإِنْسَانُ**» تؤكد هنا على يسوع كنسلِ آدم - وهو فريد في كماله، لكنه يمثل أيضًا الجنسَ البشريَّ كلَّه. وفي الوقت نفسه، مثَّل لباس يسوع اللعنة التي جلبها آدم على الأرض؛ فالتاج على رأسه يمثل لعنة الشوك، والثوب الأرجواني يمثل لعنة الحسك. حيث أن الحسك أو العوسج، هو نبات شائك له أزهارٌ أرجوانية اللون.

هذا المشهد البسيط والمعِّبر في وقت واحد، يعلن يسوع باعتباره "آدم الأخير" الذي حمل اللعنة التي حلَّت على آدم وحواء بالإضافة إلى اللعنة التي حلَّت على الأرض بسبب خطيتهما.

فكيفما نظرنا، نجد أن الفداء الذي تمَّ بموت يسوع هو فداء تام. إنه يشمل كل لعنةٍ أصابت البشر في أي وقت: اللعنة المعلنة على آدم وحواء بسبب عصيانهما وصية الله؛ اللعنة التي جلبها عصيانهما على الأرض؛ وكل اللعنات المتعلِّقة بناموس موسى.

وبمتابعة دراسة أسفار الكتاب المقدس، نجد أن الفداء الكامل من اللعنة سيتحقق في مراحل متتالية. الفداء من "لعنة الناموس" مُقدَّم لنا الآن في هذا الدهر، ويمكن الحصول عليه بالإيمان. أما الإظهار الكامل لهذا الفداء، فيكتمل بمجيء المسيح. في ذلك الوقت، جميع الذين يخطفون لملاقاته سيتحررون إلى الأبد من اللعنة الآدمية.

في فيلبي ٣:٢٠-٢١، يصف بولس نوع التغيير الذي سيحدث حينئذٍ في جسد كل مؤمن مفدي:

«فَإِنَّ سِيرَتَنَا (جنسيتنا) **نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ.»**

يقارن بولس هنا بين نوعين للجسد: "جسد تواضعنا" و"جسد مجد المسيح." فاللعنة الموضوعة على آدم حبسته هو ونسله في جسد وضيع (لا "متواضع" بالمعنى الأصح)، الأمر الذي يذكِّر كل واحد منا باستمرار بطبيعته الساقطة.

ومنذ لحظة الولادة، يكون هذا الجسد عرضةً للفساد، ويعتمد في بقائه وصحته على الكثير من العوامل الخارجية. قد نسعى لكي ننسى - ولو مؤقتًا - ضعفاتنا الموروثة وذلك من خلال الرفاهية والمتع المتنوعة. لكننا حتمًا سنجد أنفسنا فجأةً وجهًا لوجه أمام محدوديات جسدنا الوضيع.

قد نرتدي أثمن الملابس وأكثرها أناقة، لكن ما أن ينشط جسدنا قليلًا،

حتى تذكرنا رائحة العرق بأننا محبوسون في جسد وضيع. أو قد نملأ بطوننا بأفضل وأثمن الطعام والشراب، وخلال ساعات نضطر لتفريغ أمعائنا ومثانتنا - فلا مجال للعجرفة والتباهي الأجوف.

بالنسبة لأولئك الذي قبلوا فداء المسيح، كل هذه المحدوديات الوضيعة في جسدنا الحالي، ستتغير. لكن ليس بالتدريج، بل في لحظةٍ مجيدة واحدة. يصف بولس هذا التغيير فوق الطبيعي في ١كورنثوس ١٥:٥١-٥٣ فيقول:

«لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا (أي في الموت)، وَلكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لأَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَبُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ.»

وبشكل عام، يلخص بولس في ١كورنثوس ١٥، التغييرات الخمسة التالية التي ستطرأ على جسد كل مؤمن عند مجيء المسيح:

١) جسدٌ فاسد إلى جسدٍ لا يفسد.

٢) جسدٌ مائت (معرَّض للموت) إلى جسدٍ لا يموت.

٣) جسدٌ ذليل وضيع (في هوان) إلى جسدٍ مُمجَّد.

٤) جسدٌ ضعيف إلى جسدٍ قوي.

٥) جسدٌ حيواني (نفساني) إلى جسدٍ روحاني.

الجوانب السلبية الخمسة في النقاط المذكورة هي جميعها نتائج اللعنة الأصلية التي حلَّت على آدم. والتحرير الكامل منها يتم أولًا للمؤمنين الذين سيختطفون لملاقاة المسيح في مجيئه الثاني. ويصف يعقوب المؤمنين باعتبارهم "**باكورة من خلائقه.**" فالتغيير الذي يتمتعون به سيكون بمثابة ضمانة لفداء الخليقة كلها في النهاية.

أمـا بالنسـبة لسـاكني الأرض في الفـترة الـتي تـلي الاختطـاف، فـإن مُلـك المسـيح الألـفي المتسـم بالـبِّر والعدالـــة، سـيخفف تأثـير لعنـة النامـوس إلى أقـصى حـد، لكنـه لـن يفنيهـا! سـتطول حيـاة الإنســان بقـدرٍ كبير، لكـن اللعنـة الآدميـة سـتكون موجودة أيضًـا. سـترى الأرض والحيوانـات فـترةً مـن الإثمـار والتكاثـر لـم يكـن لهـا مثيـل منـذ السـقوط، لكـن ذلـك لا يعـني أن الخليقـة قـد أُعتقـت مـن "البُطـل" بعـد! فلـن يتـمَّ الإلغـاء الكامـل والنهـائي لـكل لعنـةٍ قبـل ظهـور «**سَـمَاوَاتٍ جَدِيـدَةً، وَأَرْضًـا جَدِيـدَةً**» (٢بطـرس ٣:١٣).

هـذا كلـه يكـون نتيجـةً للمبادلـة الـتي جُعـل بهـا يسـوع لعنـةً على الصليـب لـكي يلـغي كل لعنـةٍ جلبتهـا معصيـة الإنسـان على نفسـه وعلى الخليقـة. والتحقيـق النهـائي لذلـك كلـه توجـزه عبـارة رؤيـا ٢٢:٣ القصـيرة الشـاملة: «**وَلاَ تَكُـونُ لَعْنَـةٌ مَـا فِي مَـا بَعْـدُ.**»

الفصل الثالث والعشرون

أنلعن أم نبارك؟

لنقل إنَّ من الناس من يلعننا ويشتمنا ويقاومنا ويضطهدنا بسبب إيماننا في المسيح. ولنقل أنهم ينشرون أكاذيب خبيثة عنا، ويستخدمون كل الأساليب الملتوية وغير المشروعة لكي يسببوا لنا الأذى. فهل لنا الحق بأن نقابل ذلك بإعلان نوعٍ من اللعنة ضدهم؟ جواب العهد الجديد هو «**لا**» مؤكدةً واضحة!

في رومية ١٢:٩-٢١ يحدد بولس مبادئ مختلفة يجب أن تحكم سلوك المؤمن المسيحي. ويبدأ في العدد ٩ بالدافع الأهم والأعظم:

«**اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ.**»

وما يلي ذلك من توجيهات، إنما هي ببساطة مجموعة من المظاهر التي تعبر عن المحبة المسيحية.

وفي العدد ١٤، يوجه بولس المؤمنين بخصوص كيفية تجاوبهم مع أولئك الذين يريدون لهم الأذى:

«**بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا.**»

أما العدد ٢١، فمبدأ عام حول الموضوع نفسه:

«**لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.**»

هناك قوة واحدة قادرة على غلبة الشر، وهي «الخير». مهما كان شكل الشر

الذي يواجهنا، علينا دائمًا أن نتجاوب بالخير الذي يقابل ذلك، وإلا كان الشر أقوى جدًا من أن نغلبه.

وفي ١بطرس ٣:٨-٩، يكتب بطرس تحذيرًا مماثلًا ضد ردود الفعل الخاطئة تجاه الشر:

«وَالنِّهَايَةُ، كُونُوا جَمِيعًا مُتَّحِدِي الرَّأْيِ بِحِسٍّ وَاحِدٍ، ذَوِي مَحَبَّةٍ أَخَوِيَّةٍ، مُشْفِقِينَ، لُطَفَاءَ، غَيْرَ مُجَازِينَ عَنْ شَرّ بِشَرّ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ، بَلْ بِالْعَكْسِ مُبَارِكِينَ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ لِكَيْ تَرِثُوا بَرَكَةً.»

فإذا غلبنا الشر بالخير بهذه الطريقة، نصير شركاء في انتصار المسيح نفسه على الشر، كما تؤكد لنا كلمات ٢كورنثوس ٢:١٤-١٥:

«وَلكِنْ شُكْرًا لِلهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ.»

فكمريم التي سكبت الطيب الثمين على رأس يسوع ، نملأ نحن أيضًا المنطقة المحيطة بنا برائحة طيبة زكية. حتى أولئك الذين يقاومونا وينتقدوننا، يتباركون بتلك الرائحة. (انظر مرقس ١٤:٣-٩)

وهذا يقودنا إلى فرق هامٍ بين العهدين القديم والجديد. في العهد القديم، كان الله يستخدم شعبه كأدواتٍ للحكم على الآخرين. ففي إحضاره شعب إسرائيل إلى كنعان، استخدم الله يشوع وجيشه كأدوات لتنفيذ دينونته على الكنعانيين الذين كانوا يسكنون الأراضي قبل ذلك. وهناك أيضًا الكثير جدًا من المواقف في العهد القديم، أعلن فيها خُدَّام الله لعناتٍ على أناسٍ قاوموهم أو عصوهم، وكان تأثير ذلك كتأثير كلام الله نفسه.

في يشوع ٦:٢٦، على سبيل المثال، وبعد أن اقتحم الإسرائيليون أريحا ودمروها،

نطـق يشـوع بهـذه اللعنـة على كل مـن سـيعود ويبـني مدينـةً في الموقـع نفسـه:

«مَلْعُـونٌ قُـدَّامَ الـرَّبِّ الرَّجُـلُ الَّذِي يَقُـومُ وَيَبْـنِي هـذِهِ الْمَدِينَـةَ أَرِيحَـا. بِبِكْـرِهِ يُؤَسِّسُـهَا وَبِصَغِـيرِهِ يَنْصِـبُ أَبْوَابَهَـا».

بعـد ذلـك بحوالـي خمسـمئة عام، أثنـاء حكـم آخـاب ملـك إسرائيـل، تـم تنفيـذ هـذه اللعنـة، كمـا هـو مكتـوب في ١ملـوك ١٦:٣٤:

«فِي أَيَّامِـهِ (أيـام آخـاب)، بَـنَى حِيئِيـلُ الْبَيْتَئِيلِـيُّ أَرِيحَـا. بِأَبِـيرَامَ بِكْـرِهِ وَضَعَ أَسَاسَـهَا، وَبِسَـجُوبَ صَغِـيرِهِ نَصَـبَ أَبْوَابَهَـا، حَسَـبَ كَلاَمِ الـرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّـمَ بِـهِ عَـنْ يَـدِ يَشُـوعَ بْـنِ نُـونٍ.»

أي: «.... مـات ابنـه الأكـبر أبـيرام .... مـات ابنـه الأصغـر سَـجوب ....» (الترجمـة التفسـيرية كتـاب الحيـاة)

وهـذا مثـال حي على القـوى الخفيـة الـتي تعمـل باسـتمرار في تاريـخ البشريـة، والـتي غالبًـا مـا يتـم تجاهلهـا. كـم مؤرخًـا معـاصرًا اليـوم سـيعزو مـوت الشـابين في ذلـك الحـدث إلى كلمـات قالهـا رجـل آخـر مـن رجـال الله قبـل ذلـك بخمسـمئة عام؟!

ويجـدر بنـا أن نلاحـظ أن الكاتـب في ١ملـوك ١٦:٣٤ يؤكـد على أن اللعنـة قـد تمـت **«حَسَـبَ كَلاَمِ الـرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّـمَ بِـهِ عَـنْ يَـدِ يَشُـوعَ بْـنِ نُـونٍ.»** فيشـوع كان قنـاةً انتقلـت اللعنـة مـن خلالهـا، لكـن المصـدر هـو الـرب. هـذه الحقيقـة وحدهـا تعلـل تأثـير تلـك اللعنـة.

داود خـادم آخـر لله أعلـن هـو أيضًـا لعنـات ظهـرت تأثيرهـا بعـد أجيـال. فـي المزمـور ٦٩:٢٢-٢٥، ثـم فـي المزمـور ١٠٩:٦-١٣، نطـق داود بسلسـلة مطوَّلـة مـن اللعنات نحـو شـخص لـم يُذكـر اسـمه، أو ربمـا أشـخاص، بسـبب خيانـة رجـل بـار اتُّهِـم وأديـن ظلمًـا. وبعـد حـوالي ألـف عـام مـن ذلـك التاريـخ، وبعـد مـوت يسـوع وقيامتـه، أدركَ

الرسل أن تلك اللعنات التي نطق بها داود قد تحقق مفعولها في يهوذا الاسخريوطي الذي خان يسوع (انظر أعمال ١:١٥-٢٠).

أنبياء آخرون جاءوا بعد داود، نطقوا هم أيضًا بلعنات تمثل دينونة الله بأشكال متعددة. في ٢ملوك ١:٩-١٢مثلًا، يستنزل إيليا نارًا من السماء لتأكل مجموعتين من الجنود أُرسِلتا على التوالي للقبض عليه. وفي ٢ملوك ٢:٢٣-٢٤، لعن أليشع، خليفة إيليا، مجموعةً من الصبيان كانوا قد استهزأوا به، فكانت النتيجة أن الدببة فتكت باثنين وأربعين ولدًا منهم!

فيما بعد، استخدم الله أليشع في معجزة شفاء القائد العسكري نعمان السرياني من البرص. ولمَّا قدَّم نعمان هدايا ثمينة لأليشع، رفض الأخير قبولها مبينًا لنعمان أنه لا يستطيع أن «يدفع» مقابل الشفاء الذي يمنحه له الله. لكن خادم أليشع، جيحزي، دفعه الطموح بعد ذلك فجرى وراء نعمان، وكذَّب عليه لكي يأخذ هديَّةً قيِّمةً من الفضة والثياب (٢ملوك ٥:١-٢٧).

ولما عاد جيحزي، واجهه أليشع - بإعلان فوق طبيعي - كاشفًا طمعه وعدم أمانته. ثم أعلن دينونة الله عليه:

«... فَبَرَصُ نُعْمَانَ يَلْصَقُ بِكَ وَبِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ. فَخَرَجَ مِنْ أَمَامِهِ أَبْرَصَ كَالثَّلْجِ.» (٢ملوك ٥:٢٧)

كان تأثير لعنة أليشع هذه تأثيرًا ظاهرًا ولحظيًا، فقد أصيب جيحزي بالبرص بالشدة نفسها التي كان نعمان قد شفي للتو مها. والأكثر من هذا، المرض نفسه سيلتصق بنسل جيحزي ما دام منهم باقٍ على الأرض!

وهناك جانب هام مشترك بين كل تلك اللعنات التي أشرنا إليها أعلاه - سواء نطق بها يشوع أو داود أو أليشع، وهو أن كل واحد منهم عبَّر عن دينونة الله القدير. لم تنشأ تلك اللعنات من إرادتهم الخاصة وقراراتهم الشخصية، ولم تكن مجرَّد

تعبير عن الغضب أو الانتقام. فقد اختار الله، بحسب إرادته الفائقة، قنواتٍ بشرية رأى أن يستخدمها لتحقيق عدالته. وليس في الكتاب المقدس دليلٌ واحد على أن الله تخلى عن هذا الحق.

لكن الله اختار أن يستخدم خُدَّامه في العهد الجديد كأدواتٍ للرحمة لا للدينونة. نرى المفارقة بين العهدين القديم والجديد في لوقا ٥١:٩-٥٦، حينَ أرسل يسوع رسلًا ليسبقوه إلى قرية سامرية كان يزمع المرور فيها، وذلك لكي يمهدوا لاستقباله في تلك القرية. لكن السامريين رفضوا أن يقبلوه. وهكذا قال يعقوب ويوحنا ليسوع: «**يَارَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضًا؟**» فوبَّخَهُمْ يسوع قائلًا: «**لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ**».

لم ينكر يسوع أن إيليا استنزل نارًا من السماء ليدمر أعداءَه، ولم يشكك في قدرة يعقوب ويوحنا على عمل ذلك، لكنه ذكرهما بأنهما يعيشان في فترة زمنية يستخدم الله فيها خُدَّامه بطريقة مختلفة؛ فهما مدعوان ليكونا أدوات للرحمة لا للدينونة.

رغم ذلك، هناك بعض الأحداث التي يوردها العهد الجديد عن لعناتٍ نطق بها خدام الله. يسوع نفسه يقدم مثالًا هامًا بهذا الخصوص. ففي طريقه إلى أورشليم، جاع فأتى إلى شجرة تين يطلب فيها بعض الثمر المبكِّر الذي يألف الناس وجوده في ذلك الموسم. فلما رأى أن الشجرة ملأى بالأغصان المورقة دونما ثمر، قال لها:

«**لاَ يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!**» (متى ١٩:٢١)

وفي اليوم التالي، مرَّ هو وتلاميذه بالشجرة، فرأوا كيف أنها يبست من الأصول. حينئذٍ قال بطرس مندهشًا:

«يَا سَيِّدِي، انْظُرْ! اَلتِّينَةُ الَّتِي لَعَنْتَهَا قَدْ يَبِسَتْ!» (مرقس ١١:٢١)

وفي ردِّه، أعطى يسوع تلاميذه السلطان نفسه الذي أظهره هو عندما لعن الشجرة:

«اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ وَلاَ تَشُكُّونَ، فَلاَ تَفْعَلُونَ أَمْرَ التِّينَةِ فَقَطْ ....» (متى ٢١:٢١)

أي أنه أعطاهم سلطانًا للنطق بلعناتٍ مشابهة لتلك التي نطق هو بها على التينة.

ويرى الكثيرون من المفسرين أن شجرة التين هذه ترمز إلى ذلك النظام الديني الفارغ الذي انحطت إليه الممارسات الشعائرية المتعلقة بناموس موسى. فالشكل الديني الخارجي مليء بالأوراق، أمّا الثمر الحقيقي للناموس فليس هناك! وكان يسوع قد أوجز ثمر الناموس الحقيقي باعتباره: **«الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ»** (متى ٢٣:٢٣). وهكذا فإن الساعين بإخلاص إلى سدِّ جوعهم الروحي بالاعتماد على مثل ذلك التدين الشكلي، سيعودون فارغين خائبين. وخلال جيل واحد، يبَّست دينونة الله ذلك النظام الديني من أصوله!

لم يرَ التلاميذ -كما يبدو- أية دلالة في شجرة التين عديمة الثمر، وكانوا سيعبرون عنها. لكن يسوع هو الذي تكلم ضدها، وأوكل تلاميذه بان يفعلوا مثله تمامًا. وفي الأجيال التالية، بدا أن ذلك الدرس فات معظم المؤمنين. فلا بدَّ أننا نواجه أشجار تين بلا ثمر هنا وهناك - والحديث عن أديان وأنظمة دينية خادعة يقصدها الجائعون إلى الحق، فتردهم خائبين! أنمرُّ هكذا بأشجار التين دون أن نأبه بها؟ أم نبادر إلى مواجهتها بالطريقة التي أظهرها لنا يسوع؟

عندما أرسل يسوع رسله الأوائل للكرازة بالإنجيل في متى ١٠:١٤-١٥، أعطاهم سلطانًا مشابهًا للتعامل مع أولئك الذين يرفضونهم ويرفضون رسالتهم:

«وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ فَاخْرُجُوا خَارِجًا مِنْ ذلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ

تِلْـكَ الْمَدِينَـةِ، وَانْفُضُـوا غُبَـارَ أَرْجُلِكُـمْ. اَلْحَـقَّ أَقُـولُ لَكُـمْ: سَـتَكُونُ لأَرْضِ سَـدُومَ وَعَمُـورَةَ يَـوْمَ الدِّيـنِ حَالَـةٌ أَكْـثَرُ احْتِمَـالاً مِمَّـا لِتِلْـكَ الْمَدِينَـةِ.»

فبنفـضِ غبـار أرجلهـم، كان الرسـل يسـلِّمون رافـضي الإنجيـل إلى دينونـة الله الـتي سـتكون أشـدُّ بمـا لا يُقـاس مـن الدينونـة الـتي وقعـت على أهـل سـدوم وعمـورة.

وقـد نفَّـذ الرسـل وصيـة يسـوع حرفيًـا، فـفي أنطاكيَّـة بيسـيدية، وبعـد أن صرف بولـس وبرنابـا وقتًـا فـي خدمـةٍ فعَّالـة، تمكـن المقاومـون مـن طردهمـا خـارج المدينة. فمـاذا كانـت ردة فعـل الرسـولين؟

«أَمَّا هُمَا فَنَفَضَا غُبَارَ أَرْجُلِهِمَا عَلَيْهِمْ، وَأَتَيَا إِلَى إِيقُونِيَةَ.» (أعمال ١٣:٥١)

ومثـل هـذه المشـاهد، تؤكـد لنـا مبـدأً سـبق فبيَّنـه العهـد القديـم: بـين الـبركات واللعنـات خيـطٌ دقيق جـدًا. عندما تُقدَّم البركـة وتُرفَض، فإن اللعنة تحـلُّ محلها. عندما دخـل شـعب إسـرائيل القديم كنعـان تحت نامـوس موسى، طلـب الله منهـم أن يعلنوا على أنفسـهم أحـد بديلين: إمّا البركات التي وعـد بهـا الله لمن يطيعونـه، أو اللعنات التي تنشـأ عـن عدم الطاعـة. وليس هنـاك خيار ثالث! وهـذا ينطبق على من سـمعوا إعلان الإنجيـل ومـا فيه من بـركات. فإن رفضوه، عرَّضوا أنفسـهم بلا شـك إلى لعناتٍ مشـابهة.

سـابقًا في أعمـال ١٣، وعلى جزيـرة قـبرص، كان الله قـد فتح البـاب أمام بولـس وبرنابا لتبشـير الوالـي سرجيـوس بولس. لكن سـاحرًا اسـمه عليـم أراد أن يمنعهما مـن الكلام مـع الـوالي. أمّـا رد فعـل بولـس تجـاه ذلك التحـدي الشـيطاني فنجـده في أعمـال ١٣:٩-١٢:

«وَأَمَّـا شَـاوُلُ، الَّذِي هُـوَ بُولُـسُ أَيْضًـا، فَامْتَـلأَ مِـنَ الـرُّوحِ الْقُـدُسِ وَشَـخَصَ إِلَيْـهِ وَقَالَ:"أَيُّهَـا الْمُمْتَلِـئُ كُلَّ غِـشٍّ وَكُلَّ خُبْـثٍ! يَـا ابْـنَ إِبْلِيـسَ! يَاعَـدُوَّ كُلِّ بِـرّ! أَلاَ تَـزَالُ تُفْسِـدُ سُـبُلَ اللهِ الْمُسْـتَقِيمَةَ؟ فَـالآنَ هُـوَذَا يَـدُ الـرَّبِّ عَلَيْـكَ، فَتَكُـونُ أَعْـمَى لاَ تُبْـصِرُ الشَّـمْسَ إِلَى حِـينٍ". فَـفِي الْحَـالِ سَـقَطَ عَلَيْـهِ ضَبَـابٌ وَظُلْمَـةٌ، فَجَعَـلَ يَـدُورُ مُلْتَمِسًـا مَـنْ يَقُـودُهُ بِيَـدِهِ. فَلَـوَالِي حِينَئِـذٍ لَمَّـا رَأَى مَـا جَـرَى، آمَـنَ مُنْدَهِشًـا مِـنْ تَعْلِيـمِ الـرَّبِّ.»

كان تأثير كلمات بولس على عليم الساحر فوريًا ومذهلًا، تمامًا كذلك البرص الذي أعلنه أليشع على جيحزي. ويؤكد كاتب أعمال الرسل على أن بولس «**امْتَلأَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**» في تلك اللحظة. فكلماته لم تكن ردة فعل جسدية تجاه مقاومته، بل كانت تمثل دينونة الله على ذلك الساحر. وقد نطق بولس بها بالروح القدس. واندهش الوالي جدًا من هذا الإظهار المذهل لتفوق يسوع على الشيطان، فآمن فورًا.

هذه الحادثة تطرح مسألة حساسة بخصوص تحديد إن كان من حق المؤمن أو ليس من حقه، في مثل تلك الحالات، أن ينطق بلعنة! فإن كان الدافع هو ردة فعل لطبيعتنا الجسدية، كالغيظ أو الغضب أو الرغبة بالانتقام أو تبرير الذات أو ربما تمجيد الذات، فإن اللعن في مثل هذه الحالات خطية. وسيكون للعنة في هذه الحالة ضرر على من نطق بها أعظم من الضرر الذي يمكن أن يلحق بالشخص الذي وجِّهت اللعنة ضده.

في رومية ٦:١٦، يؤكِّد بولس على الخطورة الشديدة الكامنة في التسليم لمثل هذه الدوافع الشيطانية:

«أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي تُقَدِّمُونَ ذَوَاتِكُمْ لَهُ عَبِيدًا لِلطَّاعَةِ، أَنْتُمْ عَبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ: إِمَّا لِلْخَطِيَّةِ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ؟».

قد يكون من المعزي أحيانًا أن نسعى إلى إشباع مؤقت لبعض الدوافع الشريرة، وذلك بأن نسمح لشفاهنا بأن تنطق بلعنةٍ ما، إلا أننا نقدم بذلك أنفسنا عبيدًا لصانع التجربة: الشيطان! والشيطان لا يكتفي بالتأثير المؤقت علينا، لكنه يستخدم التجربة كبوابة يدخل منها، ومن ثَمَّ يتحرك ليسيطر سيطرةً دائمةً على حياتنا. وهكذا يتحول تسليمنا المؤقت إلى عبودية دائمة. إذًا من يلجأ إلى اللعنة لكي يسبب الشر للآخرين، يجلب على نفسه شرًا أعظم وأبقى.

من جانب آخر، يقدم العهد الجديد أمثلةً واضحةً -كما رأينا- عن حالاتٍ

اختار فيها الروح القدس بإرادته السامية أن ينطق بلعنة من خلال أحد خدام الله. إن أنكرنا هذه الإمكانية، فقد نغلق أنفسنا عن إحدى الطرق التي يريد الله أن يستخدمنا فيها. وضمانتنا الوحيدة بهذا الخصوص هي أن نُعمِّق علاقة قوية بالروح القدس لنكون حساسين جدًا سواء دفعنا الروح إلى عمل شيء أو أعاقنا وصدنا عنه. فإن راودنا أي شكٍّ من جهة طهارة دوافعنا أو من جهة قيادة الروح القدس لنا، علينا أن نلزم الصمت بالتأكيد!

إن إمكانية أن يدفعنا الروح القدس في ظروف معيَّنة إلى النطق بلعنة معيَّنة اتضحت لي عمليًا في حادثةٍ وقعت خلال خدمتي في شيكاغو في الستينات. كنت آنذاك واحدًا من فريق خدمة ينتمي إلى كنيسةٍ في وسط المدينة. وكان مبنى الكنيسة ملتصقًا بنادٍ ليلي كان مركزًا لكل أشكال الرذيلة: تعاطي المخدرات، استخدام الأسلحة الحادة في عراكات مستمرة، والدعارة بما في ذلك السحاق واللواط.

ويومًا ما، كنت على منبر الكنيسة أقود اجتماعًا للصلاة لأجل مدينة شيكاغو. وفي وسط الاجتماع، ودونما تخطيط مسبق مني، سمعت نفسي وأنا أقول: "أنا أعلن لعنة الله على هذا الملهى!" وتابع الاجتماع مجراه الطبيعي. وأنا شخصيًا، لم أُعِرْ ما قلته اهتمامًا كبيرًا.

بعد حوالي شهرين، أيقظني صوت الهاتف نحو الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وقيل لي إن مبنى الكنيسة يحترق! فلبست ثيابي وأسرعت إلى المكان لأجد أن الذي يحترق هو الملهى المجاور لا الكنيسة! لكن الرياح الآتية من بحيرة متشغن كانت تدفع بألسنة اللهب باتجاه مبنى الكنيسة ولما بدا أن احتراق المبنى صار محتَّمًا، تحول اتجاه الرياح ١٨٠ درجة طاردًا اللهب بعيدًا عن الكنيسة.

وفي النهاية، كان الملهى قد احترق تمامًا، بينما أصيبت الكنيسة ببعض الأضرار الناجمة عن الدخان فقط دون أن يصاب أحد بأذى، وتكفلت شركة التأمين بهذه الأضرار جميعًا. بعد مسح المنطقة ومشاهدة ما حدث، علَّق مسؤول الإطفاء قائلًا

لشيخ الكنيسة المسؤول: «لا بدَّ أن لكم علاقة خاصة بـ (الرجل الساكن في الطابق العلوي!)» (يقصد الله!)

أما ردة فعلي الشخصية فكانت خليطًا من الشعور بالرهبة والإجلال، إذ لم يراودني شك في أن ما شاهدته كان بسبب اللعنة التي أعلنتها ضد ذلك الملهى قبل نحو شهرين. لم أندم بالطبع على ما عملته، فقد شعرت أن الله تدخل بدينونة عادلة ظهر فيها لطف رحمته أيضًا. لكنني أدركت أيضًا - وبطريقة جديدة - القوة المرهبة التي يمكن أن تنطلق من خلال كلمات ينطق بها خادم الله. ومن جهتي، فقد قررت أن أسأل الله دائمًا أن يمنحني نعمة كيلا أسيئ استخدام هذه القوة.

وبمعيار ما، دمار ذلك الملهى بالنار يؤيد أيضًا حقيقة كتابية مركزية في موضوع البركة واللعنة، وهي أن قوة اللسان جبارة جدًا، إن كان للخير أو للشر. بلساننا نبارك ونلعن، نبني ونهدم، نجرح ونشفي، ونستطيع أن نصنعَ خيرًا عظيمًا أو ضررًا ليس بقليل.

ثم إن قوة اللسان مخيفة لأننا لا نستطيع أن نسيطر عليه بأنفسنا. يومًا بعد يوم، تجبرنا الخبرة على الإقرار بالحقيقة التي أُعلنت في يعقوب ٣:٨: «**وَأَمَّا اللِّسَانُ، فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُذَلِّلَهُ.**» لذلك، ليس لنا سوى ملجأ واحد آمن، وهو أن يسلِّم كل واحد منها لسانه لله من خلال الروح القدس، وأن يطلب من الله أن يسيطر عليه. قد تساعدنا على ذلك هاتان الصلاتان اللتان رفعهما داود، وهما تصلحان كنمطٍ علينا اتباعه:

«اجْعَلْ يَا رَبُّ حَارِسًا لِفَمِي.
احْفَظْ بَابَ شَفَتَيَّ.» (مزمور ١٤١:٣)

«لِتَكُنْ أَقْوَالُ فَمِي وَفِكْرُ قَلْبِي مَرْضِيَّةً أَمَامَكَ
يَا رَبُّ، صَخْرَتِي وَوَلِيِّي.» (مزمور ١٩:١٤)

نبذة عن حياة الكاتب

وُلد ديريك برنس في الهند لأبوين بريطانيَّين. درس اليونانية واللاتينية في إثنين من أشهر المعاهد التعليمية، جامعة إيتون وجامعة كمبريدج من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٩. حصل على الزمالة من جامعة كمبريدج وتخصص في الفلسفة القديمة والحديثة. درس العبرية والآرامية أيضاً في كل من جامعة كمبريدج والجامعة العبرية في القدس. وبالإضافة إلى ذلك يتحدث ديريك عدداً من اللغات المعاصرة.

في أوائل سنين الحرب العالمية الثانية، بينما كان يخدم مع الجيش البريطاني كمشرف مستشفى، إختبر ديريك برنس لقاء مغير للحياة مع يسوع المسيح.

عن هذا اللقاء كتب ديريك برنس:

من هذا اللقاء خرجت بنتيجتين لم أقابل ما يجعلني أتغير من جهتهما:

الأولى هى أن يسوع المسيح حيّ.

والثانية هى أن الكتاب المقدس صادق، عملي وعصري.

هاتان النتيجتان غيرتا مسار حياتي جذرياً وبلا رجعة.

في نهاية الحرب العالمية الثانية، ظل ديريك برنس (حيث أرسله الجيش البريطاني) في القدس. وتزوج من زوجته الأولى ليديا، أصبح أباً بالتبني لثماني فتيات. شهدت العائلة معاً إعادة قيام دولة إسرائيل في ١٩٤٨. وبينما كان ديريك وليديا في كينيا يعملان كمعلمين، تبنيا إبنتهما التاسعة طفلة أفريقية. توفيت ليديا في عام ١٩٧٥. وفي عام ١٩٧٨ تزوج ديريك من روث بيكر لمدة ٢٠ سنة . سافرا

معـاً الى كل أنحـاء العالـم يعلمـان الحـق الكتـابي المعلـن ويشـاركان الرؤيـة النبويـة في أحـداث العالـم في ضـوء الكتـاب المقـدس. توفيـت روث في ديسـمبر ١٩٩٨.

إتجـاه ديريـك المتجـرد مـن الطائفيـة والتحـيز فتـح أبوابـاً لسـماع تعاليمـه عنـد أنـاس مـن خلفيـات عرقيـة ودينيـة مختلفـة، وهـو معـروف دوليـاً كأحـد قـادة تفسـير الكتـاب المعاصريـن. يصـل برنامجـه الإذاعي اليـومي، «مفاتيـح الحيـاة الناجحـة» إلى نصـف العالـم في ١٣ لغـة تتضمـن الصينيـة والروسـية والعربيـة والأسـبانية.

بعـض الكتـب الخمسـين الـتي كتبهـا ديريـك برنـس قـد تُرجمـت إلى ٦٠ لغـة مختلفة. منـذ ١٩٨٩ يوجـد تركـيز على شرق أوربـا ودول الإتحـاد المسـتقلة (الكومنولـث والمعروفـة بالإتحـاد السـوفيتي سـابقاً) ويوجـد أكـثر مـن مليـون نسـخة متداولـة بلغـات هـذه الدول. مدرسـة الكتـاب المقـدس المسـجلة على الفيديـو لديريـك برنـس تشـكل أساسـاً لعـشرات مـن مـدارس الكتـاب الجديـدة في هـذا الجـزء مـن العالـم الذي لـم يكـن مخدومـاً مـن قبـل.

مـن خـلال البرنامـج الكـرازي العالـمي، وزعـت خدمـة ديريـك برنـس مئـات الألـوف مـن الكتـب وأشرطـة الكاسـيت للـرعاة والقـادة في أكـثر مـن ١٢٠ دولـة للذيـن لـم يكـن لديهـم وسـيلة للحصـول على مـادة تعليميـة للكتـاب أو لـم يكـن لديهـم المقـدرة الماديـة لشرائهـا.

يوجـد المركـز الرئيـسي الدولي لخدمـة ديريـك برنـس في شـارلوت بولايـة شـمال كارولينـا، ويوجـد فـروع للخدمـة في المملكـة المتحـدة و أسـتراليا وكنـدا وفرنسـا وألمانيـا وهولنـدا ونيوزيلانـدا وسـنغافورة وجنـوب أفريقيـا ويوجـد موزعـون في دول كثـيرة أخرى.

إصدارات أخرى لديريك برنس بالعربية

كتب:

- اسس الإيمان.
- يخرجون الشياطين.
- الكفارة.
- الإيمان الذي به نحيا.
- الحرب في السماويات.
- تلبسون قوة.
- أزواج وآباء.
- الدخول الى محضر الله.
- تشكيل التاريخ.
- عهد الزواج.
- مواجهة الأيام الأخيرة.
- الشكر التسبيح العبادة.
- العبور من اللعنة الى البركة.
- أسرار المحارب في الصلاة.
- دراسات شخصية في الكتاب المقدس.
- القوة الروحية المغيرة للحياة.
- ما جمعه الله.
- البركة أو اللعنة: أنت تختار!
- لنحيا ملح ونور.
- قوة اسمه.
- مواهب الروح القدس.
- استقبال وعود الله.

كتيبات:

- المبادلة الإلهية العظمى.
- الأبوة.
- الدواء الإلهي.
- شركاء مدى الحياة.
- المصارعة الروحية.
- الروح القدس فينا.
- الرفض.
- ومتى صمتم.
- فكر الله من نحو المال.
- هل يحتاج لسانك الى شفاء؟
- الخلاص الكامل.
- المحبة المسرفة.
- الصلاة من أجل الحكومة.
- مشيئة الله لحياتك.
- أقوى ثلاث كلمات.

www.dpmarabic.com

موقع خدمة ديريك برنس

باللغة العربية

GET IT ON Google Play

Available on the App Store

إذا طلب الرب من خلال هذا الكتاب شاركنا باختبارك على:

info@dpm.name

+447477151750

DPM